

تفسير سورة الزمر

قال الله تعالى:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ
فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ
دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا
هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ٣) إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ٤) لَوْ أَرَادَ
اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَطْلَقْنَاهُ مَا خَلَقْنَا شَيْئًا سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ
الْقَهَّارُ ٥) خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ
وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ
مُسَمًّى ٦) أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ٧) خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً ٨) أَنْزَلَ فِي بَطْنِ أُمِّهِتِكُمْ
خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ٩) ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
فَإَنِّي نَصْرَفُونَ ١٠) إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ
وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١١) إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ١٢) [الزمر: ١-٧].

س: وضع معنى ما يلي:

(الْكِتَابِ - بِالْحَقِّ - مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ - الدِّينُ الْخَالِصُ - أُولِيَاءَ - كَذِبٌ - كَفَّارٌ - لَا صُطْفَى - سُبْحَنَهُ - الْقَهَّارُ - يُكْوَرُ - لِأَجَلٍ مُّسَمًّى - نَفْسٍ وَاحِدَةٍ - زَوْجَهَا - ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ - ظَلَمْتَ ثَلَاثَ - فَأَنَّى تُصْرَفُونَ - وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ).

ج:

الكلمة	معناها
(الْكِتَابِ)	القرآن
(بِالْحَقِّ)	متضمنًا الحق - محتويًا على الحق - بالحق لا
(مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ)	مخلصًا له عبادتك لا تعبد معه غيره ولا ترائي
(الدِّينُ الْخَالِصُ)	العبادة الخالصة لا يشوبها شيء
(أُولِيَاءَ)	أنصار - شفعاء
(كَذِبٌ)	كثير الكذاب - مفتر على الله
(كَفَّارٌ)	شديد الكفر
(لَا صُطْفَى)	لاختار
(سُبْحَنَهُ)	تنزه
(الْقَهَّارُ)	الذي قهر ويقهر الخلق بقدرته
(يُكْوَرُ)	يمدُّ وقت الليل حتى يدخل في النهار ويغطي على
(لِأَجَلٍ مُّسَمًّى)	لوقتٍ مُّحدّد
(نَفْسٍ وَاحِدَةٍ)	المراد آدم ﷺ
(زَوْجَهَا)	المراد حواء ﷺ

تفسير سورة الزمر

٧

(ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ)	الأنعام الثمانية (الجمل - الناقة - الثور - البقرة - الكباش - النعجة - الجدي - العنز).
(ظَلُمْتَ ثَلَاثًا)	ظلمة البطن - ظلمة الرحم - ظلمة المشيمة
(فَأَنَّى تُصَوِّرُنَّ)	من أي وجه تتصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره
(وَلَا تَحْمِلْنَ)	ولا تحمل
(وَأَزْرَةً)	نفس حاملة
(وَزَرَ)	حمل (حمل من الآثام والأوزار)



س: هل ثبت أن النبي ﷺ كان يقرأ في كل ليلة بني إسرائيل والزمير؟

ج: ورد ذلك من طريق حماد بن زيد^(١) عن أبي لبابة (مروان)^(٢)

عن عائشة رضي الله عنها، وسنده صحيح لكن حكم عليه بعض العلماء بالشذوذ، وأراها شاذة كما قالوا؛ لأن المتن المطول له أن النبي ﷺ كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم... وكان يقرأ في كل ليلة الزمر وبني إسرائيل، وفي لفظ: وكان لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني إسرائيل، فحكم فريق من العلماء على هذه اللفظة بالشذوذ لمخالفة أبي لبابة لمن روه عن عائشة رضي الله عنها، والله أعلم.

(١) «عمل اليوم والليلة» رقم (٧١٢)، أخرجه أحمد (٦٨/٦، ١٢٢، ١٨٩)، والترمذي في فضائل

القرآن حديث (٢٩٢٠)، وفي الدعوات حديث (٣٤٠٥).

(٢) في ز، خ: مروان بن أبي لبابة، والمثبت من سنن النسائي، وغيره.



mostafaaladwy.com

س: وضح معنى قوله تعالى: (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ١).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن هذا الكتاب - الذي هو القرآن - نزل من عند الله ﷻ العزيز الذي لا يُغلب الحكيم في تشريعه الذي يشرع وفي تدبيره الذي يُدبر والحكيم في كل شيء.

وقال بعض أهل العلم: إن المعنى من الله العزيز الحكيم تنزيل الكتاب. والمؤدى واحد.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يخبر تعالى أن تنزيل هذا الكتاب - وهو القرآن العظيم - من عنده، تبارك وتعالى، فهو الحق الذي لا مزية فيه ولا شك، كما قال تعالى: (وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١١٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ١١٣ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ١١٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ١١٥).

الضعفاء: ١٩٢-١٩٥]

وقال: (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ٤٢) **[فصلت: ٤١، ٤٢].** وقال هاهنا: (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ) أي: المنيع الجباب، (الْحَكِيمِ ١) أي: في أقواله وأفعاله، وشرعه، وقدره.



س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ

مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ٢).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، إنا أنزلنا عليك يا رسول الله القرآن

التسهيل لتأويل التنزيل

متضمناً الحق محتوياً عليه يأمر بالحق والعدل فاعبد الله وحده لا شريك له ولا تشرك في عبادته أحداً، واسمع له وأطع ولا تتجه بعبادتك إلى أحدٍ سواه، وكذا لا ترائي بعملك أحداً من الخلق.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إنا أنزلنا إليك يا محمد الكتاب، يعني بالكتاب: القرآن، (بِالْحَقِّ) يعني: بالعدل، يقول: أنزلنا إليك هذا القرآن يأمر بالحق والعدل، ومن ذلك الحق والعدل أن تعبد الله مخلصاً له الدين، لأن الدين له لا للأوثان التي لا تملك ضرراً ولا نفعاً.

وقال أيضاً:

وقوله: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾ يقول تعالى ذكره: فاخشع لله يا محمد بالطاعة، وأخلص له الألوهة، وأفرده بالعبادة، ولا تجعل له في عبادتك إياه شريكاً، كما فعلت عبدة الأوثان.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾ أي: فاعبد الله وحده لا شريك له، وادع الخلق إلى ذلك، وأعلمهم أنه لا تصلح العبادة إلا له، وأنه ليس له شريك ولا عدیل ولا نديد.



س: وضح معنى قوله تعالى: (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ).

ج: المعنى، والله أعلم، ألا إن العبادة والطاعة تكون لله وحده لا شريك

له خالصة له لا يشاركه فيها أحدٌ ولا يُتجه بها إلى أحدٍ سواه.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ يقول تعالى ذكره: ألا لله العباداة والطاعة وحده لا شريك له، خالصة لا شريك لأحد معه فيها، فلا ينبغي ذلك لأحد، لأن كل ما يوصفه ملكه، وعلى المملوك طاعة مالكة لا من لا يملك منه شيئاً.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ «تيسير الكريم الرحمن»:

(أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) هذا تقرير للأمر بالإخلاص، وبيان أنه تعالى كما أنه له الكمال كله، وله التفضل على عباده من جميع الوجوه، فكذلك له الدين الخالص الصافي من جميع الشوائب، فهو الدين الذي ارتضاه لنفسه، وارتضاه لصفوة خلقه وأمرهم به، لأنه متضمن للتأله لله في حبه وخوفه ورجائه، والإنابة إليه في تحصيل مطالب عباده. وذلك الذي يصلح القلوب ويزكيها ويطهرها، دون الشرك به في شيء من العباداة. فإن الله بريء منه، وليس لله فيه شيء، فهو أغنى الشركاء عن الشرك، وهو مفسد للقلوب والأرواح والدنيا والآخرة، مُشَقِّقٌ لِلنَّفُوسِ غاية الشقاء، فلذلك لما أمر بالتوحيد والإخلاص، نهى عن الشرك به، وأخبر بدم من أشرك به فقال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: يتولونهم بعبادتهم ودعائهم، معترزين عن أنفسهم وقائلين: (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) أي: لترفع حوائجنا لله، وتشفع لنا عنده، وإلا فنحن نعلم أنها لا تخلق، ولا ترزق، ولا تملك من الأمر شيئاً.

أي: فهؤلاء، قد تركوا ما أمر الله به من الإخلاص، وتجروا على أعظم المحرمات، وهو الشرك، وقاسوا الذي ليس كمثله شيء، الملك العظيم، بالملوك، وزعموا بعقولهم الفاسدة ورأيهم السقيم، أن الملوك كما أنه لا يوصل إليهم إلا بوجهاء، وشفعاء، ووزراء يرفعون إليهم حوائج رعاياهم، ويستعطفونهم عليهم، ويمهدون لهم الأمر في ذلك، أن الله تعالى كذلك.

وهذا القياس من أفسد الأقيسة، وهو يتضمن التسوية بين الخالق والمخلوق، مع ثبوت الفرق العظيم، عقلاً ونقلاً وفطرةً، فإن الملوك، إنما احتاجوا للوساطة بينهم وبين رعاياهم، لأنهم لا يعلمون أحوالهم. فيحتاج من يعلمهم بأحوالهم، وربما لا يكون في قلوبهم رحمة لصاحب الحاجة، فيحتاجون إلى من يعطفهم عليه ويسترحمهم لهم ويحتاجون إلى الشفعاء والوزراء، ويخافون منهم، فيقضون حوائج من توسطوا لهم، مراعاة لهم، ومداراة لخواطرمهم، وهم أيضاً فقراء، قد يمنعون لما يخشون من الفقر.

وأما الرب تعالى: فهو الذي أحاط علمه بظواهر الأمور وبواطنها، الذي لا يحتاج من يخبره بأحوال رعيته وعباده، وهو تعالى أرحم الراحمين، وأجود الأجودين، لا يحتاج إلى أحد من خلقه يجعله راحماً لعباده، بل هو أرحم بهم من أنفسهم ووالديهم، وهو الذي يحثهم ويدعوهم إلى الأسباب التي ينالون بها رحمته، وهو يريد من مصالحهم ما لا يريدونه لأنفسهم، وهو الغني، الذي له الغنى التام المطلق، الذي لو اجتمع الخلق من أولهم وآخرهم في صعيد واحد فسألوه، فأعطى كلا منهم ما

سأل وتمنى، لم ينقصوا من غناه شيئا، ولم ينقصوا مما عنده، إلا كما ينقص البحر إذا غمس فيه المخيط.

وجميع الشفعاء يخافونه، فلا يشفع منهم أحد إلا بإذنه، وله الشفاعة كلها.

فبهذه الفروق يعلم جهل المشركين به، وسفهمهم العظيم، وشدة جراتهم عليه.

ويعلم أيضا الحكمة في كون الشرك لا يغفره الله تعالى، لأنه يتضمن القدح في الله تعالى، ولهذا قال حاكما بين الفريقين، المخلصين والمشركون، وفي ضمنه التهديد للمشركون: (إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ).

وقد علم أن حكمه أن المؤمنين المخلصين في جنات النعيم، ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة، ومأواه النار. (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي) أي: لا يوفق للهداية إلى الصراط المستقيم (مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ) أي: وصفه الكذب أو الكفر، بحيث تأتيه المواعظ والآيات، ولا يزول عنه ما اتصف به، ويريه الله الآيات، فيجدها ويكفر بها ويكذب، فهذا أتى له الهدى وقد سد على نفسه الباب، وعوقب بأن طبع الله على قلبه، فهو لا يؤمن!!!



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أُولِيَاءَ مَا

نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، والذين أشركوا في عبادة الله ﷻ فعبدوا

التسهيل لتأويل التنزيل

معه غيره، وطلبوا النصر من غيره، وقدموا الطاعة لغيره وسجدوا لغيره هؤلاء يقولون - إذا سألهم عن سبب صنيعهم هذا - ما نعبدكم إلا ليقربونا من الله ﷻ منزلة، ويشفعوا لنا عند ربنا كي يرزقنا وكي يُنجينا وكي ينصرنا (وكل ذلك في الدنيا أما الآخرة فكانوا لها جاحدين منكبين).

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) يقول تعالى ذكره: والذين اتخذوا من دون الله أولياء يتولونهم، ويعبدونهم من دون الله، يقولون لهم: ما نعبدكم أيها الآلهة إلا لتقربونا إلى الله زلفى، قرابة ومنزلة، وتشفعوا لنا عنده في حاجتنا، وهي فيما ذكر في قراءة أبي: (ما نعبدكم)، وفي قراءة عبد الله: (قالوا ما نعبدكم) وإنما حسن ذلك لأن الحكاية إذا كانت بالقول مضمرًا كان أو ظاهرًا، جعل الغائب أحيانًا كالمخاطب، ويترك أخرى كالغائب، وقد بينت ذلك في موضعه فيما مضى.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ثم أخبر تعالى عن عبادة الأصنام من المشركين أنهم يقولون: (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) أي: إنما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم، فعبدوا تلك الصور تنزيلاً لذلك منزلة عبادتهم الملائكة؛ ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم، وما ينوبهم من أمر الدنيا، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به.

قال قتادة، والسدي، ومالك عن زيد بن أسلم، وابن زيد: (إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى

اللَّهُ زُلْفَى) أي: ليشفعوا لنا، ويقربونا عنده منزلة.

ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجوا في جاهليتهم: «لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك». وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه، وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، بردها والنهي عنها، والدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له، وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم، لم يأذن الله فيه ولا رضي به، بل أبغضه ونهى عنه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: ٢٥].

وأخبر أن الملائكة التي في السموات من المقربين وغيرهم، كلهم عبيد خاضعون لله، لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى، وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم، يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبه الملوك وأبوه، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، تعالى الله عن ذلك



س: وضع معنى قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، إن الله ﷻ يحكم بين العباد يوم القيامة فيما كانوا يختلفون فيه في دنياهم من أمر عبادتهم وأمر آخرتهم فيجازى أهل الشرك بسوء صنيعهم الذي صنعوه في دنياهم، ويجازى أهل التوحيد بفسيح الجنات.

قال الطبري رحمه الله:

التسهيل لتأويل التنزيل

وقوله: (إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) يقول تعالى ذكره: إن الله يفصل بين هؤلاء الأحزاب الذين اتخذوا في الدنيا من دون الله أولياء يوم القيامة، فيما هم فيه يختلفون في الدنيا من عبادتهم ما كانوا يعبدون فيها، بأن يصلحهم جميعاً جهنم، إلا من أخلص الدين لله، فوحده، ولم يشرك به شيئاً.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: (إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ) أي: يوم القيامة، (فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) أي: سيفصل بين الخلائق يوم معادهم، ويجزي كل عامل بعمله، (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا) ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴿سبأ: ٤١، ٤٠﴾ .



س: وضع معنى قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، إن الله ﷻ لا يوفق للهداية من كاذب على الله ﷻ جحود لآياته ونعمه منكر لها.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي) إلى الحق ودينه الإسلام، والإقرار بوحداثيته، فيوفقه له (مَنْ هُوَ كَاذِبٌ) مفتر على الله، يتقول عليه الباطل، ويضيف إليه ما ليس من صفته، ويزعم أن له ولدا افتراء عليه، كفار لنعمه، جحوداً لربوبيته.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾) أي: لا يرشد إلى الهداية من قصده الكذب والافتراء على الله، وقلبه كفار يجحد بآياته وبراهينه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾) أي من سبق له القضاء بالكفر لم يهتد أي للدين الذي ارتضاه وهو دين الإسلام كما قال الله تعالى: (وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) [المائدة: ٣] وفي هذا رد على القدرية وغيرهم على ما تقدم.



س: وضع معنى قوله تعالى: (لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، لو أراد الله ﷻ أن يتخذ ولداً كما يزعم المشركون من اليهود والنصارى وغيرهم لاختار من خلقه لنفسه أفضل ما يشاء، ولكنه تعالى عن ذلك علواً كبيراً وتنزه عن تلك تنزيهاً عظيماً، فهو الله وحده لا شريك له، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. وهو الذي قهر كل شيء بقدرته، فالجميع عبيده يفعل فيهم ما يشاء ويمضي فيهم ما يريد.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: (لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا) يقول تعالى ذكره: لو شاء الله اتخاذ ولد، ولا ينبغي له ذلك، لاصطفى مما يخلق ما يشاء، يقول: لاختار من

التسهيل لتأويل التنزيل

خلقه ما يشاء. وقوله: (سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾) يقول: تنزيها لله عن أن يكون له ولد، وعما أضاف إليه المشركون به من شركهم (هُوَ اللَّهُ) يقول: هو الذي يعبد كل شيء، ولو كان له ولد لم يكن له عبدا، يقول: فالأشياء كلها له ملك، فأنى يكون له ولد، وهو الواحد الذي لا شريك له في ملكه وسلطانه، والقهار لخلقه بقدرته، فكل شيء له متذلل، ومن سطوته خاشع.

وقال ابن كثير رحمه الله:

ثم بين تعالى أنه لا ولد له كما يزعمه جهلة المشركين في الملائكة، والمعاندون من اليهود والنصارى في العزيز، وعيسى فقال: (لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) أي: لكان الأمر على خلاف ما يزعمون. وهذا شرط لا يلزم وقوعه ولا جوازه، بل هو محال، وإنما قصد تجهيلهم فيما ادعوه وزعموه، كما قال: (لَوْ أَرَادَ أَنْ يَتَّخِذَ هُوَ لَا يَتَّخِذُهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ ﴿١٧﴾) [الأنبياء: ١٧] (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَلَنَا أُولُ الْعَبِيدِ ﴿٨١﴾) [الزخرف: ٨١]، كل هذا من باب الشرط، ويجوز تعليق الشرط على المستحيل لقصد المتكلم.

وقوله: (سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾) أي: تعالى وتنزه وتقدس

عن أن يكون له ولد، فإنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي كل شيء عبد لديه، فقير إليه، وهو الغني عما سواه الذي قد قهر الأشياء فدانت له وذلت وخضعت.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) أي لو أراد أن يسمي أحداً من خلقه بهذا ما جعله **رَبِّكَ** إليهم. (سُبْحَنَهُ) أي: تنزيهاً له عن الولد (هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝٤).



س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: (يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ).

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حِينًا) [الأعراف: ٥٤].

وقوله تعالى: (يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) [الحج: ٦١].



س: وضع معنى الآية الكريمة: (يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) **على النهار ويكوِّرُ النهار على الليل** الآية.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الله **رَبِّكَ** غني عن كل خلقه فهو الذي خلق السموات والأرض، ولم يخلقها لعباً ولا لهواً بل خلقهما لأمر جليلة عظيمة، منها استدلال الخلق بها على وحدانية ربهم **رَبِّكَ** وعلى قدرته على البعث والثواب والعقاب، ثم هو سبحانه يمدُّ الليل ويطوله حتى يأخذ من وقت النهار ويمدُّ النهار ويطوله حتى يأخذ من وقت الليل، وكذا من قدرته والأدلة على وحدانيته أنه سبحانه سخر الشمس والقمر كل منهما يجري في مجراه إلى أجل قد سماه الله **رَبِّكَ** وحدَّده وعند انتهائه يتوقف جريانهما ألا هو العزيز القوي الغالب الذي يقضي ما يريد ويفعل ما يشاء لا دافع لما أراد، ولا راد لما قضى ومع ذلك - مع أنه العزيز تبارك وتعالى

وتمجد، فهو الغفار كذلك، يغفر للعباد ذنوبهم ويتجاوز لهم عن خطاياهم،
قد فتح باب التوبة بقوله: (الْغَفْرُ ٥) أمام المستغفرين.

وهذه بعض أقوال العلماء في الآية الكريمة:

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره واصفاً نفسه بصفتها: (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ) يقول: يغشي هذا على هذا، وهذا على هذا، كما قال: (يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) [الحج: ١٦١].

وقال رحمه الله:

وقوله: (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) يقول تعالى ذكره: وسخر الشمس والقمر لعباده، ليعلموا بذلك عدد السنين والحساب، ويعرفوا الليل من النهار لمصلحة معاشهم (كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى) يقول: (كُلُّ) ذلك يعني الشمس والقمر (يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى) يعني إلى قيام الساعة، وذلك إلى أن تكور الشمس، وتنكدر النجوم. وقيل: معنى ذلك: أن لكل واحد منهما منازل، لا تعدوه ولا تقصر دونه ﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ يقول تعالى ذكره: ألا إن الله الذي فعل هذه الأفعال وأنعم على خلقه هذه النعم هو العزيز في انتقامه ممن عاداه، الغفار لذنوب عباده التائبين إليه منها بعفوه لهم عنها.

وقال ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالى أنه الخالق لما في السموات والأرض، وما بين ذلك من الأشياء، وأنه مالك الملك المتصرف، فيه يقلب ليله ونهاره، (يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ) أي: سخرهما يجريان متعاقبين لا يقران، كل

منهما يطلب الآخر طلبًا حثيثًا، كقوله: (يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا) [الأعراف: ٥٤] هذا معنى ما روي عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وغيرهم.

وقوله: (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى) أي: إلى مدة معلومة عند الله ثم تنتقضي يوم القيامة. (أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ) أي: مع عزته وعظمته وكبريائه هو غفار لمن عصاه ثم تاب وأناب إليه.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (خَلَقَ التَّكْوِينَ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) أي هو القادر على الكمال المستغني عن الصاحبة والولد ومن كان هكذا فحقه أن يفرد بالعبادة لا أنه يشرك به ونبه بهذا على أن له أن يتعبد العباد بما شاء وقد فعل وقوله تعالى: (يُكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوَرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ) قال الضحاك: أي يلقي هذا على هذا وهذا على هذا وهذا على معنى التكوين في اللغة وهو طرح الشيء بعضه على بعض يقال كور المتاع أي ألقى بعضه على بعض ومنه كور العمامة وقد روي عن ابن عباس هذا في معنى الآية قال: ما نقص من الليل دخل في النهار وما نقص من النهار دخل في الليل وهو معنى قوله تعالى: (يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ) [فاطر: ١٦] وقيل: تكوير الليل على النهار تغشيته إياه حتى يذهب ضوءه ويغشى النهار على الليل فيذهب ظلمته وهذا قول قتادة وهو معنى قوله تعالى: (يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا) [الأعراف: ٥٤]، (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) أي بالطلوع والغروب لمنافع العباد ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي في فلكه

إلى أن تنصرم الدنيا وهو يوم القيامة [حين] تنفطر السماء وتنتثر الكواكب وقيل : الأجل المسمى هو الوقت الذي ينتهي فيه سير الشمس والقمر إلى المنازل المرتبة لغروبها وطلوعها قال الكلبي : يسران إلى أقصى منازلها ثم يرجعان إلى أدنى منازلها لا يجاوزانه وقد تقدم بيان هذا في سورة (يس) (أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥٠﴾)، (أَلَا) تنبيه أي تنبهوا فإنني أن ﴿الْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿الْغَفَّارُ﴾ الساتر لذنوب خلقه برحمته.



س: ما المراد بالنفس الواحدة، وما المراد بزوجها، وكيف خلق منها زوجها؟

ج: النفس الواحدة آدم عليه السلام، والمراد بزوجها حواء عليها السلام، وقد خلقت من ضلع من أضلاعه كما في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن المرأة خلقت من ضلع» ^(١).



س: ما المراد بالإنزال في قوله تعالى: (وَأَنْزَلَ لَكُمْ...)؟

ج: المراد، والله أعلم، وخلق لكم أو جعل لكم.

قال القرطبي رحمه الله:

(وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمِينَةَ أَزْوَاجٍ) أخبر عن الأزواج بالنزول لأنها تكونت بالنبات والنبات بالماء المنزل هذا يسمى التدريج ومثله قوله

(١) البخاري (٥١٨٦)، ومسلم (١٤٦٨).

[illegible]

ج: هي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة، كذا قال جمهور المفسرين، والله أعلم.



س: وضع المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أَزْوَاجًا يَخْلُقَكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ...) الآية.

ج: المعنى، والله أعلم، خلقكم الله ﷻ يا بني آدم من نفس واحدة وهي آدم ﷺ، فقد كنتم في ظهره وفي صلبه ثم خلق حواء ﷺ من ضلع من أضلاع آدم ﷺ وكذا خلق لكم في الأرض التي تعيشون عليها ثمانية أزواج من الأنعام، وهي الجمل والفاقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والجدى والعنز، ثم بيّن الله ﷻ أحوال خلقنا في بطون أمهاتنا فقال: يخلقكم (يا بني آدم) في بطون أمهاتكم خلقًا من بعد خلق، أي أنكم تكونون نطفة ثم علقة ثم مضغة.. كما ذكر الله ﷻ في كتابه الكريم وكما ذكر النبي ﷺ في سنته^(١).

أما قوله: ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾، فهي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة، فهذا خالقكم وربكم وإلهمكم له ملك كل شيء- يفعل ما يشاء ويقضي بما يريد.

وهو إله واحد لا شريك له ولا معبود سواه فمن أي وجه تُصرفون عن الحق إلى الباطل وعن الإيمان والتوحيد إلى الكفر والشرك.

(١) انظر البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: (خَلَقَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) يعني: من آدم (ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) يقول: ثم جعل من آدم زوجه حواء، وذلك أن الله خلقها من ضلع من أضلاعه.

وقال:

وقوله: (وَأَنْزَلْ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ) يقول تعالى ذكره: وجعل لكم من الأنعام ثمانية أزواج من الإبل زوجين، ومن البقر زوجين، ومن الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، كما قال جل ثناؤه: (ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الْأَضْأَانِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ) [الأنعام: ١٤٣].

وقال:

وقوله: (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا تَلَدًا) يقول تعالى ذكره: يبتدئ خلقكم أيها الناس في بطون أمهاتكم خلقًا من بعد خلق، وذلك أنه يحدث فيها نطفة، ثم يجعلها علقة، ثم مضغة، ثم عظامًا، ثم يكسو العظام لحمًا، ثم ينشئه خلقًا آخر، تبارك الله وتعالى، فذلك خلقه إياه خلقًا بعد خلق.

وقال:

وقوله: (فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) يعني: في ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة.

وقال:

وقوله: (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ) يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعل هذه الأفعال أيها الناس هو ربكم، لا من لا يجلب لنفسه نفعاً، ولا يدفع عنها ضرراً، ولا يسوق إليكم خيراً، ولا يدفع عنكم سوءاً من أوثانكم وآلهتكم.

وقوله: (لَهُ الْمُلْكُ) يقول جل وعز: لربكم أيها الناس الذي صفته ما وصف لكم، وقدرته ما بين لكم الملك، ملك الدنيا والآخرة وسلطانهما لا لغيره، فأما ملوك الدنيا فإنما يملك أحدهما شيئاً دون شيء، فإنما له خاص من الملك. وأما الملك التام الذي هو الملك بالإطلاق فله الواحد القهار.

وقوله: (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ) يقول تعالى ذكره: لا ينبغي أن يكون معبود سواه، ولا تصلح العبادة إلا له (فَأَنَّى تُصْرَفُونَ) يقول تعالى ذكره: فأنى تصرفون أيها الناس فتذهبون عن عبادة ربكم الذي هذه الصفة صفته، إلى عبادة من لا ضرر عنده لكم ولا نفع.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) أي: خلقكم مع اختلاف أجناسكم وأصنافكم وألسنتكم وألوانكم من نفس واحدة، وهو آدم ﷺ (ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) ، وهي حواء، عليهما السلام، كقوله: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً) [النساء: ١] .

وقوله: (وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ) أي: وخلق لكم من ظهور الأنعام ثمانية أزواج وهي المذكورة في سورة الأنعام: (ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ) [الأنعام: ١٤٣] ، (وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ) [الأنعام: ١٤٤] وقوله: (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ) أي: قدركم في بطون أمهاتكم ﴿خَلَقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ أي: يكون أحدكم أولا نطفة، ثم يكون علقة، ثم يكون مضغة، ثم يخلق فيكون لحما وعظاما وعصبا وعروقا، وينفخ فيه الروح فيصير خلقا آخر، ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [١٤] .

[المؤمنون: ١٤] .

وقوله: (فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) يعني: ظلمة الرحم، وظلمة المشيمة -التي هي كالغشاوة والوقاية على الولد- وظلمة البطن. كذا قال ابن عباس، ومجاهد وعكرمة، وأبو مالك، والضحاك، وقتادة، والسدي، وابن زيد وقوله: (ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ) أي: هذا الذي خلق السموات والأرض وما بينهما وخلقكم وخلق آباءكم، هو الرب له الملك والتصرف في جميع ذلك، (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) أي: الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده، (فَأَنَّى تُصْرَفُونَ) [٦] أي: فكيف

تعبدون معه غيره؟ أين يذهب بعقولكم؟!



س: وضع معنى قوله تعالى: (إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٧) .

ج: المعنى، والله أعلم، إن تكفروا يا بني آدم، فإن كفركم لن يضر الله شيئاً، وإيمانكم لن ينتفع به ربكم ﷻ ولكن ربنا سبحانه وتعالى لا يرضى لعباده أن يكونوا كفاراً، ويرضى منكم أن تشكروه ويثيبكم على شكركم له ولا تحمل نفس إثم نفس أخرى بل كل نفس تحمل إثم ما ارتكبهت وما اجتنته ثم إلى ربكم مرجعكم يوم القيامة بعد بعثكم وخروجكم من قبوركم فيخبركم ربكم سبحانه وتعالى بما كنتم تعملون في دنياكم إنه عليم بما تخفيه الصدور.

قال الطبري رحمه الله:

والصواب من القول في ذلك ما قال الله جل وعز: إن تكفروا بالله أيها الكفار به، فإن الله غني عن إيمانكم وعبادتكم إياه، ولا يرضى لعباده الكفر، بمعنى: ولا يرضى لعباده أن يكفروا به، كما يقال: لست أحب الظلم، وإن أحببت أن يظلم فلان فلانا فيعاقب.

وقوله: (وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ) يقول: وإن تؤمنوا بربكم وتطيعوه يرض شكركم له، وذلك هو إيمانهم به وطاعتهم إياه، فكنى عن الشكر ولم يذكر،

وإنما ذكر الفعل الدال عليه، وذلك نظير قوله: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا) [آل عمران: ١٧٣] بمعنى: فزادهم قول الناس لهم ذلك إيمانًا.

وقال أيضًا:

وقوله: (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) يقول: لا تأثم آثمة إثم آثمة أخرى غيرها، ولا تؤاخذ إلا بإثم نفسها، يعلم ﷻ عباده أن على كل نفس ما جنت، وأنها لا تؤاخذ بذنب غيرها.

وقال:

وقوله: (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول تعالى ذكره: ثم بعد اجتراحكم في الدنيا ما اجتريتم من صالح وسيئ، وإيمان وكفر أيها الناس، إلى ربكم مصيركم من بعد وفاتكم، (فَيُنَبِّئُكُم) يقول: فيخبركم بما كنتم في الدنيا تعملونه من خير وشر، فيجازيكم على كل ذلك جزاءكم، المحسن منكم بإحسانه، والمسيئ بما يستحقه، يقول ﷻ لعباده: فاتقوا أن تلقوا ربكم وقد عملتم في الدنيا بما لا يرضاه منكم فتهلكوا، فإنه لا يخفى عليه عمل عامل منكم.

وقوله: (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) ﴿٧﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله لا يخفى عليه ما أضمته صدوركم أيها الناس مما لا تدركه أعينكم، فكيف بما أدركته العيون ورأته الأبصار. وإنما يعني جل وعز بذلك الخبر عن أنه لا يخفى عليه شيء، وأنه محص على عباده أعمالهم، ليجازيهم بها كي يتقوه في سر أمورهم وعلائقها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى مخبراً عن نفسه تعالى: أنه الغني عما سواه من المخلوقات، كما قال موسى: (إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾).

[إبراهيم: ٨]

وفي صحيح مسلم ^(١): «يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل منكم، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً». وقوله: (وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ) أي: لا يحبه ولا يأمر به، (وَأِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ) أي: يحبه منكم ويردكم من فضله. (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) أي: لا تحمل نفس عن نفس شيئاً، بل كل مطالب بأمر نفسه، (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾) أي: فلا تخفى عليه خافية.



(١) مسلم (حديث ٢٥٧٧).

قال الله تعالى:

(وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۝٨) أَمَنْ هُوَ قَتَلْتُمْ عَائِلاً سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝٩) قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠) قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۝١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ۝١٢) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٣) قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ۝١٤) فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُمِينُ ۝١٥) لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبَادُ فَاتَّقُونِ ۝١٦) وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ النَّاسَ أَتُوبَ أَوْ يُتُوبَ أُولَئِكَ عَلَى اللَّهِ هَدَاهُمْ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْأُولِيَاءُ ۝١٨) أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ أَلَّا يَأْتِيَ تَنْقِيذًا مِنَ النَّارِ ۝١٩) لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ ۝٢٠)

[الزمر: ٨-٢٠]

س: وضع معنى ما يلي:

(مَسَّ - ضُرَّ - مُنِيبًا - خَوَّلَهُ - أَدَادًا - لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ - قَنِيتُ - ءَانَاءَ اللَّيْلِ - يَتَذَكَّرُ -
أُولُوا الْأَلْبَابِ - اتَّقُوا رَبَّكُمْ - ظَلَلُ - فَاتَّقُونِ - الطَّلَعُوتَ - وَأَنَابُوا).

ج:

الكلمة	معناها
(مَسَّ)	أصاب
(ضُرَّ)	شدة - مرض - فقر
(مُنِيبًا)	راجعًا إليه - تائبًا
(خَوَّلَهُ)	أعطاه - منحه
(أَدَادًا)	أمثالا - شركاء
(لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ)	ليصرف الناس بصنيعه عن طاعة الله
(قَنِيتُ)	قائم في الصلاة مطيل القيام - طائع لربه
(ءَانَاءَ اللَّيْلِ)	ساعات الليل - أوله ووسطه وآخره
(يَتَذَكَّرُ)	يتعظ - يعتبر
(أُولُوا الْأَلْبَابِ)	أصحاب العقول النيرة الرشيدة
(اتَّقُوا رَبَّكُمْ)	اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية - احذروا غضب ربكم
(ظَلَلُ)	ظلٌ - مظلة - سقف
(فَاتَّقُونِ)	فاحذروا غضبي وعذابي

(الطَّغُوتَ)	كل ما عبد من دون الله (من صنم ووثن وشيطان وساحر وكاهن - ومدعي للربوبية والإلهية...)
(وَأَنَابُوا)	رجعوا - تابوا



س: وضع المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ...﴾ الآية.

ج: يبين الله ﷻ حال هذا الإنسان الكافر الجاحد لنعم الله ﷻ، أنه إذا أصابه ضرر في بدنه أو فقر أو شدة اتجه إلى ربه ﷻ سائلاً راجياً منيباً تواباً ثم إذا عافاه الله ﷻ ومنحه الصحة والمال وكشف عنه شدته التي ألمت به إذا به ينسى ربه ﷻ، وينسى نعم الله عليه، بل ويجعل الله ﷻ شركاء يعبدهم من دون الله ليقنّدي به الناس في ذلك فينصرفون عن طاعة الله وتوحيده إلى الشرك به والكفر بنعمه، فقل يا رسول الله مهدد هذا الشخص الجاحد الكافر، تمتع بما أنت عليه من دنياك الفانية الزائلة واكفر ما شئت أن تكفر فكل هذا المتاع الذي أنت فيه قليل وزائل وفان وإنك من أصحاب النار. وبنحو هذا قال أهل التأويل.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وإذا مس الإنسان بلاء في جسده من مرض أو عاهة، أو شدة في معيشته، وجهد وضيق (دَعَا رَبَّهُ) يقول: استغاث بربه الذي خلقه من شدة ذلك، ورغب إليه في كشف ما نزل به من شدة ذلك. وقوله: (مُنِيبًا إِلَيْهِ) يقول: تائباً إليه مما كان من قبل ذلك عليه من الكفر به،

وإشراك الآلهة والأوثان به في عبادته، راجعا إلى طاعته.

وقوله: (ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ) يقول تعالى ذكره: ثم إذا منحه ربه نعمة منه، يعني عافية، فكشف عنه ضره، وأبدله بالسقم صحة، وبالشدة رخاء. والعرب تقول لكل من أعطى غيره من مال أو غيره: قد حوله.

وقوله: (سَيِّئٌ مَّا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ) يقول: ترك دعاءه الذي كان يدعو إلى الله من قبل أن يكشف ما كان به من ضر (وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا) يعني: شركاء.

ولـ(مَا) التي في قوله: (سَيِّئٌ مَّا كَانَ) وجهان: أحدهما: أن يكون بمعنى الذي، ويكون معنى الكلام حينئذ: ترك الذي كان يدعو في حال الضر الذي كان به، يعني به الله تعالى ذكره، فتكون ﴿مَا﴾ موضوعة عند ذلك موضع (من) كما قيل: (وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ) ﴿٣﴾ [الكافرون: ٣] يعني به الله، وكما قيل: (فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ) [النساء: ٣]. والثاني: أن يكون بمعنى المصدر على ما ذكرت. وإذا كانت بمعنى المصدر، كان في الهاء التي في قوله: (إِلَيْهِ) وجهان: أحدهما: أن يكون من ذكر ما والآخر: من ذكر الرب.

وقوله: (وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا) يقول: وجعل لله أمثالا وأشباهها.

ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي جعلوها فيه له أندادا، قال بعضهم: جعلوها له أندادا في طاعتهم إياه في معاصي الله.

وقال آخرون: عنى بذلك أنه عبد الأوثان، فجعلها لله أندادا في عبادتهم إياها.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عنى به أنه أطاع الشيطان في عبادة الأوثان، فجعل له الأوثان أندادا، لأن ذلك في سياق عتاب الله إياهم له على عبادتها.

وقوله: (لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ) يقول: ليزيل من أراد أن يوحد الله ويؤمن به عن توحيده، والإقرار به، والدخول في الإسلام. وقوله: (قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لفاعل ذلك: تمتع بكفرك بالله قليلا إلى أن تستوفي أجلك، فتأتيك منيتك (إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) (٨): أي إنك من أهل النار الماكثين فيها. وقوله: (تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ) * : وعيد من الله وتهديد.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ) أي: عند الحاجة يضرع ويستغيث بالله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ فَلَمَّا جَنَحُوا إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا) (٦٧) * [الإسراء: ٦٧]. ولهذا قال: (ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ) أي: في حال الرفاهية ينسى ذلك الدعاء والتضرع، كما قال تعالى: (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ

دَعَا لِحِجْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ).

[يونس: ١٢]

(وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّیُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ) أي: في حال العافية يشرك بالله، ويجعل له أندادا. (قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) (٨) * أي: قل لمن هذه حاله

وطريقته ومسلكه: تمتع بكفرك قليلا. وهذا تهديد شديد ووعد أكيد، كقوله: (قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾) [إبراهيم: ٣٠]، وقوله: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾ [لقمان: ٢٤].

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي «تيسير الكريم الرحمن»:

يخبر تعالى عن كرمه بعبده وإحسانه وبره، وقلة شكر عبده، وأنه حين يمسه الضر، من مرض أو فقر، أو وقوع في كربة بحر أو غيره، أنه يعلم أنه لا ينجيه في هذه الحال إلا الله، فيدعوه متضرعا منيبا، ويستغيث به في كشف ما نزل به ويلج في ذلك. (ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ) الله (نِعْمَةً مِّنْهُ) بأن كشف ما به من الضر والكربة، (نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ) أي: نسي ذلك الضر الذي دعا الله لأجله، ومر كأنه ما أصابه ضر، واستمر على شركه. (وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّضِلٍّ عَنِ سَبِيلِهِ) أي: ليضل بنفسه، ويضل غيره، لأن الإضلال فرع عن الضلال، فأتى بالملزوم ليدل على اللازم. (قُلْ) لهذا العاتي، الذي بدل نعمة الله كفرا: (كُنتُمْ بِكُفْرِكُمْ لَئِيْلًا إِنَّا نَمُنُّ بِمَا نَعْبُدُ النَّارَ) فلا يغنيك ما تتمتع به إذا كان المال النار.



س: ما وجه الهمزة في قوله تعالى: (أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ...)؟

ج: من العلماء من قال إنها للنداء فيكون المعنى يا من هو قانت أناء الليل... قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون. ومن العلماء من قال إنها استفهامية كما قال تعالى: (أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن

كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوِي (١٨) [السجدة: ١٨].



س: أين جواب الاستفهام في قوله تعالى: (أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ الْيَلِّ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ).

ج: جوابه محذوف مفهوم من السياق، والمعنى هل يستوي هذا مع المضيع لأوامر الله ﷻ المتغافل عن طاعته المعرض عن توحيده. كالآية الأخرى أفنجعل المسلمين كالمجرمين. وكقوله: (أَمَّنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا) [السجدة: ١٨]، إلى غير ذلك.

mostafaaladwy.com

**س: وضع معنى قوله تعالى: (أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ
الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ...)**

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أَمَّنْ هو قائم لله ﷻ مطيع له يصلي له من الليل أحيانًا ساجدًا مُطِيبًا للسجود وأحيانًا مُطِيبًا للقيام يسأل ربه أن يصرف عنه العذاب في الآخرة ويسأله سبحانه أن يرحمه ويدخله جنته، قل هل يستوي الذي يعلمون أن هناك بعثٌ وثواب وعقاب والذين لا يعلمون ذلك، كلا فليس هناك استواء إنما يتعظ أصحاب العقول النيرة الرشيدة.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: أَمَّنْ هذه صفة كمن أشرك بالله وجعل له أندادًا؟ لا يستون عند الله، كما قال تعالى: (لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾) **إل عمران: ١١٣**، وقال هاهنا: (أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا) أي: في حال سجوده وفي حال قيامه؛ ولهذا استدل بهذه الآية من ذهب إلى أن القنوت هو الخشوع في الصلاة، ليس هو القيام وحده كما ذهب إليه آخرون.

وقال:

وقوله: (يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ) أي: في حال عبادته خائف راج، ولا بد في العبادة من هذا وهذا، وأن يكون الخوف في مدة الحياة هو الغالب؛ ولهذا قال: ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ ، فإذا كان عند الاحتضار فليكن الرجاء هو الغالب عليه.

وقال:

وقوله: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) أي: هل يستوي هذا والذي قبله ممن جعل الله أندادا ليضل عن سبيله؟! (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ) أي: إنما يعلم الفرق بين هذا وهذا من له لب وهو العقل.

وقال الطبري رحمه الله:

اختلفت القراءة في قراءة قوله: (أَمَّنْ) فقرأ ذلك بعض المكيبين وبعض المدنيين وعامة الكوفيين: (أمن) بتخفيف الميم، ولقراءتهم ذلك كذلك وجهان: أحدهما أن يكون الألف في (أمن) بمعنى الدعاء، يراد بها: يا من هو قانت آناء الليل، والعرب تنادي بالألف كما تنادي بيا، فتقول: أزيد أقبل، ويا زيد أقبل، ومنه قول أوس بن حجر:

أبني لبيني لستم بيد إلا بيد ليست لها عضد

وإذا وجهت الألف إلى النداء كان معنى الكلام: قل تمتع أيها الكافر بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار، ويا من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما إنك من أهل الجنة، ويكون في النار عما للفريق الكافر عند الله من الجزاء في الآخرة، الكفاية عن بيان ما للفريق المؤمن، إذ كان معلوما اختلاف أحوالهما في الدنيا، ومعقولا أن أحدهما إذا كان من أصحاب النار لكفره بربه أن الآخر من أصحاب الجنة، فحذف الخبر عما له، اكتفاء بفهم السامع المراد منه من ذكره، إذ كان قد دل على المحذوف بالمذكور. والثاني: أن تكون الألف التي في قوله: «أمن» ألف استفهام، فيكون معنى الكلام: أهذا كالذي جعل الله أندادا ليضل عن سبيله، ثم اكتفى بما قد سبق

التسهيل لتأويل التنزيل

من خبر الله عن فريق الكفر به من أعدائه، إذ كان مفهوما المراد بالكلام، كما قال الشاعر:

فأقسم لو شيء أتنا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

فحذف لدفعناه وهو مراد في الكلام إذ كان مفهوما عند السامع مراده. وقرأ ذلك بعض قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة: (أَمَّنْ) بتشديد الميم، بمعنى: أم من هو؟ ويقولون: إنما هي (أَمَّنْ) استفهام اعترض في الكلام بعد كلام قد مضى، فجاء بأَمْ، فعلى هذا التأويل يجب أن يكون جواب الاستفهام متروكا من أجل أنه قد جرى الخبر عن فريق الكفر، وما أعد له في الآخرة، ثم أبع الخبر عن فريق الإيمان، فعلم بذلك المراد، فاستغني بمعرفة السامع بمعناه من ذكره، إذ كان معقولا أن معناه: هذا أفضل أم هذا؟.

والقول في ذلك عندنا أنهما قراءتان قرأ بكل واحدة علماء من القراء مع صحة كل واحدة منهما في التأويل والإعراب، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وأورد الطبري جملة من المعاني لقوله: (قَنَيْتُ).

منها: قراءة القارئ قائما في الصلاة.

ومنها: الطاعة.

وقال:

وقوله: (سَاجِدًا وَقَائِمًا) يقول: يقنت ساجداً أحياناً، وأحياناً قائماً، يعني: يطيع، والقنوت عندنا الطاعة، ولذلك نصب قوله: (سَاجِدًا وَقَائِمًا) لأن

معناه: أمن هو يقنت آناء الليل ساجداً طوراً، وقائماً طوراً، فهما حال من قانت.

وقوله: (يَحْذَرُ الْآخِرَةَ) يقول: يحذر عذاب الآخرة.

وقال:

وقوله: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لقومك: هل يستوي الذين يعلمون ما لهم في طاعتهم لربهم من الثواب، وما عليهم في معصيتهم إياه من التبعات، والذين لا يعلمون ذلك، فهم يخطئون في عشواء، لا يرجون بحسن أعمالهم خيراً، ولا يخافون بسيئها شراً؟ يقول: ما هذان بمنسولين.

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ يقول تعالى ذكره: إنما يعتبر حجج الله، فيتعظ، ويتفكر فيها، ويتدبرها أهل العقول والحجاء، لا أهل الجهل والنقص في العقول.



س: وضح معنى الآية الكريمة (قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا ثَنُوا عَلَيَّ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً...).

ج: المعنى، والله أعلم، قل يا رسول الله يا من آمن من عباد الله جعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية، وذلك بامتنال أمره وبطاعته واجتناب نواهيه فالذين أطاعوا منكم وراقبوا الله ﷻ واتقوه في هذه الدنيا لهم حسنة عند الله ﷻ مدخرة، فإذا لم تستطيعوا طاعة الله وإقامة أمره واجتناب نهيه في مكان، فما هي أرض واسعة فهاجروا إلى مكان تستطيعون فيه إقامة

التسهيل لتأويل التنزيل

دينكم، فالصابرون على طاعة الله ﷻ يوفيه الله أجورهم يوم القيامة في الجنة بلا حساب فيفضل عليهم بما يشاء.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: (قُلْ) يا محمد لعبادي الذين آمنوا:
(يَعْبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا) بالله، وصدقوا رسوله (اتَّقُوا رَبَّكُمْ) بطاعته واجتناب معاصيه (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ).

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: للذين أطاعوا الله حسنة في هذه الدنيا، وقال: (في) من صلة حسنة، وجعل معنى الحسنه: الصحة والعافية.

وقال آخرون: (في) من صلة أحسنوا، ومعنى الحسنه: الجنة.

وقوله: (وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَتْ) يقول تعالى ذكره: وأرض الله فسيحة واسعة، فهاجروا من أرض الشرك إلى دار الإسلام.

وقوله: (إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) يقول تعالى ذكره: إنما يعطي الله أهل الصبر على ما لقوا فيه في الدنيا أجرهم في الآخرة بغير حساب، يقول: ثوابهم بغير حساب.

وقال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى أمراً عباده المؤمنين بالاستمرار على طاعته وتقواه: (قُلْ

يَعْبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ) أي: لمن أحسن العمل في هذه الدنيا حسنة في دنياهم وأخراهم.

وقوله: (وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَتْ) قال مجاهد: فهاجروا فيها، وجاهدوا،

واعتزلوا الأوثان.

وقال شريك، عن منصور، عن عطاء في قوله: (وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ) قال: إذا دعيتم إلى المعصية فاهربوا، ثم قرأ: (أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا) .

[النساء: ٩٧]

وقوله: (إِنَّمَا يُوفَّى الصَّادِقُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) ﴿١٠﴾ قال الأوزاعي: ليس يوزن لهم ولا يكال، إنما يغرف لهم غرقاً.

وقال ابن جريج: بلغني أنه لا يحسب ثواب عملهم قط، ولكن يزدادون على ذلك.

وقال السدي: (إِنَّمَا يُوفَّى الصَّادِقُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) ﴿١٠﴾ يعني: في الجنة.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى في «أضواء البيان» في معنى قوله

تعالى: (وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ): الظاهر أن معنى الآية: أن الإنسان إذا كان في محل لا يتمكن فيه من إقامة دينه على الوجه المطلوب، فعليه أن يهاجر منه، في مناكب أرض الله الواسعة، حتى يجد محلاً تمكنه فيه إقامة دينه.

وقد أوضح تعالى هذا المعنى في غير هذا الموضع، كقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْغُلَامَ ظَالِمٌ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا) [النساء: ٩٧]. وقوله تعالى: (يَعْبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَأَعْبُدُونِ) ﴿٥٦﴾ [العنكبوت: ٥٦]، ولا يخفى أن الترتيب بالفاء في قوله: (فَأِنِّي فَأَعْبُدُونِ) ﴿٥٦﴾ على قوله: (إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ) دليل واضح على ذلك.



س: وضع معنى قوله تعالى: (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) ﴿١١﴾ وأُمِرْتُ

لِأَنَّا أَكُونُ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٣﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٤﴾

ج: المعنى، والله أعلم، قل يا رسول الله لقومك ومن بعثت فيهم إن الله ﷻ أمرني أن أفرده وحده بالعبادة وأتجه إليه بالطاعة ولا أشرك معه أحدًا في العبادة وكذا أمرني ربي أن أكون أول المسلمين من أمتي، أول من وحّد من أمتي رقل لهم أيضًا إنني أخشى إذا خالفت ربي في هذا الذي أمرني به عذاب يوم القيامة، وهو عذاب شديد عظيم، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ □ **قل يا محمد لمشركي قومك:** إن الله أمرني أن أعبد مفردا له الطاعة، دون كل ما تدعون من دونه من الآلهة والأنداد (وَأَمَرْتُ لِأَنَّا أَكُونُ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٣﴾) : يقول: وأمرني ربي جل ثناؤه بذلك، لأن أكون بفعل ذلك أول من أسلم منكم، فخص به بالتوحيد، وأخلص له العبادة، وبرئ من كل ما دونه من الآلهة. وقوله تعالى: (قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾) : يقول تعالى ذكره: قال يا محمد لهم إنني أخاف إن عصيت ربي فيما أمرني به من عبادته، مخلصا له الطاعة، ومفرده بالربوبية. (عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾) : يعني عذاب يوم القيامة، ذلك هو اليوم الذي يعظم هوله.



س: كيف يؤمر صلوات الله وسلامه عليه أن يكون أول المسلمين، والأنبياء من قبله كانوا على الإسلام، قال يعقوب عليه السلام لنبيه: (يَبْنِيَنَّ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾) [البقرة: ١٣٢].

ج: المراد، والله أعلم، أول المسلمين من أمته.

وقال الحافظ ابن كثير رحمته الله:

وقوله: (قُلْ إِنِ امْرُؤٌ أَنْعَبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾) أي: إنما أمرت بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له.

(وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾) قال السدي: يعني من أمته ﷺ.

يقول تعالى: قل يا محمد وأنت رسول الله: (إِنِّي أَخَافُ أَنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾)، وهو يوم القيامة. وهذا شرط، ومعناه التعريض بغيره بطريق الأولى والأخرى.



س: قوله تعالى: (فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِي) هل يجوز لهم أن يعبدوا الأصنام؟

ج: لا يجوز لهم ذلك، إنما هو على سبيل التهديد للكفار وبيان ثبات النبي ﷺ على الحق، وهذه الآية كقوله تعالى: (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ) [الكهف: ٢٩]، وكقوله تعالى: (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ) [فصلت: ٤٠]، ونحو ذلك، والله أعلم.

س: وضع المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾)

فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِي قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، قل يا رسول الله لقومك إنني أعبد الله

التسهيل لتأويل التنزيل

وَعَلَيْكُمْ وَحده لا شريك له، وسأستمر على تلك العبادة مُفردًا له بها دون ما سواه من الأصنام والأنداد فاعبدوا ما شئتم يا مشعر قريش من شاء أن يعبد صمًا عبده، ومن شاء أن يعبد حجرًا عبده، ومن شاء أن يعبد شجرًا عبده، ومن شاء أن يعبد شيطانًا عبده، ومن شاء أن يعبد أي إله آخر عبده، فستعلمون عاقبة أمري وعاقبة أمركم وسنجازي بصنيعنا وستجازون بصنيعكم، فالخاسرون حق الخسران هم الذين ضيعوا أنفسهم وباعوها بأثفه الأثمان، واعتاضوا عن الإيمان بالشرك بالله، فهؤلاء الذين خسروا أنفسهم وضيعوها وخسروا أهلهم كذلك يوم القيامة، فإنهم إذا دخلوا النار، ودخل أهلوه النار معهم فهناك بينهم التلاعن والسباب، وإذا دخل أهلوه الجنة فسيتبرأ أهلوه منهم كذلك، فهذا هو الخسران الحقيقي أن يخسر الشخص نفسه ويوردها نارًا تلظى، وكذا أن يخسر أهله ومحبيه ويخسر حور العين اللواتي أعدهن له إذا كان قد أسلم بل ويلعنونه في الجحيم. والعياذ بالله.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: قل يا محمد لمشركي قومك: الله أعبد مخلصا، مفردا له طاعتي وعبادتي، لا أجعل له في ذلك شريكا، ولكني أفرده بالألوهة، وأبرأ مما سواه من الأنداد والآلهة، فاعبدوا أنتم أيها القوم ما شئتم من الأوثان والأصنام، وغير ذلك مما تعبدون من سائر خلقه، فستعلمون وبال عاقبة عبادتكم ذلك إذا لقيتم ربكم.

وقوله: (قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ) يقول تعالى ذكره: قل يا محمد

لهم: إن الهالكين الذين غبنوا أنفسهم، وهلكت بعذاب الله أهلهم مع أنفسهم، فلم يكن لهم إذ دخلوا النار فيها أهل، وقد كان لهم في الدنيا أهلون. **وقوله:** (أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾) يقول تعالى ذكره: ألا إن خسران هؤلاء المشركين أنفسهم وأهلهم يوم القيامة، وذلك هلاكها هو الخسران المبين، يقول تعالى ذكره: هو الهلاك الذي يبين لمن عاينه وعلمه أنه الخسران.

وقال ابن كثير رحمه الله:

(قُلِ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَأَعِزُّوهُ مَا شِئْتُمْ مِّنْ دُونِهِ) وهذا أيضا تهديد وتبرر منهم، (قُلِ إِنَّ الْخُسْرَانَ) أي: إنما الخاسرون كل الخسران (الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ) أي: تفارقوا فلا لقاء لهم أبدًا، سواء ذهب أهلهم إلى الجنة وقد ذهبوا هم إلى النار، أو أن الجميع أسكنوا النار، ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور، (أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾) أي: هذا هو الخسران البين الظاهر الواضح.



س: وضح معنى قوله تعالى: (لَهُمْ مِّنْ قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهَا يُلَاقُونَ ظُلَّةً

يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَخَافُونَ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن هؤلاء الذين خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة بشركهم وكفرهم بالله ﷻ أعد لهم الله ﷻ نارا تلظى، وكذا الظل

الذي يستظلون به نار كذا كما قال تعالى: (أُظْلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾

لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهِ (المرسلات: ٣٠-٣١)، وكما قال: (وَلَا يَنْفَعُ مِنْ يَوْمِهِمْ).

[الواقعة: ٤٣]

وكما قال تعالى: (لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ) [الأعراف: ٤١]، فهذا الخطر العظيم يحذر الله منه العباد ويخوفهم به ليقنعوا عن شركهم، فشرّكهم الذي يتسبب لهم فيه، ويحثهم ربنا على طاعته فطاعته تنجيهم من ذلك.

وقوله: (يَعْبَادِ فَاتَّقُونِ) ﴿١٦﴾ أي: فاحذروا عذابي، واتقوا غضبي.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لهؤلاء الخاسرين يوم القيامة في جهنم: (مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ) وذلك كهيئة الظلل المبنية من النار (وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ) يقول: ومن تحتهم من النار ما يعلوهم، حتى يصير ما يعلوهم منها من تحتهم ظللاً وذلك نظير قوله جل ثناؤه لهم: (مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ) [الأعراف: ٤١] يغشاهم مما تحتهم فيها من المهاد.

وقوله: (ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ، يَعْبَادِ فَاتَّقُونِ) ﴿١٦﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي أخبرتكم أيها الناس به، مما للخاسرين يوم القيامة من العذاب، تخويف من ربكم لكم، يخوفكم به لتحذروه، فتجتنبوا معاصيه، وتنبهوا من كفركم إلى الإيمان به، وتصديق رسوله، واتباع أمره ونهيه، فتنجوا من عذابه في الآخرة (فَاتَّقُونِ) ﴿١٦﴾ يقول: فاتقوني بأداء فرائضي عليكم، واجتناب معاصي، لتنجوا من عذابي وسخطي.

وقال ابن كثير رحمه الله:

ثم وصف حالهم في النار فقال: (لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴿٤٩﴾) كما قال: (لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾) [الأعراف: ٤٩]، وقال: (يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥١﴾) [العنكبوت: ٥٥].

وقوله: (ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ) أي: إنما يقص خبر هذا الكائن لا محالة ليخوف به عباده، لينزجروا عن المحارم والمآثم.

وقوله: (يَعْبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾) أي: اخشوا بأسى وسطوتي، وعذابي ونقمتي.



س: ما المراد بالطاغوت؟

ج: المراد بالطاغوت كل ما عُبد من دون الله ﷻ من شيطان وصنم وكبير قوم وساحر وكاهن وغير ذلك، فهو كل من تجاوز به العباد الحد فعبدوه من دون الله ﷻ.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأُولَئِكَ إِلَهُهُمْ) [البشرى: ١٧] فبشر عبادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ (١٨).

ج: المعنى، والله أعلم، والذين ابتعدوا عن الآلهة التي عُبدت من دون الله من أصنام وأوثان وأشجار وأحجار، وشياطين وكهان وسحرة ومردة وغير ذلك مما عُبد من دون الله، فاتقوها وابتعدوا عنها وجانبوها،

التسهيل لتأويل التنزيل

ورجعوا إلى الله ﷻ وإلى عبادته وحده لا شريك له، هؤلاء المبشرون في دنياهم بأن لهم الجنة في الآخرة فبشرهم بذلك يا رسول الله، بشر هؤلاء العباد الصالحين المتقين الذين يستمعون الأقوال فيأخذون بأحسنها وأوضحها وأدلها على توحيد الله ﷻ وهي الآيات البينات النيرات، فهؤلاء المتبعون للآيات البينات النيرات هم الذين وفقهم الله لسلوك طريق الحق، ذلكم الطريق الموصل إلى جنة الله ومرضاته، هؤلاء هم أصحاب العقول النيرة الرشيدة إذ اختاروا توحيد الله على الشرك به واختاروا الاستقامة على أمره.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ) : أي اجتنبوا كل ما عبد من دون الله من شيء.

وقال:

وقوله: (وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ) يقول: وتابوا إلى الله ورجعوا إلى الإقرار بتوحيده، والعمل بطاعته، والبراءة مما سواه من الآلهة والأنداد.

وقال:

وقوله: (هُمُ الْبَشَرَى) يقول: لهم البشرى في الدنيا بالجنة في الآخرة (فَبَشِّرْ عِبَادَ ۚ) (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ ۖ يَقُولُ جَل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: فبشر يا محمد عبادي الذين يستمعون القول من القائلين، فيتبعون أرشده وأهداه، وأدله على توحيد الله، والعمل بطاعته، ويتركون ما سوى ذلك من القول الذي لا يدل على رشاد، ولا يهدي إلى سداد.

وقوله: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ) يقول تعالى ذكره: الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، الذين هداهم الله، يقول: وفقهم الله للرشاد وإصابة الصواب، لا الذين يعرضون عن سماع الحق، ويعبدون ما لا يضر، ولا ينفع. وقوله: (وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ) (١٨) يعني: أولو العقول والحجا.

وقال السعدي رحمه الله في «تيسير الكريم الرحمن»:

(لَهُمُ الْبُشْرَى) التي لا يقدر قدرها، ولا يعلم وصفها، إلا من أكرمهم بها، وهذا شامل للبشرى في الحياة الدنيا بالثناء الحسن، والرؤيا الصالحة، والعناية الربانية من الله، التي يرون في خلالها، أنه مريد لإكرامهم في الدنيا والآخرة، ولهم البشرى في الآخرة عند الموت، وفي القبر، وفي القيامة، وخاتمة البشرى ما يبشرهم به الرب الكريم، من دوام رضوانه وبره وإحسانه وحلول أمانه في الجنة.

قال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) (١٨).

أظهر الأقوال في الآية الكريمة، أن المراد بالقول، ما جاء به النبي ﷺ، من وحي الكتاب والسنة، ومن إطلاق القول على القرآن قوله تعالى: (أَفَلَمْ يَذَّبُوا الْقَوْلَ) الآية [المؤمنون: ٦٨]. وقوله تعالى: (إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ) (١٣) وما هو بأقل (١٤) [الطارق: ١٣-١٤]. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) أي: يقدمون الأحسن، الذي هو أشد حسناً، على الأحسن الذي هو دونه في الحسن، ويقدمون الأحسن مطلقاً على الحسن. ويدل لهذا آيات من كتاب الله.

التسهيل لتأويل التنزيل

أما الدليل على أن القول الأحسن المتبع. ما أنزل عليه ﷺ من الوحي، فهو في آيات من كتاب الله كقوله تعالى: (وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ) [الزمر: ٥٥]، وقوله تعالى لموسى يأمره بالأخذ بأحسن ما في التوراة: (فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا).

وأما كون القرآن فيه الأحسن والحسن، فقد دلت عليه آيات من كتابه. واعلم أولاً أنه لا شك في أن الواجب أحسن من المندوب، وأن المندوب أحسن من مطلق الحسن، فإذا سمعوا مثلاً قوله تعالى: (وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) ﴿٧٧﴾ [البج: ٧٧] قدموا فعل الخير الواجب، على فعل الخير المندوب، وقدموا هذا الأخير، على مطلق الحسن الذي هو الجائز، ولذا كان الجزاء بخصوص الأحسن الذي هو الواجب والمندوب، لا على مطلق الحسن، كما قال تعالى: (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) ﴿٧﴾ [الغبيكوت: ٧]. وقال تعالى: (وَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) ﴿٣٥﴾ [الزمر: ٣٥] كما قدمنا إيضاحه في سورة النحل، في الكلام على قوله تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ﴿١٧﴾ [النحل: ١٧]، وبيننا هناك دلالة الآيات على أن المباح حسن، كما قال صاحب المراقي:

ما ربنالمنه عنه حسن وغيره القبيح والمستتهجن

ومن أمثلة الترغيب في الأخذ بالأحسن وأفضليته مع جواز الأخذ بالحسن قوله تعالى: (وَلِإِن عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ) ﴿١٦﴾ [النحل: ١٦]، فالأمر في قوله: (فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا

عُوقِبْتُمْ بِهِ) للجواز، والله لا يأمر إلا بحسن. فدل ذلك على أن الانتقام حسن، ولكن الله بين أن العفو والصبر، خير منه وأحسن في قوله: (وَلَيْنَ صَبْرُكُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) (١٣٦) وأمثال ذلك كثيرة في القرآن، كقوله تعالى في إباحة الانتقام: (وَلَمَنِ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ) (٤١) [الشورى:

٤١]، مع أنه بين أن الصبر والغفران خير منه، في قوله بعده: (وَلَمَنِ صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (٤٣)، وكقوله في جواز الانتقام: (لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ) [النساء: ١٤٨]، مع أنه أشار إلى أن العفو خير منه، وأنه من صفاته جل وعلا مع كمال قدرته وذلك في قوله بعده: (إِنْ يُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعَفُّوا عَنْ سَوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا) (١٤٩) [النساء: ١٤٩]. وكقوله جل وعلا مثنيًا على من تصدق، فأبدى صدقته (إِنْ يُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ) [البقرة: ٢٧١]، ثم بين أن إخفاءها وإيتاءها الفقراء، خير من إبدائها الذي مدحه بالفعل الجامد، الذي هو لإشياء المدح الذي هو نعم، في قوله: (إِنْ يُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخَفُّوْهَا وَتُوْتُوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ) [البقرة: ٢٧١].

وكقوله في نصف الصداق اللازم، للزوجة بالطلاق، قبل الدخول: (فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُ) [البقرة: ٢٣٧]، ولا شك أن أخذ كل واحد من الزوجين النصف حسن، لأن الله شرعه في كتابه في قوله: (فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُ) [البقرة: ٢٣٧]، مع أنه رغب كل واحد منهما، أن يعفو للآخر عن نصفه، وبين أن ذلك أقرب للتقوى وذلك في قوله بعده: (وَأَنْ تَعَفُّوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ) [البقرة: ٢٣٧].

وقد قال تعالى: (وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلُهَا)، ثم أرشد إلى الأحسن بقوله: (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) [الشورى: ٤٠]، وقال تعالى: (وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ)، ثم أرشد إلى الأحسن، في قوله: (فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ) [المائدة: ٤٥].

واعلم أن في هذه الآية الكريمة أقوالاً غير الذي اخترنا. منها ما روي عن ابن عباس، في معنى: (فَيَسْتَعْمُونَ أَحْسَنَهُ) قال: «هو الرجل يسمع الحسن والقبيح فيتحدث بالحسن، وينكف عن القبيح، فلا يتحدث به».

وقيل: «يستمعون القرآن وغيره، فينبعون القرآن».

وقيل: «إن المراد بأحسن القول: لا إله إلا الله»، وبعض من يقول بهذا يقول: «إن الآية نزلت فيمن كان يؤمن بالله قبل بعث الرسول ﷺ، كزيد بن عمرو بن نفيل العدوي، وأبي ذر الغفاري، وسليمان الفارسي»، إلى غير ذلك من الأقوال.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تيسير الكريم الرحمن»:

ولما أخبر أن لهم البشرى، أمره الله ببشارتهم، وذكر الوصف الذي استحقوا به البشارة فقال: (فَبَشِّرْ عِبَادِ ۚ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) وهذا جنس يشمل كل قول فهم يستمعون جنس القول ليميزوا بين ما ينبغي إثارة مما ينبغي اجتنابه، فلهذا كان من حزمهم وعقلهم أنهم يتبعون أحسنه، وأحسنه على الإطلاق كلام الله وكلام رسوله، كما قال في هذه السورة: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا) [الزمر: ٢٣].

وفي هذه الآية نكتة، وهي: أنه لما أخبر عن هؤلاء الممدوحين أنهم يستمعون القول فيتبعون أحسنه، كأنه قيل: هل من طريق إلى معرفة أحسنه حتى نتصف بصفات أولي الألباب، وحتى نعرف أن من أثره علمنا أنه من أولي الألباب؟

قيل: نعم، أحسنه ما نص الله عليه (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَدِّيًا) الآية.

أولئك الذين ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ﴿لأحسن الأخلاق والأعمال﴾ (وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾) أي: العقول الزاكية. ومن لبهم وحزمهم، أنهم عرفوا الحسن من غيره، وآثروا ما ينبغي إثارة، على ما سواه، وهذا علامة العقل، بل لا علامة للعقل سوى ذلك، فإن الذي لا يميز بين الأقوال، حسنهما، وقيبحهما، ليس من أهل العقول الصحيحة، أو الذي يميز، لكن لما غلبت شهوته على عقله، فبقي عقله تابعاً لشهوته فلم يؤثر الأحسن، كان ناقص العقل.



س: وضح معنى قوله تعالى: (أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْفِرُ مِنْ فِي

النَّارِ ﴿١٩﴾).

ج: هذه الآية الكريمة كالمواساة لرسول الله ﷺ فالمعني لا تحزن يا رسول الله من عدم إسلامهم وعدم إيمانهم، فالذي سبق في علم الله أنه سيكون من أهل النار سيكون ولا بُدَّ من أهلها ولن تستطيع مهما بذلت معه

من جهدٍ أن تهديه، وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يعني تعالى ذكره بقوله: (أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ) : أفمن وجبت عليه كلمة العذاب في سابق علم ربك يا محمد بكفره به.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى: أفمن كتب الله أنه شقي تُقدر تُنقذه مما هو فيه من الضلال والهلاك؟ أي: لا يهديه أحد من بعد الله؛ لأنه من يضل الله فلا هادي له، ومن يهده فلا مضل له.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: (أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ) (١٩).

أظهر القولين في الآية الكريمة: أنهما جملتان مستقلتان، فقوله: (أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ)، جملة مستقلة، لكن فيها حذف، وحذف ما دل المقام عليه واضح، لا إشكال فيه.

والتقدير: أفمن حق عليه كلمة العذاب، تخلصه أنت منه؟ والاستفهام مضمن معنى النفي، أي: لا تخلص أنت يا نبي الله أحدًا سبق في علم الله أنه يعذبه من ذلك العذاب، وهذا المحذوف دل عليه قوله بعده: (أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ) (١٩).

وقد قدمنا مرارًا قولي المفسرين في أداة الاستفهام المقترنة بأداة عطف كالفاء والواو وثم كقوله هنا: (أَفَمَنْ حَقَّ)، وقوله: (أَفَأَنْتَ تُنقِذُ).



س: اذكر بعض الوارد في الغرف التي أعدت لأهل الإيمان في فسيح

الجنان.

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري ومسلم ^(١) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة كما تراءون الكوكب في السماء»، وفي الصحيحين ^(٢) أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم»، قالوا: يا رسول الله! تلك منازل الأنبياء. لا يبلغها غيرهم. قال: «بلى، والذي نفسي بيده! رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين».



س: وضح معنى قوله تعالى: (لَكِنَّ الَّذِينَ آتَفَقُوا رَبَّهُمْ عَلَيْهِمْ شَدِيدُ غُرْفَةٍ مِّنْ فَوْقَهَا عُرْفٌ

مَبْنِيَّةٌ... ﴿الآية﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، لكن الذين خافوا الله واجتنبوا الشرك به وعبدوا الله وحده لا شريك له وأطاعوه لهم يوم القيامة غرفٌ من فوقها غرف مبنية بعضها - كما في الأحاديث بلبنة من ذهب وبلبنية من فضة، وبعضها من ذهب وبعضها من فضة... تجري تحت قصورها الأنهار،

(١) البخاري (٦٥٥٥)، ومسلم (٢٨٣٠)، واللفظ له.

(٢) البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١)، واللفظ له.

فهذا تحقيق وعد الله الذي وعدهم إياه، ولا يخلف الله الميعاد.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ غُرُفٌ مِّنْ فَوْقَهَا غُرُفٌ مَّبْنِيَّةٌ) يقول تعالى ذكره: لكن الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه واجتناب محارمه، لهم في الجنة غرف من فوقها غرف مبنية علالي بعضها فوق بعض (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) يقول تعالى ذكره: تجري من تحت أشجار جناتها الأنهار.

وقوله: (وَعَدَ اللَّهُ) يقول جل ثناؤه: وعدنا هذه الغرف التي من فوقها غرف مبنية في الجنة، هؤلاء المتقين (لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ٢٠) يقول جل ثناؤه: والله لا يخلفهم وعده، ولكنه يوفي بوعه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

ثم أخبر عن عباده السعداء أنهم لهم غرف في الجنة، وهي القصور الشاهقة ﴿مِنْ فَوْقَهَا غُرُفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ ، أي: طباق فوق طباق، مبنيات محكمات مزخرفات عاليات.

وقوله: (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) أي: تسلك الأنهار بين حلال ذلك، كما يشاؤوا وأين أرادوا، (وَعَدَ اللَّهُ) أي: هذا الذي ذكرناه وعد وعده الله عباده المؤمنين (لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ٢٠).



قال الله تعالى:

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١﴾ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِٖٓ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِم مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَفَتِّحًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِٓ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّبِعِ بَوَجهَهُ سَوْءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْمُلُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَاَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبَ النَّاسَ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مِيتٌ وَإِنَّهُمْ مِّيتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾)

[الزمر: ٢١-٣١]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿فَسَلَكَهُ، يَنْبِيعَ - يَهِيْجُ - مُصْفَرًّا - حُطْلَمًا - لَذَكْرَى - شَرَحَ - فَوَيْلٌ - لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ - ضَلَّلِيْ - مُتَشَبِّهًا - مَّثَانِيَ - نَقَشَعُرٌ - يَنْقَى بِوَجْهِهِ، سُوءَ الْعَذَابِ - عَوَجَ - مُتَشَكِّسُونَ - سَلَمًا - مَخَصِمُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(فَسَلَكَهُ)	فأدخله
(يَنْبِيعَ)	جمع ينبوع وهو العين - عيون
(يَهِيْجُ)	يبس
(مُصْفَرًّا)	أصفر (بعد خضرته)
(حُطْلَمًا)	متقننا
(لَذَكْرَى)	لعظة وعبرة
(شَرَحَ)	وسَّعَ - فسح
(فَوَيْلٌ)	توعدُّ بعذاب شديد - واد في جهنم
(لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ)	للذين لا تلين قلوبهم ولا تخضع للحق
(ضَلَّلِيْ)	بُعد عن الصواب والهدى
(مُتَشَبِّهًا)	يشبه بعضه بعضًا في الحسن والأحكام
(مَّثَانِيَ)	متكرر - تتكرر معانيه وتتكرر الأوامر فيه بالشيء الواحد حتى يفهم، وكذا القصص

تفسير سورة الزمر

٦١

تضطرب من الخوف	(نَفْسَعِرُ)
يدفع النار عن نفسه بوجهه - لا يجد ما يدافع به عن نفسه إلا وجهه فيستقبل به أسوأ العذاب	(يَنْقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ)
لبس - اختلاف - تعارض - تضاد	(عَوَجَ)
مختلفون وأخلاقهم سيئة	(مُتَشَكِّمُونَ)
خالصاً (لا يشاركه فيه غيره)، وقيل: سلماً ضد	(سَلَمًا)
تتحاكمون	(تَخَصِمُونَ)

س: **وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**

فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ .. الآية.

ج: ألم تر بعينيك ومن ثم تستدل بها على وحدانية الله وقدرته وعلى البعث بعد الموت ألم تر ما يحدث أمام عينيك **ﷻ** أنزل من السماء ماءً فأدخل في عيونه في الأرض - فكل الماء الذي في الأرض إنما هو من السماء - فيخرج ربنا **ﷻ** وتعظم وتقُدس يُخرج من هذه الأرض صنوفاً من الزروع مختلفة الأشكال والألوان والأطعمة والروائح ثم يبس هذا النبات من بعد خضرته، ويذبل من بعد بهجته فتراه مصفراً بعد اخضرار ثم يجعله يابساً يتفتت ويتكسر كالتبن ونحو ذلك، إن في هذا الذي يحدث أمامك وتراه بعينك لعظةً يتعظ بها من أنار الله بصيرته وأحيا قلبه، وكذا عبرة لمن أراد أن يعتبر ولكن المعتبر هو من هداه الله ووفقه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: (أَلَمْ تَرَ) يا محمد (أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) وهو المطر (فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ) يقول: فأجراه عيوناً في الأرض، وأحدها ينبوع، وهو ما جاش من الأرض.

وقال:

(زَرَعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ) يعني: أنواعاً مختلفة من بين حنطة وشعير وسمسم وأرز، ونحو ذلك من الأنواع المختلفة (ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا) يقول: ثم يبس ذلك الزرع من بعد خضرته، يقال للأرض إذا يبس ما فيها من الخضر وذوى: هاجت الأرض، وهاج الزرع.

وقوله: (فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا) يقول: فتراها من بعد خضرته ورطوبته قد يبس فصار أصفر، وكذلك الزرع إذا يبس اصفر (ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا) والحطام: فئات التبن والحشيش، يقول: ثم يجعل ذلك الزرع بعد ما صار يابساً فئاتاً متكسراً.

وقوله: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ) يقول تعالى ذكره: إن في فعل الله ذلك كالذي وصف لذكرى وموعظة لأهل العقول والحياء يتذكرون به، فيعلمون أن من فعل ذلك فلن يتعذر عليه إحداث ما شاء من الأشياء، وإنشاء ما أراد من الأجسام والأعراض، وإحياء من هلك من خلقه من بعد مماته وإعادته من بعد فنائه، كهيئته قبل فنائه، كالذي فعل بالأرض التي أنزل عليها من بعد موتها الماء، فأنبث بها الزرع المختلف

الألوان بقدرته.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يخبر تعالى: أن أصل الماء في الأرض من السماء كما قال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾) [الفرقان: ٤٨]، فإذا أنزل الماء من السماء كَمَن في الأرض، ثم يصرفه تعالى في أجزاء الأرض كما يشاء، ويُبَيِّعُه عيوثًا ما بين صغار وكبار، بحسب الحاجة إليها؛ ولهذا قال: (فَسَلَكَهُ يَنبِيعَ فِي الْأَرْضِ).

وقوله: (ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مَخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ) أي: ثم يخرج بالماء النازل من السماء والنباع من الأرض زرعًا (مَخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ) أي: أشكاله وطعومه وروائح ومنافعه، ﴿ثُمَّ يَهَيِّجُ﴾ أي: بعد نضارته وشبابه يكتهل (فَتَرْتُهُ مُصْفَرًّا)، قد خالطه اليبس، (ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا) أي: ثم يعود يابسًا يتحطم، (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥١﴾) أي: الذين يتذكرون بهذا فيعتبرون إلى أن الدنيا هكذا، تكون خضرة نضرة حسنة، ثم تعود عجوزا شوهاء، والشباب يعود شيخًا هَرَمًا كبيرًا ضعيفًا، وبعد ذلك كله الموت. فالسعيد من كان حاله بعده إلى خير، وكثيرًا ما يضرب الله تعالى مثل الحياة الدنيا بما ينزل الله من السماء من ماء، وينبت به زروعا وثمارا، ثم يكون بعد ذلك حُطَامًا، كما قال تعالى: (وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنَدًا ﴿٥٥﴾) [الكهف: ٥٥].

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: (ثُمَّ يَهَيِّجُ فَتْرَتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْمًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١﴾).

قوله: (ثُمَّ يَهَيِّجُ): أي: ثم بعد نضارة ذلك الزرع وخضرته ييبس، ويتم جفافه ويثور من منابته فتراه أيها الناظر مصفراً يابساً، قد زالت خضرته ونضارته. (ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْمًا) أي: فتاتاً، متكسراً، هشيمًا، تذروه الرياح، (إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور من حالات ذلك الزرع، المختلف الألوان، (لَذِكْرًا) أي: عبرة وموعظة وتذكيراً ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١١). أي: لأصحاب العقول السليمة من شوائب الاختلال، فقد ذكر جل وعلا مصير هذا الزرع على سبيل الموعظة والتذكير، وبيّن في موضع آخر، أن ما وعظ به خلقه هنا من حالات هذا الزرع شبيهه أيضاً بالدنيا. فوعظ به في موضع وشبه به حالة الدنيا في موضع آخر، وذلك في قوله تعالى في سورة الحديد: (أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَمْوَالُ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهَيِّجُ فَتْرَتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطْمًا ﴿٣٠﴾). وبيّن في سورة الروم أن من أسباب اصفراره المذكور إرسال الريح عليه، وذلك في قوله: (وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾) (الروم: ٥١).



س: ما معنى قوله: (لَلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ)؟

ج: قال بعض أهل العلم إن معناها الذين تقسوا قلوبهم بذكر الله ولا تليّن.

وقال آخرون: إن (مِنْ) بمعنى: عن، أي: فويل للقاسية قلوبهم عن ذكر الله



س: وضع المعنى الإجمالي للآية الكريمة: (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ

فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ... ﴿٦٥﴾ الآية.

ج: أَيْسْتَوِي مَنْ وَسَّعَ اللَّهُ ﷻ صدره وأفسحه وجعله رحباً لاستقبال
تعاليم الدين والإسلام وجعله يحب ويقبل كل ما قاله الله وكل ما قاله
رسوله ﷺ، أَيْسْتَوِي هَذَا مَعَ مَنْ ضَيَّقَ صدره فلم يعد يقبل شيئاً من كتاب
ربه وسنة رسوله ﷺ؛ ثم توعد الله هذا الأخير بقوله: (فَوَيْلٌ لِلْفُتُورَةِ قُلُوبُهُمْ)
الذين لا تلين قلوبهم عن فكر الله ﷻ وذكر كتابه الذي أنزل وأحكامه التي شرع
(أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ) في بُعد عن الحق والصواب (مُتَّبِعِينَ) قد أبان بعدهم عن
ضلالهم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: أفمن فسح الله قلبه لمعرفته، والإقرار بوحديته،
والإذعان لربوبيته، والخضوع لطاعته (فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ) يقول: فهو
على بصيرة مما هو عليه ويقين، بتنوير الحق في قلبه، فهو لذلك لأمر الله
متبع، وعما نهاه عنه منته فيما يرضيه، كمن أقسى الله قلبه، وأحلاه من
ذكره، وضيقه عن استماع الحق، واتباع الهدى، والعمل بالصواب؟ وترك
ذكر الذي أقسى الله قلبه، وجواب الاستفهام اجتزاء بمعرفة السامعين
المراد من الكلام، إذ ذكر أحد الصنفين، وجعل مكان ذكر الصنف الآخر
الخبر عنه بقوله: (فَوَيْلٌ لِلْفُتُورَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ).

قوله: (فَوَيْلٌ لِلْفَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ) يقول تعالى ذكره: فويل للذين جفت قلوبهم ونأت عن ذكر الله وأعرضت، يعني: عن القرآن الذي أنزله تعالى ذكره، مذكرا به عباده، فلم يؤمن به، ولم يصدق بما فيه. وقيل: (مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ) والمعنى: عن ذكر الله، فوضعت (مِّنْ) مكان (عن)، كما يقال في الكلام: أتخمت من طعام أكلته، وعن طعام أكلته بمعنى واحد.

وقوله: (أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) يقول تعالى ذكره: هؤلاء القاسية قلوبهم من ذكر الله في ضلال مبين، لمن تأمله وتدبره بفهم أنه في ضلال عن الحق جائر.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ، لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ) أي: هل يستوي هذا ومن هو قاسي القلب بعيد من الحق؟ كقوله تعالى: (أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّتَّئِلًا فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا) [الأنعام: ١٢٢]؛ ولهذا قال: (فَوَيْلٌ لِلْفَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ) أي: فلا تلين عند ذكره، ولا تخشع ولا تعي ولا تفهم، (أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (٢٢).



س: هل صح لقوله تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ... سبب نزول؟)

ج: نعم قد صح له سبب نزول وهو ما أخرجه الحاكم (١) وغيره بسند

صحيح عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قول الله ﷻ: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ

(١) الحاكم (٣٤٥/٢)، وابن حبان (موارد الظمان ٤٣٢).

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وقال الذهبي: صحيح.

أَحْسَنَ الْقَصَصِ... ﴿الآية [يوسف: ٣]، قال: نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فتلا عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا؟ فأنزل الله ﷻ: (الرَّتِّلَكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾)، تلا إلى قوله: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ) الآيات [يوسف: ١-٣]، فتلا عليهم زماناً فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا؟ فأنزل الله ﷻ: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا) الآية، كل ذلك يؤمر بالقرآن.



س: ما المراد بالمتشابه في قوله تعالى: (كِتَابًا مُتَشَبِهًا)؟

ج: المراد، والله أعلم، يشبه بعضه بعضاً في الحسن فكله حسن وكله مؤثر في النفوس. وأيضاً يشبه بعضه بعضاً في الأحكام فلا تضاد ولا تضارب في أحكامه وأوامره ونواهيه وقصصه وأخباره، وأيضاً يشبه الكتب التي قبله فيصدقها وتصدقها ولا تعارض بينه وبين سائر ما أنزل من عند الله ﷻ، والله أعلم.



س: ما المراد بقوله تعالى: (مَثَانِي)؟

المراد متكرر تتكرر فيه الأوامر والنواهي حتى يفهم عن الله ﷻ مراده وتتكرر فيه القصص في كثير من الأحيان بسياقات متقاربة حتى يفهم الذي قد يُجمل في موطن.

وقيل: مثاني أيضاً لأنه يتكرر عند القراءة فمن ثم سميت سورة الفاتحة: «السبع المثاني»؛ لأن قراءتها تكرر في الصلوات، وتتكرر الحين

بعد الحين. والله أعلم.



س: ما المراد بقوله تعالى: (ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ)؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: ثم تطمئن جلودهم بعد أن اعتراها الخوف والاضطراب عند سماع القرآن وما فيه من آيات الوعيد، تطمئن لما ترجوه من رحمة الله ﷻ، ولما تؤمله من فضل الله.

الثاني: ثم تلين جلودهم إلى العمل بالقرآن فيعملون بعد ما يسمعون راجين مؤملين.

فالمراد بذكر الله على هذا الوجه القرآن، والله أعلم.

قال السعدي رحمته الله:

يخبر تعالى عن كتابه الذي نزل به أنه **(أَحْسَنُ الْكِتَابِ)** على الإطلاق، فأحسن الحديث كلام الله، وأحسن الكتب المنزلة من كلام الله هذا القرآن، وإذا كان هو الأحسن، علم أن ألفاظه أفصح الألفاظ وأوضحها، وأن معانيه، أجل المعاني، لأنه أحسن الحديث في لفظه ومعناه، متشابهها في الحسن والانتلاف وعدم الاختلاف، بوجه من الوجوه. حتى إنه كلما تدبره المتدبر، وتفكر فيه المتفكر، رأى من اتفاقه، حتى في معانيه الغامضة، ما يبهر الناظرين، ويجزم بأنه لا يصدر إلا من حكيم عليم، هذا هو المراد بالتشابه في هذا الموضع.

وأما في قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ

الْكِتَابِ وَأُخِرُ مُتَشَبِّهَةٌ (آل عمران: ٧)، فالمراد بها، التي تشتهى على فهم كثير من الناس، ولا يزول هذا الاشتباه إلا بردها إلى المحكم، ولهذا قال: (مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخِرُ مُتَشَبِّهَةٌ) فجعل التشابه لبعضه، وهنا جعله كله متشابهًا، أي: في حسنه، لأنه قال: (أَحْسَنَ الْحَدِيثِ) وهو سور وآيات، والجميع يشبه بعضه بعضًا كما ذكرنا.

(مَّثَانِي) أي: تتنى فيه القصص والأحكام، والوعد والوعيد، وصفات أهل الخير، وصفات أهل الشر، وتتنى فيه أسماء الله وصفاته، وهذا من جلالته، وحسنه، فإنه تعالى، لما علم احتياج الخلق إلى معانيه المزكية للقلوب، المكملة للأخلاق، وأن تلك المعاني للقلوب، بمنزلة الماء لسقي الأشجار، فكما أن الأشجار كلما بعد عهدها بسقي الماء نقصت، بل ربما تلفت، وكلما تكرر سقيها حسنت وأثمرت أنواع الثمار النافعة، فكذلك القلب يحتاج دائماً إلى تكرر معاني كلام الله تعالى عليه، وأنه لو تكرر عليه المعنى مرة واحدة في جميع القرآن، لم يقع منه موقعاً، ولم تحصل النتيجة منه، ولهذا سلكت في هذا التفسير هذا المسلك الكريم، اقتداءً بما هو تفسير له.

س: وضح المراد بقوله تعالى: (وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) (١٣)!

ج: المراد، والله أعلم، ومن يصرفه الله عن هذا الكتاب العزيز، وعن طريق الاستقامة والإسلام، وفسيح الجنان فلن تجد له أحدًا يهديه بحال من الأحوال، والله أعلم.



س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا

مُتَشَبِّهًا... ﴿الآيَةُ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الله ﷻ نزل أحسن الكتب المتضمنة لأحسن الكلام وأحسن الهدى كتابًا هو أحسنها يشبه بعضه بعضًا في الحسن فكله حسن، وإن تفاضلت آياته في تأثيرها إلا أن كله حسن، وكذا لا تضارب ولا اختلاف ولا تعارض بين آياته في أحكامها وأوامرها ونواهيها وأخبارها وقصصها فكله يصدق بعضه بعضًا، وكذا يصدق الكتب التي قبله، وتصدقها هي الأخرى، تكررت في هذا الكتاب العزيز الأوامر والنواهي بالشيء الواحد في كثير من المواطن فهو مثاني بهذا المعنى، تكررت حتى تفهم عن الله ﷻ وتبين مراده سبحانه وتعالى، فلا تكن مثلًا آية تدعو إلى الشرك والعياذ بالله بل آياته متكررة متعددة تدعو كلها إلى توحيد الله ﷻ وعبادته وحده لا شريك له.

أيضًا تجد آيات كثيرة تحت على بر الوالدين والإحسان إليهما، وليس ثم أمرٌ بالعقوق إلا النهي عن طاعتها فيما يدعوان إليه من الشرك.

ترى الآيات تأمر بحفظ الأعراض وعدم هتكها.

ترى الآيات تحت على المحافظة على أموال الآخرين وعدم أخذها إلا بحقها، وهكذا.

هذا، وقوله تعالى: (نَقَشَرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) حاصل معناه أن الخوف يعتري أهل الإيمان أهل الخوف من الله الذين يرجون لقاءه ويخافون يوم الحساب، فجلودهم تضطرب خوفًا عند سماع هذا القرآن

وسماع ما فيه من آيات الوعيد، فإذا تليت عليهم آيات الرحمة اطمأنت نفوسهم وقلوبهم وجلودهم لما يؤملونه من رحمة الله ﷻ ولما يرجونه منها.

وكذا يتجهون إلى العمل بما في هذا الكتاب العزيز سامعين مطيعين له.

وهذا الذي أصابهم واعتراهم من اقشعرار الجلود ثم الطمأنينة والعمل بهذا القرآن توفيق من الله لهم إذ هداهم لهذا، وأرشدهم وسددهم. أما من أراد الله ضلالاً وبعد عن طريق الهداية فلن تجد له هادياً يهديه ولا مرشداً يرشده وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا) يعني به: القرآن (مُتَشَبِّهًا) يقول: يشبه بعضه بعضاً، لا اختلاف فيه، ولا تضاد. **وقوله:** (مَّثَانِي) يقول: تتننى فيه الأنبياء والأخبار والقضاء والأحكام والحجج.

وقوله: (نَقَشَرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) يقول تعالى ذكره: نقشعر من سماعه إذا تلى عليهم جلود الذين يخافون ربهم (ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) يعني: إلى العمل بما في كتاب الله، والتصديق به.

(ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ) يقول تعالى ذكره: هذا الذي يصيب هؤلاء القوم الذين وصفت صفتهم عند سماعهم القرآن من اقشعرار جلودهم، ثم لينها ولين قلوبهم إلى ذكر الله من بعد ذلك، (هُدَى اللَّهِ) ﷻ

التسهيل لتأويل التنزيل

يعني: توفيق الله إياهم وفقهم له (يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ) يقول: يهدي تبارك وتعالى بالقرآن من يشاء من عباده.

وقد يتوجه معنى قوله: (ذَلِكَ هُدًى) إلى أن يكون ذلك من ذكر القرآن، فيكون معنى الكلام: هذا القرآن بيان الله يهدي به من يشاء، يوفق للإيمان به من يشاء.

وقوله: (وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ۖ ﴿٢٢﴾) يقول تعالى ذكره: ومن يخذله الله عن الإيمان بهذا القرآن والتصديق بما فيه، فيضله عنه، فما له من هاد، يقول: فما له من موفق له، ومسدد يسدده في اتباعه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا مَذْحٌ من الله ﷻ لكتابه القرآن العظيم المنزل على رسوله الكريم، قال الله تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيًّا) قال مجاهد: يعني القرآن كله متشابه مثنائي.

وقال قتادة: الآية تشبه الآية، والحرف يشبه الحرف.

وقال الضحاك: (مَّثَانِيًّا) ترديد القول ليفهموا عن ربهم ﷻ.

وقال عكرمة والحسن: تنبأ الله فيه القضاء - زاد الحسن: تكون السورة فيها آية، وفي السورة الأخرى آية تشبهها.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: (مَّثَانِيًّا) مُرَدَّدٌ، رُدَّدَ موسى في

القرآن، وصالح وهود والأنبياء، عليهم السلام، في أمكنة كثيرة.

وقال سعيد بن جبير، عن ابن عباس: (مَّثَانِيًّا) قال: القرآن يشبه

بعضه بعضًا، ويُرَدُّ بعضه على بعض.

وقال بعض العلماء: ويُروى عن سفيان بن عيينة معنى قوله: (مُتَشَبِّهًا مَّثَانِيًّا) ﴿١٣﴾ أن سياقات القرآن تارة تكون في معنى واحد، فهذا من المتشابه، وتارة تكون بذكر الشيء وضده، كذكر المؤمنين ثم الكافرين، وكصفة الجنة ثم صفة النار، وما أشبه هذا، فهذا من المثنائي، كقوله تعالى: (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾) [الأنفطار: ١٣، ١٤]، وكقوله: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾﴾، إلى أن قال: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾﴾ [المطففين: ٧-١٨]، (هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾﴾، إلى أن قال: (هَذَا وَإِلَى اللَّطِيفِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾) [ص: ٤٩-٥٥]، ونحو هذا من السياقات فهذا كله من المثنائي، أي: في معنيين اثنين، وأما إذا كان السياق كله في معنى واحد يشبه بعضه بعضًا، فهو المتشابه وليس هذا من المتشابه المذكور في قوله: (مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ) [ال عمران: ٧]، ذلك معنى آخر.

وقوله: (نَقْشَعُرُهُمْ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ) أي هذه صفة الأبرار، عند سماع كلام الجبار، المهيمن العزيز الغفار، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد. والتخويف والتهديد، تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف، (ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ) لما يرجون ويؤمنون من رحمته ولطفه، فهم مخالفون لغيرهم من الكفار من وجوه:

أحدها: أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات، وسماع أولئك نغمات الأبيات، من أصوات القينات.

الثاني: أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً، بأدب

وخشية، ورجاء ومحبة، وفهم وعلم، كما قال: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾) [الأنفال: ٢-٤]، وقال تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾) [الفرقان: ٧٣] أي: لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لاهين عنها، بل مصغيين إلیها، فاهمين بصيرين بمعانيها؛ فلهذا إنما يعملون بها، ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهل ومتابعة لغيرهم -أي: يرون غيرهم قد سجد فيسجدون تبعاً له.

الثالث: أنهم يلزمون الأدب عند سماعها، كما كان الصحابة، رضي الله عنهم عند سماعهم كلام الله من تلاوة رسول الله ﷺ تقشعر جلودهم، ثم تلين مع قلوبهم إلى ذكر الله. لم يكونوا يتصارخون ولا يتكفون ما ليس فيهم، بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك؛ ولهذا فازوا بالقدح المَعْلَى في الدنيا والآخرة.

إلى آخر ما قاله رحمته الله.

وقال القرطبي رحمته الله:

(كِتَابًا) نصب على البدل من (أَحْسَنَ الْحَدِيثِ) ويحتمل أن يكون حالاً منه ﴿مُتَشَبِّهًا﴾ يشبه بعضه بعضاً في الحسن والحكمة ويصدق بعضه بعضاً ليس فيه تناقض ولا اختلاف. وقال قتادة: يشبه بعضه بعضاً في الآي والحروف. وقيل: يشبه كتب الله المنزلة على أنبيائه لما يتضمنه من أمر ونهي وترغيب وترهيب وإن كان أعم وأعجز ثم وصفه فقال:

(مَّثَانِيَّ) ﴿تَتْنَى فِيهِ الْقِصَصُ وَالْمَوَاعِظُ وَالْأَحْكَامُ وَثَنِي لِلتَّلَاوَةِ فَلَا يَمَلُ (نَفْسَعِرُ) ﴿تَضْطَرِبُ وَتَتَحَرِّكُ بِالْخَوْفِ مِمَّا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ (ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) ﴿أَيُّ عِنْدَ آيَةِ الرَّحْمَةِ، وَقِيلَ: إِلَى الْعَمَلِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالتَّصَدِيقِ بِهِ وَقِيلَ: ﴿إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ يَعْنِي: الْإِسْلَامَ.

س: وَضَحْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: (أَفَمَنْ يَنْتَقِي وَجْهَهُ سَوْءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (٢٤)) .

ج: المعنى، والله أعلم، أفمن لا يجد شيئاً يدفع به النار عن نفسه إلا وجهه فيقابل النار بوجهه يوم القيامة أفضل أم الذي هو منعم في الجنان؟ فيقال يومئذ للظالمين الذين يتفنون النار بوجوههم ذوقوا يا أهل الظلم جزاء أعمالكم التي عملتموها في الدنيا.

ولمزيد إيضاح لقوله: (أَفَمَنْ يَنْتَقِي وَجْهَهُ سَوْءَ الْعَذَابِ) أقول، وبالله التوفيق: إن الشخص في الدنيا إذا تضارب مع آخر أو تقاتل معه فإنه يحرص تمام الحرص على أن لا تصل ضربات إلى وجهه نفسه، فيدفع عن وجهه الضربات ما استطاع ويركز في الدفاع عن وجهه أما يوم القيامة فالأيدي مكتوفة والعذاب يتلقى بالوجه عياداً بالله من ذلك. وهذه بعض أقوال العلماء في هذا الصدد.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

اختلف أهل التأويل في صفة اتقاء هذا الضال بوجهه سوء العذاب، فقال بعضهم: هو أن يرمى به في جهنم مكبواً على وجهه، فذلك اتقاؤه إياه.

وقال آخرون: هو أن ينطلق به إلى النار مكتوفاً، ثم يرمى به فيها، فأول ما تمس النار وجهه، وهذا قول يذكر عن ابن عباس من وجه كرهت أن أذكره لضعف سنده، وهذا أيضاً مما ترك جوابه استغناء بدلالة ما ذكر من الكلام عليه عنه. ومعنى الكلام: أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة خير، أم من ينعم في الجنان؟.

وقوله: (وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾) يقول: ويقال يومئذ للظالمين أنفسهم بإكسابهم إياها سخط الله. ذوقوا اليوم أيها القوم وبال ما كنتم في الدنيا تكسبون من معاصي الله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى: (أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ)، ويُقرَعُ فيقال له ولأمثاله من الظالمين: (ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾)، كمن يأتي أمنا يوم القيامة؟! كما قال تعالى: (أَفَنْ يَمْشِي مُكْبَأً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾) [الملك: ٢٢]، وقال: (يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾) [القمر: ٤٨]، وقال: ﴿أَفَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمَّ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [فصلت: ٤٠]، واكتفى في هذه الآية بأحد القسمين عن الآخر، كقول الشاعر:

فَمَا أدري إذا يَمَمْتُ أَرْضًا أريدُ الخيرَ: أيهما يلين؟
يعني: الخير أو الشر .



س: وضع معنى قوله تعالى: (كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاَنْتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) ٥٥ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٥٦).

ج: المعنى، والله أعلم، كذب قبل كفار قريش أقوام آخرون أبادهم الله وأفناهم، كذبوا فجاءهم العذاب من حيث لا يتوقعون، ومن موضع لا يشعرون أنه يأتيهم من قبله، كقوم نوح لما أغرقوا بالطوفان وكقوم عاد لما أرسلت عليهم الريح العقيم وقوم شعيب إذا أخذهم عذاب يوم الظلة وكقوم فرعون إذا انطبق عليهم البحر وغيرهم من الأمم المكذبة. فهؤلاء نالهم الخزي والعار والذل والهوان في دنياهم وهنالك عذاب الآخرة هو أشد وأنكى ينتظرهم يوم القيامة.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يقول تعالى ذكره: كذب الذين من قبل هؤلاء المشركين من قريش من الأمم الذين مضوا في الدهور الخالية رسلهم (فَاَنْتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) ٥٥ يقول: فجاءهم عذاب الله من الموضع الذي لا يشعرون أي: لا يعلمون بمجيئه منه. **يقول تعالى ذكره:** فعجل الله لهؤلاء الأمم الذين كذبوا رسلهم الهوان في الدنيا، والعذاب قبل الآخرة، ولم ينظرهم إذ عتوا عن أمر ربهم ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ يقول: ولعذاب الله إياهم في الآخرة إذا أدخلهم النار، فعذبهم بها، أكبر من العذاب الذي عذبهم به في الدنيا، لو كانوا يعلمون، يقول: لو علم هؤلاء المشركون من قريش ذلك.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاَنْتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾)

يعني: القرون الماضية المكذبة للرسول، أهلكهم الله بذنوبهم، وما كان لهم من الله من واق.

وقوله: (فَاَكَاثَهُمُ اللَّهُ الْخُرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أي: بما أنزل بهم من العذاب

والنكال وتشفي المؤمنين بهم، فليحذر المخاطبون من ذلك، فإنهم قد كذبوا أشرف الرسل، وخاتم الأنبياء، والذي أعده الله لهم في الآخرة من العذاب الشديد أعظم مما أصابهم في الدنيا؛ ولهذا قال: (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾).



س: وضع معنى قوله تعالى: (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَنْذَكُرُونَ ﴿٢٧﴾) فَرَأَيْنَا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، ولقد بينا للناس بضرب الأمثال في هذا الكتاب العزيز كل بيان ومثلنا لهم الأمثال التي تكون سبباً في هدايتهم، فأحيانا بينا لهم مصائر الأمم المكذبة التي تقدمتهم وما حلَّ بها من أليم العقاب، وأحيانا ضرب لهم مثلاً للحياة الدنيا وزخارفها وبهجتها، وإلى أن نذهب وكيف تزول، ومثلنا لهم بالنبات وبداياته ووسطه ومصيره وضربنا لهم أمثالا من أنفسهم وفي أنفسهم، وأمثالا بالدواب والحشرات، وأمثالا بالمطر النازل من السماء إلى غير ذلك من الأمثال المذكور في كتاب الله ﷻ، كل

ذلك لعلهم يتعظون ويعتبرون ويرجعوا عن كفرهم وغيهم وشركهم وضلالهم وعصيانهم إلى توحيد خالقهم وطاعة بارئهم والإيمان والتصديق.

وجعلنا هذا القرآن بلسان عربي واضح لا لبس فيه ولا غموض ولا اختلاف فيه ولا اعوجاج ولا انحراف كل ذلك لعل التقوى تحدث لهم، لعلهم يحذرون غضب الله وعقابه، لعلهم يحذرون الشرك الذي يسبب لهم كل دماء وكل بلاء ويورثهم الجحيم عيادًا بالله وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ولقد مثلنا لاهل المشرقين بالله من كل مثل من أمثال القرون للأمم الخالية، تخويفًا منا لهم وتحذيرًا (لَعَلَّهُمْ يَنْذَكُرُونَ ﴿٢٧﴾) يقول: ليتذكروا فينزعروا عما هم عليه مقيمون من الكفر بالله.

وقوله: (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) يقول تعالى ذكره: لقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل قرآنًا عربيًّا (غَيْرِ ذِي عِوَجٍ ﴿٢٨﴾) يعني: ذي لبس.

ونصب قوله: (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) على الحال من قوله: هذا القرآن، لأن القرآن معرفة، وقوله: (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) نكرة.

وقوله: (لَعَلَّهُمْ يَنْفَعُونَ ﴿٢٨﴾) يقول: جعلنا قرآنًا عربيًّا إذ كانوا عربًا، ليفهموا ما فيه من المواعظ، حتى يتقوا ما حذرهم الله فيه من بأسه ووسطوته، فينبهوا إلى عبادته وإفراد الألوهة له، ويتبرعوا من الأنداد والآلهة.

وقال ابن كثير رحمه الله:

التسهيل لتأويل التنزيل

يقول تعالى: (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴿٢٧﴾) أي: بينا للناس فيه بضرب الأمثال، (لَعَلَّهُمْ يَنْذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾) ، فإن المثل يُقَرَّبُ المعنى إلى الأذهان، كما قال تعالى: (ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴿٢٨﴾) [الروم: ٢٨] أي: تعلمونه من أنفسكم، وقال: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [العنكبوت: ٢٩].

وقوله: (قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ) أي: هو قرآن بلسان عربي مبين، لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس، بل هو بيان ووضوح وبرهان، وإنما جعله الله كذلك، وأنزله بذلك (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾) أي: يحذرون ما فيه من الوعيد، ويعملون بما فيه من الوعد.

وقال الشنقيطي رحمه الله:

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (عَرَبِيًّا)، أي: لأنه بلسان عربي كما قال تعالى: (لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) [النحل: ١٠٣]. وقال تعالى في أول سورة يوسف: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [يوسف: ٢]. وقال في أول الزخرف: (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [الزخرف: ٣]. وقال في طه: (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾) [طه: ١١٣]، وقال تعالى في فصلت: (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ) [فصلت: ١٠٤]، وقال تعالى في الشعراء: (وَلِئِنْ أَنْزَلْنَاهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَتْ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾) [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]، وقال تعالى في سورة الشورى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ

(حَوْمًا) [الشورى: ٧]. وقال تعالى في الرعد: (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ) (الرعد: ٣٧)، إلى غير ذلك من الآيات.

وهذه الآيات القرآنية تدل على شرف اللغة العربية وعظمها، دلالة لا

ينكرها إلا مكابر.

قال السعدي رحمه الله:

يخبر تعالى أنه ضرب في القرآن من جميع الأمثال، أمثال أهل الخير وأمثال أهل الشر، وأمثال التوحيد والشرك، وكل مثل يقرب حقائق الأشياء، والحكمة في ذلك (لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ) (٢٧) عندما نوضح لهم الحق فيعلمون ويعملون.

(قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ) أي: جعلناه قرآنًا عربيًّا، واضح اللفاظ، سهل المعاني، خصوصًا على العرب. (غَيْرَ ذِي عِوَجٍ) أي: ليس فيه خلل ولا نقص بوجه من الوجوه، لا في ألفاظه ولا في معانيه، وهذا يستلزم كمال اعتداله واستقامته كما قال تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا) (١) (يَمَّا) [الكهف: ١-٢].

(لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) (٢٨) الله تعالى، حيث سهلنا عليهم طرق التقوى العلمية والعملية، بهذا القرآن العربي المستقيم، الذي ضرب الله فيه من كل مثل.

س: **وضح معنى هذا المثل: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا**

سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا...)

ج: هذا مثل ضرب للمشرك الذي تتنازع الشياطين وتتجاذبه وكل

شيطان يقوده إلى ضلالة من الضلالات وضرب من ضروب الكفر وسبيل من سبل العصيان، وكذا ضرب المثل برجل مؤمن بالله موحد أسلم وجهه لله وهو محسن، وحاصل المثل: ضرب الله لكم مثلاً تعرفونه يا أهل الكفر وتعايشونه فإذا كان بينكم عبدٌ اشتريتموه، اشترته جماعة منكم ولكل واحد من الجماعة فيه نصيب، وهذه الجماعة دائماً متنازعة مختلفة في شأن هذا العبد، وأخلاق أفراد هذه الجماعة سيئة فهذا يأمره بأمر، وذاك يأمره بأمر آخر وثالث يأمره بأمر ثالث، وإذا أطاع ضربه الآخرون، فلا تُحمد له طاعة ولا يُشكر له معروف ولا يُجازى بإحسان ولا يُكرم بكرامة، فهو مهانٌ على الدوام، هل يستوي هذا العبد مع عبدٍ آخر يملكه رجل واحد صالح فهو لسيده مطيع، وسيده يكرمه على طاعته ويعرف له قدره، هل يستوي هذا مع ذاك، قطعاً لا يستويان فإذا كان ذلك كذلك فقل يا رسول الله الحمد لله الذي أقام الحجة على عباده، وعلى هؤلاء أهل الشرك وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره: مثل الله مثلاً للكافر بالله الذي يعبد آلهة شتى، ويطيع جماعة من الشياطين، والمؤمن الذي لا يعبد إلا الله الواحد، يقول تعالى ذكره: ضرب الله مثلاً لهذا الكافر رجلاً فيه شركاء. يقول: هو بين جماعة مالكين متشاكسين - يعني: مختلفين متنازعين سيئة أخلاقهم، من قولهم: رجل شكس: إذا كان سيئ الخلق، وكل واحد منهم يستخدمه بقدر نصيبه وملكه فيه، ورجلاً مسلماً لرجل، يقول: ورجلاً خلوصاً لرجل - يعني:

المؤمن الموحد الذي أخلص عبادته لله - لا يعبد غيره ولا يدين لشيء سواه بالربوبية.

وقوله: (هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا) يقول تعالى ذكره: هل يستوي مثل هذا الذي يخدم جماعة شركاء سيئة أخلاقهم مختلفة فيه لخدمته مع منازعته شركاءه فيه والذي يخدم واحدا لا ينازع فيه منازع إذا أطاعه عرف له موضع طاعته وأكرمه، وإذا أخطأ صفح له عن خطئه، يقول: فأبي هذين أحسن حالًا وأروح جسمًا وأقل نعبًا ونصبًا؟

وقوله: (الْحَمْدُ لِلَّهِ) يقول: الشكر الكامل، والحمد التام لله وحده دون كل معبود سواه. وقوله: (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) يقول جل ثناؤه: وما يستوي هذا المشترك فيه، والذي هو منفرد ملكه لو احد، بل أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعلمون أنهما لا يستويان، فهم بجهلهم بذلك يعبدون آلهة شتى من دون الله. وقيل: (هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا) ولم يقل: مثليين لأنهما كلاهما ضربا مثلًا واحدًا، فجرى المثل بالتوحيد، كما قال جل ثناؤه: (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ) [المؤمنون: ٥٠] آية إذ كان معناهما واحدًا في الآية والله اعلم.

وأورد الطبري بعض الآثار في ذلك:

منها أثر قتادة بسند حسن قوله: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ)

قال: هذا المشرك تتنازع الشياطين، لا يقر به بعضهم لبعض **﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾** قال: هو المؤمن أخلص الدعوة والعبادة.

وأخر بسند صحيح عن ابن زيد:

في قوله: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ) قال:

أرأيت الرجل الذي فيه شركاء متشاكسون كلهم سيئ الخلق، ليس منهم واحد إلا تلقاه أخذا بطرف من مال لاستخدامه أسوأهم، والذي لا يملكه إلا واحد، فإنما هذا مثل ضربه الله لهؤلاء الذين يعبدون الآلهة، وجعلوا لها في أعناقهم حقوقاً، فضربه الله مثلاً لهم، وللذي يعبده وحده: (هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا لِّمَن لَّهُ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾) وفي قوله: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ يقول: ليس معه شرك.

وقال ابن كثير رحمه الله:

ثم قال: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّرَجُلٍ فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ) أي: يتنازعون في ذلك العبد المشترك بينهم، (وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ) أي: خالصاً لرجل، لا يملكه أحد غيره، (هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا) أي: لا يستوي هذا وهذا. كذلك لا يستوي المشرك الذي يعبد آلهة مع الله، والمؤمن المخلص الذي لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له. فأين هذا من هذا؟

قال ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد: هذه الآية ضربت مثلاً للمشرك والمخلص، ولما كان هذا المثل ظاهراً بيّناً جليّاً، قال: (لِّمَن لَّهُ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾) أي: على إقامة الحجة عليهم، (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾) أي: فلماذا يشركون بالله.

قال ابن القيم رحمه الله في «التفسير القيم»:

هذا مثل ضربه الله سبحانه للمشرك والموحد فالمشرك بمنزلة عبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون متشاحنون والرجل المتشاكس الضيق الخلق فالمشرك لما كان يعبد آلهة شتى شبه بعبد يملكه جماعة متنافسون في خدمته لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين.

والموحد لما كان يعبد الله وحده فمثله كمثل عبد لرجل واحد قد سلم له وعلم مقاصده وعرف الطريق إلى رضاه فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه بل هو سالم لمالكه من غير تنازع فيه مع رافة مالكه به ورحمته له وشفقته عليه وإحسانه إليه وتولييه لمصالحه فهل يستوي هذان العبدان!

وهذا من أبلغ الأمثال فإن الخالص لمالك واحد يستحق من معونته وإحسانه والتفاتة إليه وقيامه بمصالحه ما لا يستحق صاحب الشركاء المتشاكسين: (الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾).



س: هل هناك قراءتان في قوله تعالى: (سَلَامًا).

ج: هناك قراءتان أوردتها الطبري رحمه الله أن قال:

واختلفت القراء في قراءة قوله: (وَرَجُلًا سَلَامًا) فقرأ ذلك بعض قراء

أهل مكة والبصرة: (رجلا سالماً) وتأولوه بمعنى: رجلاً خالصاً لرجل.

وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة: (وَرَجُلًا سَلَامًا لِرَجُلٍ) بمعنى:

صلحاً.

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وذلك أن السلم مصدر من قول القائل: سلم فلان لله، سلماً بمعنى: خلص له خلوصاً، تقول العرب: ربح فلان في تجارته ربحاً وَرَبَحًا وسَلِمَ سِلْمًا وسَلَمًا وسلامة، وأن السالم من صفة الرجل، وسلم

مصدر من ذلك. وأما الذي توهمه من رغب من قراءة ذلك سلمًا من أن معناه صلحًا، فلا وجه للصلح في هذا الموضع، لأن الذي تقدم من صفة الآخر، إنما تقدم بالخبر عن اشتراك جماعة فيه دون الخبر عن حربه بشيء من الأشياء، فالواجب أن يكون الخبر عن مخالفه بخلوصه لواحد لا شريك له، ولا موضع للخبر عن الحرب والصلح في هذا الموضع.

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصُّمُونَ ﴿٣١﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، إنك يا رسول الله ستموت عن قريب وسيموت أهل الشرك الذي يخاصمونك ويكذبونك ويعادونك ويحاربونك ثم إن مرجعكم ومردكم جميعًا إلى الله ﷻ يوم القيامة يحكم بينكم فيما اختلفتم فيه في دنياكم ويأخذ للمظلوم من ظالمه ويجازي المؤمن بإيمانه.

والآية وإن كانت في سياق الحديث عن المشركين مع رسول الله ﷺ إلا أن عمومها ينتظم جميع الخلق، فالكل سيموتون ويرد للنظوم حقه من ظالمه، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إِنَّكَ يَا مُحَمَّدٌ مَيِّتٌ عَنْ قَلِيلٍ، وَإِنْ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبُوكُ مِنْ قَوْمِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ مَيِّتُونَ (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصُّمُونَ ﴿٣١﴾) يقول: ثم إن جميعكم المؤمنين والكافرين يوم القيامة عند ربكم تختصمون فيأخذ للمظلوم منكم من الظالم، ويفصل بين جميعكم بالحق.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: عني به اختصام المؤمنين والكافرين، واختصام المظلوم والظالم.

وقال آخرون: بل عني بذلك اختصام أهل الإسلام.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: عني بذلك: إنك يا محمد ستموت، وإني أرى الناس ستموتون، ثم إن جميعكم أيها الناس تختصمون عند ربكم، مؤمنكم وكافركم، ومحقوقكم ومبطلوكم، وظالموكم ومظلوموكم، حتى يؤخذ لكل منكم ممن لصاحبه قبله حق حقه.

وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب لأن الله عم بقوله: (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصَّمُونَ) ﴿٣١﴾ خطاب جميع عباده، فلم يخص بذلك منهم بعضاً دون بعض، فذلك على عمومته على ما عمه الله به، وقد تنزل الآية في معنى، ثم يكون داخلاً في حكمها كل ما كان في معنى ما نزلت به.

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) ﴿٣٠﴾ هذه الآية من الآيات التي استشهد بها الصديق عند موت الرسول ﷺ، حتى تحقق الناس موته، مع قوله: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) ﴿١٤٤﴾ **عمران: ١٤٤.**

ومعنى هذه الآية: ستنقلون من هذه الدار لا محالة وستجتمعون عند الله في الدار الآخرة، وتختصمون فيما أنتم فيه في الدنيا من التوحيد

التسهيل لتأويل التنزيل

والشرك بين يدي الله ﷻ، فيفصل بينكم، ويفتح بالحق وهو الفتح العليم، فينجي المؤمنين المخلصين الموحدين، ويعذب الكافرين الجاحدين المشركين المكذبيين.

ثم إن هذه الآية - وإن كان سياقها في المؤمنين والكافرين، وذکر الخصومة بينهم في الدار الآخرة - فإنها شاملة لكل متنازعين في الدنيا، فإنه تعاد عليهم الخصومة في الدار الآخرة .



س: ما مدى صحة الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وغيره بسنده عن الزبير بن العوام؛ قال: لما نزلت هذه السورة على رسول الله ﷺ: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) ٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصُمُونَ ٣١، قال الزبير: أي رسول الله، أكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟ قال: «نعم؛ ليكرزن عليكم، حتى يؤدّى إلى كل ذي حق حقه». قال الزبير: والله إن الأمر لشديد؟

ج: أحمد (١٦٧/١) بسند حسن، وفي سننه بعض الاختلاف على صحابه، انظر علل الدارقطني (٢٢٤/٤).



قال الله تعالى:

(﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ ٣٢) وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرِّيَّهٗ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَنْ يَأْتِ بِهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾] [الزمر: ٣٢-٤١].

س: اذكر معنى ما يلي:

- (بِالصَّدَقِ) - مَثْوًى - يَكْفِي - عَبْدُهُ - يَضُرُّ - كَشِفَتْ ضُرُّوهُ - بِرَحْمَةٍ -
مُمْسِكَتْ رَحْمَتَهُ - حَسْبِيَ اللَّهُ - يَتَوَكَّلُ - مَكَانَكُمْ - يُخْزِيهِ - مُقِيمٌ -
يُوكِّلُ ❖

ج:

الكلمة	معناها
(بِالصَّدَقِ)	القرآن - الإسلام - الشهادتان
(مَثْوًى) ❖	مقام - مكان للإقامة
(يَكْفِي عَبْدُهُ)	بمناج عبده ممن أرادوه بسوء بحافظ عبده وناصره
(يَضُرُّ)	ببلاء في جسدي أو مالي أو شدة ونحو ذلك
(كَشِفَتْ ضُرُّوهُ)	رافعات هذا البلاء - مُزِيلَاتُ لَهُ
(بِرَحْمَةٍ)	بخير من مالٍ أو صحةٍ أو عافيةٍ وولدي ونحو ذلك
(مُمْسِكَتْ رَحْمَتَهُ)	مانعات حلول الرحمة بي
(حَسْبِيَ اللَّهُ)	كافيني الله ﷻ
(يَتَوَكَّلُ)	يعتمد
(مَكَانَكُمْ)	طريقتكم - مكانكم ووجهتكم
(يُخْزِيهِ)	يهينه - يُذِلُّهُ
(مُقِيمٌ)	دائم لا يزول

بحفيظ (يحفظ الأعمال ويكتبها)	(بَوَكِيلٍ)
------------------------------	-------------

س: ما المراد بالصدق في قوله تعالى: (وَكَذَّبَ بِالْصِّدْقِ)؟

ج: قال كثيرون من العلماء المراد به: القرآن، والله أعلم.



س: كيف الجمع بين قوله تعالى: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ...)،

وقوله تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا...)،

[البقرة: ١١٤]، ونحوها من الآيات؟

ج: لأهل العلم طريقان في الجمع بين هذه الآيات:

أحدهما: أن تنزل كل آية منزلة الاختصاص فيقال مثلاً: ليس من

الكاذبين أظلم ممن كذب على الله وليس من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيه اسمه.

الثاني: أن يكون الجميع في الدرجة العليا من الظلم. والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ

بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ (٣٢)).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ليس هناك من الكاذبين أعظم كذباً من

شخص يكذب على الله ﷻ ويكذب بالقرآن الذي أنزله الله ﷻ على نبيه

محمد ﷺ.

وصور الكذب على الله ﷻ متعددة، فمنهم من يكذب على الله ﷻ فيدعي

له الولد والصاحبة، ولذلك قال مؤمنوا الجن: (وَأَنَّهُ تَعَلَّىٰ جَدًّا نَامًا اتَّخَذَ صُحْبَةً وَلَا

وَلَدَا ﴿٢﴾ [الجن: ٣]، وقالوا أيضاً: (وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) ﴿٥﴾ [الجن: ٥].

ومنهم من يكذب على الله ﷻ ويدعي أن له شريك في الملك!!
 ومنهم من يكذب على الله ويقول: إن الله فقير ونحن أغنياء.
 ومنهم من يكذب على الله ويقول: يد الله مغلوله.
 ومنهم من يكذب على الله ويقول: إن الله أوحى إليّ فيحلل ما حرم الله،
 ويحرم ما أحل الله إلى غير ذلك من صور الكذب على الله ﷻ.
 أما قوله تعالى: (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ) ﴿٣٢﴾ فهي في معرض
 التهديد لهؤلاء الكاذبين على الله، فيقال لهم: أليس في جهنم مقام للجاحدين
 بآيات الله يقيمون فيها خالدين مخلدين؟!
 وهذه بعض أقوال العلماء في الآية الكريمة:

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالْحَقِّ إِذْ جَاءَهُ﴾ يقول
 تعالى ذكره: فَمَنْ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ أَظْلَمُ فَرِيَةً مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ، فادعى أن
 له ولد وصاحبة، أو أنه حرم ما لم يحرمه من المطاعم (وَكَذَبَ بِالْحَقِّ إِذْ
 جَاءَهُ) يقول: وكذب بكتاب الله إذ أنزله على محمد، وابتعته الله به رسلاً
 وأنكر قول لا إله إلا الله.

وقوله: (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ) ﴿٣٢﴾ يقول تبارك وتعالى: أليس
 في النار مأوى ومسكن لمن كفر بالله، وامتنع من تصديق محمد □،
 واتباعه على ما يدعو إليه مما أتاه به من عند الله من التوحيد، وحكم

القرآن؟

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى مخاطباً للمشركين الذين افتروا على الله، وجعلوا معه آلهة أخرى، وادعوا أن الملائكة بنات الله، وجعلوا لله ولداً -تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً- ومع هذا كذبوا بالحق إذ جاءهم على ألسنة رسل الله، صلوات الله عليهم أجمعين، ولهذا قال: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ أي: لا أحد أظلم من هذا؛ لأنه جمع بين طرفي الباطل، كذب على الله، وكذب رسول الله، قالوا الباطل وردوا الحق؛ ولهذا قال متوعداً لهم: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ وهم الجاحدون المكذبون .

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

والكذب على الله يشمل الكذب عليه باتخاذ الشريك والولد والصاحبة، والإخبار عنه بما لا يليق بجلاله، أو ادعاء النبوة، أو القول في شرعه بما لم يقله، والإخبار بأنه قاله وشرعه.

**س: من الذي جاء بالصدق والذي صدق به، وما المراد بالصدق؟**

ج: أما الصدق فهو: القرآن، وقيل: قول لا إله إلا الله، وقال: القول الحق عموماً.

أما الذي جاء بالصدق وصدق به، فللعلماء فيه أقوال:

أحدها: أنه رسول الله ﷺ وكذا فهو المُصدق به.

الثاني: أن الذي جاء بالصدق هو رسول الله ﷺ، والذي صدق به أبو بكر رضي الله عنه.

الثالث: أن الذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ والذي صدق به علي رضي الله عنه.

الرابع: أن الذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ والذين صدقوا به المؤمنون.

الخامس: أن الذي جاء بالصدق جبريل عليه السلام والذي صدق به رسول الله ﷺ.

السادس: أن الذي جاء بالصدق كل من بلغ عن الله ﷻ.

أمره وكتابه ودعاه إلى توحيد الله ﷻ واتباع رسله والذي صدق به هم المؤمنون له التابعون له على ذلك وهذا الأخير هو الذي استظهره الطبري بعد أن أورد عددًا من أقوال العلماء في ذلك، فقال:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره عني بقوله:

(وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ) كل من دعا إلى توحيد الله وتبليغ رسله، والعمل بما ابتعث به رسوله ﷺ من بين رسل الله وأتباعه والمؤمنين به، وأن يقال الصدق: هو القرآن، وشهادة أن لا إله إلا الله، والمصدق به: المؤمنون بالقرآن من جميع خلق الله كائنًا من كان من نبي الله وأتباعه.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب؛ لأن قوله تعالى ذكره: (وَالَّذِي جَاءَ

بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ) عقيب قوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ وذلك ذم من الله للمفترين عليه، المكذبين بتنزيله ووحيه،

الجاحدين وحدانيته، فالواجب أن يكون عقيب ذلك مدح من كان بخلاف صفة هؤلاء المذمومين، وهم الذين دعواهم إلى توحيد الله، ووصفه بالصفة التي هو بها، وتصديقهم بتنزيل الله ووحيه، والذين هم كانوا كذلك يوم نزلت هذه الآية، رسول الله ﷺ وأصحابه ومن بعدهم، القائمون في كل عصر وزمان بالدعاء إلى توحيد الله، وحكم كتابه، لأن الله تعالى ذكره لم يخصص وصفه بهذه الصفة التي في هذه الآية على أشخاص بأعيانهم، ولا على أهل زمان دون غيرهم، وإنما وصفهم بصفة، ثم مدحهم بها، وهي المجيء بالصدق والتصديق به، فكل من كان كذلك وصفه فهو داخل في جملة هذه الآية إذا كان من بني آدم.

ومن الدليل على صحة ما قلنا أن ذلك كذلك في قراءة ابن مسعود:

(والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به) فقد بين ذلك من قراءته أن الذي من قوله: (وَأَلْزَىٰ جَاءَ بِالْصِّدْقِ) لم يعن بها واحد بعينه، وأنه مراد بها جماع ذلك صفتهم، ولكنها أخرجت بلفظ الواحد، إذ لم تكن موقوفة وقد زعم بعض أهل العربية من البصريين، أن (الذي) في هذا الموضع جعل في معنى جماعة بمنزلة «من». ومما يؤيد ما قلنا أيضا قوله: (أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (٢٢) فجعل الخبر عن (الذي) جماعاً، لأنها في معنى جماع. وأما الذين قالوا: عني بقوله: (وَصَدَّقَ بِهِ) : غير الذي جاء بالصدق، فقول بعينه من المفهوم، لأن ذلك لو كان كما قالوا لكان التنزيل: والذي جاء بالصدق، والذي صدق به أولئك هم المتقون، فكانت تكون (الذي) مكررة مع التصديق، ليكون المصدق غير المصدق، فأما إذا لم يكرر، فإن المفهوم

من الكلام، أن التصديق من صفة الذي جاء بالصدق، لا وجه للكلام غير ذلك. وإذا كان ذلك كذلك، وكانت (الذي) في معنى الجماع بما قد بينا، كان الصواب من القول في تأويله ما بينا.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ) الآية.

أوضح جل وعلا، أن (الذي) في هذه الآية بمعنى الذين، بدليل قوله بعده: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٣٣) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾. وقد ذكرنا في غير هذا الموضع أن (الذي) تأتي بمعنى اللذين، في القرآن وفي كلام العرب، فمن أمثلة ذلك في القرآن، قوله تعالى في آية الزمر هذه: (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ) الآية، وقوله تعالى في سورة البقرة: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا)، أي: الذين استوقدوا بدليل قوله بعده: (ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ) ﴿١٧﴾ [البقرة: ١٧]، وقوله فيها أيضًا: (وَالَّذِي يُضَيِّقُ مَالَهُ زُرْعًا وَالنَّاسِ)، أي: كالذين ينفقون بدليل قوله بعده: (لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنَ مَا كَسَبُوا) الآية [البقرة: ٢٦٤]، وقوله تعالى في التوبة: (وَحُضِّتُمْ كَالَّذِي خَلَا أَصْحَابُهَا) [التوبة: ٦٩] على القول بأن (الذي) موصولة لا مصدرية، ونظيره من كلام العرب قول أشهب بن رميلة:

هم القوم كل القوم يا أم خالد

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم

وقول عدیل بن الفرخ العجلي:

غوايتهم غيٌّ ورشدهم رشد

فبت أساقي القوم إخواني الذي

وقول الراجز:

يا رب عبس لا تبارك في أحد في قائم منها ولا فيمن قعد

إلا الذي قاموا بأطراف المسد

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي «تيسير الكريم الرحمن»:

(وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ) فِي قَوْلِهِ وَعَمَلِهِ، فَدَخَلَ فِي ذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ وَمَنْ قَامَ مَقَامَهُمْ، مِمَّنْ صَدَقَ فِيمَا قَالَهُ عَنْ خَيْرِ اللَّهِ وَأَحْكَامِهِ، وَفِيمَا فَعَلَهُ مِنْ خِصَالِ الصِّدْقِ (وَصَدَّقَ بِهِ) أَيِ: بِالصِّدْقِ لِأَنَّهُ قَدْ جِيءَ الْإِنْسَانُ بِالصِّدْقِ، وَلَكِنْ قَدْ لَا يَصْدُقُ بِهِ، بِسَبَبِ اسْتِكْبَارِهِ، أَوْ احْتِقَارِهِ لِمَنْ قَالَهُ وَأَتَى بِهِ، فَلَا بَدَّ فِي الْمَدْحِ مِنَ الصِّدْقِ وَالتَّصْدِيقِ، فَصَدَّقَهُ يَدُلُّ عَلَى عِلْمِهِ وَعَدْلِهِ، وَتَصْدِيقُهُ يَدُلُّ عَلَى تَوَاضُعِهِ وَعَدَمِ اسْتِكْبَارِهِ.



س: وَضَحْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: (أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (٣٣).

ج: الْمَعْنَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، أُولَئِكَ الَّذِينَ ذُكِرَ شَأْنُهُمْ وَهُمْ الَّذِينَ جَاءُوا بِالصِّدْقِ وَالَّذِينَ جَاءُوا بِهِ هُمُ الَّذِينَ اتَّقَوْا الشَّرْكَ فَعَبَدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَمْ يَشْرِكُوا مَعَهُ أَحَدًا فِي عِبَادَتِهِ، وَكَذَا اتَّقُوا - قَدْرَ جَهْدِهِمْ وَقَدْرَ اسْتَطَاعَتِهِمْ - مَا يَغْضِبُ رَبَّهُمْ عَلَيْهِمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (٣٣) يقول جل ثناؤه: هؤلاء الذين هذه صفتهم. هم الذين اتقوا الله بتوحيده والبراءة من الأوثان والأنداد، وأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، فخافوا عقابه.



س: وضع معنى قوله تعالى: (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ) ﴿٣٤﴾

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، لهؤلاء الذين جاءوا بالصدق وصدقوا به كل ما يتمونه في جنات النعيم فهذا هو جزاء من أحسن في الدنيا بامثال أمر الله ﷻ واجتنب مساخطه.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ) يقول تعالى ذكره: لهم عند ربهم يوم القيامة، ما تشتهيه أنفسهم، وتلذذه أعينهم (ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ) ﴿٣٤﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي لهم عند ربهم، جزاء من أحسن في الدنيا فأطاع الله فيها، وانتمر لأمره، وانتهى عما نهاه فيها عنه.



س: وضع معنى قوله تعالى: (يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَبِجَزَائِهِمْ أَجْرُهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) ﴿٣٥﴾

ج: المعنى، والله أعلم، ليححو الله عنهم خطاياهم فلا يؤاخذهم بها، وإذا كفر عنهم أسوأ الذي عملوا فقد كفر عنهم ما دون ذلك. وكذا ليكافؤهم الله ﷻ، ويثيبهم ويعطيهم أعظم الأجور على أعمالهم الحسنة التي عملوها.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وجزى هؤلاء المحسنين ربهم بإحسانهم، كي يكفر

عنهم أسوأ الذي عملوا في الدنيا من الأعمال، فيما بينهم وبين ربهم، بما كان منهم فيها من توبة وإنابة مما اجتروحوا من السيئات فيها (وَيَجْزِيهِمْ أَجْرَهُمْ) يقول: ويثيبهم ثوابهم (بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا) في الدنيا (يَعْمَلُونَ) ﴿٣٥﴾ مما يرضى الله عنهم دون أسوأها.

وقال ابن كثير رحمه الله:

(يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيهِمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) ﴿٣٥﴾، كما قال في الآية الأخرى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوْعَدُونَ) ﴿٣٥﴾ [الأحقاف: ١١٦].



س: في قوله تعالى: (يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا) ما ينفي القنوط

والبأس من رحمة الله. وضح ذلك.

ج: إيضاحه أنه إذا كان هؤلاء الذين صدقوا به بالقرآن كفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا، ففيه إشارة إلى أنه صدرت منهم أعمال تسوهم، ومن ثم فغيرهم من باب أولى أن تصدر منهم ذنوب وسيئات.

أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد قال:

(وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) ﴿٣٢﴾ أي: ألهم ذنوب،

أي رب نعم (لهم) فيها (مَا يَشَاءُونَ) عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيهِمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾، وقرأ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢] ...

إلى أن بلغ ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ لنأبىأس من لهم الذنوب أن لا يكونوا منهم (وَرَزَقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٤]، وقوله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] ... إلى آخر الآية.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ ﴿٣٦﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، أن أهل الشرك يخوفونك يا رسول الله من أوثانهم وآلهتهم التي يعبدونها من دون الله ويحذرونك منها ومن ترك عبادتها ويقولون: إنها ستضررك وستصيبك بالخبيل وستفعل وتفعل فأيقن يا رسول الله بأن الله ﷻ سيحميك ويحفظك منها ويسلمك منها وسيكفيك شرها بما يشاء من صور دفع ضررها عنك فلا تعباً ولا تبالي بما يتوعدون.

واعلم أن من يضلله الله فلن تجد له هادياً يهديه وكذلك من تفضل الله عليه بالهداية فلن تجد مُضِلًّا يضلّه.

واعلم يا رسول الله أن الله ﷻ عزيزٌ في انتقامه من أعدائه لا يغلبه غالب ولا يمنعه مما أراد مانع.

هذا، وقد قرأ بعض القراء (أليس الله بكاف عباده).

قال الطبري رحمه الله في بيان تلك القراءة، وفي تفسير ما ذكر:

اختلفت القراءة في قراءة: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) فقرأ ذلك بعض قراء المدينة وعامة قراء أهل الكوفة: (أليس الله بكاف عباده) على الجماع،

بمعنى: أليس الله بكاف محمدًا وأنبياءه من قبله ما خوفتهم أمهم من أن تنالهم آلهتهم بسوء، وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة، وبعض قراء الكوفة: (يَكْفِي عَبْدَهُ) على التوحيد، بمعنى: أليس الله بكاف عبده محمدًا. والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار. فبأيهما قرأ القارئ فمصيب لصحة معنيهما واستفاضة القراءة بهما في قراءة الأمصار.

وقوله: (وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: ويخوفك هؤلاء المشركون يا محمد بالذين من دون الله من الأوثان والآلهة أن تصيبك بسوء، ببراءةك منها، وعيبك لها، والله كافيك ذلك.

وقوله: (وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) يقول تعالى ذكره: ومن يضلله الله فيضله عن طريق الحق وسبيل الرشاد، فما له سواه من مرشد ومسدد إلى طريق الحق، وموفق للإيمان بالله، وتصديق رسوله، والعمل بطاعته (وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ) يقول: ومن يوفقه الله للإيمان به، والعمل بكتابه، فما له من مضل، يقول: فما له من مزيف يزيعه عن الحق الذي هو عليه إلى الارتداد إلى الكفر (أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ) يقول جل ثناؤه: أليس الله يا محمد بعزيز في انتقامه من كفره خلقه، ذي انتقام من أعدائه الجاحدين وحدانيته.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) يعني: المشركين يخوفون الرسول ويتوعدونه بأصنامهم وآلهتهم التي يدعونها من دونه؛ جهلاً منهم وضلالاً؛

التسهيل لتأويل التنزيل

ولهذا قال تعالى: (وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣٧﴾) أي: منيع الجنب لا يضام، من استند إلى جنبه ولجأ إلى بابه، فإنه العزيز الذي لا أعز منه، ولا أشد انتقاما منه، ممن كفر به وأشرك وعاند رسوله □.



س: أهل الكفر دوماً يخوفون أهل الإيمان والأنبياء بأصنامهم ومعبوداتهم ولكن الله ﷻ يثبت أهل الإيمان والأنبياء فلا يخشون إلا الله. دَلِّلْ على ذلك.

ج: ذكر الشنقيطي في «أضواء البيان» شيئاً من ذلك، وأورد الأدلة في هذا الباب حيث قال في: قوله تعالى: (وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ). ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أن الكفار عبدة الأوثان، يخوفون النبي ﷺ، بالأوثان التي يعبدونها من دون الله، لأنهم يقولون له: إنها ستضره وتخبله، وهذه عادة عبدة الأوثان لعنهم الله، يخوفون الرسل بالأوثان ويزعمون أنها ستضرهم وتصل إليهم بالسوء. ومعلوم أن أنبياء الله عليهم صلوات الله وسلامه، لا يخافون غير الله ولا سيما الأوثان، التي لا تسمع ولا تبصر، ولا تضر ولا تنفع، ولهذا قال تعالى عن نبيه إبراهيم لما خوفوه بها: (وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ﴿٨١﴾ [الأنعام: ٨١].

وقال عن نبيه هود وما ذكره له قومه من ذلك: (إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْرَجَكَ بِعَضُّ

ءَالِهَتِنَا يَسُوءُ ۖ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِّنْ دُونِهِ ۖ فَكِدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَّا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ [هود: ٥٤-٥٦].

وقال تعالى في هذه السورة الكريمة، مخاطبًا نبينا ﷺ، بعد أن ذكر تخويفهم له بأصنامهم (وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرِّيَّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُنْصِلَتُ رَحْمَتِهِ ۖ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾). ومعلوم أن الخوف من تلك الأصنام من أشنع أنواع الكفر والإشراك بالله.

وقد بيّن جل وعلا في موضع آخر، أن الشيطان يخوف المؤمنين أيضًا، الذين هم أتباع الرسل من أتباعه وأوليائه من الكفار، كما قال تعالى: (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ ۚ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾) [إل عمران: ١٧٥].

والأظهر أن قوله: (يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ ۚ) حذف فيه المفعول الأول، أي يخوفكم أوليائه، بدليل قوله بعده: (فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ) الآية.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرِّيَّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُنْصِلَتُ رَحْمَتِهِ ۖ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ) الآية.

ج: المعنى، والله أعلم، ولئن سألت يا رسول الله أهل الشرك الذين كذبوك وجحدوا آيات الله المنزلة عليك، لئن سألتهم من خلق السموات

والأرض ليقولن الله، فيقرون الله بأنه خالق السموات والأرض ومع ذلك فهم يشركون به ويعبدون معه غيره، كما قال تعالى: (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) [يوسف: ١٠٦].

فقل لهؤلاء أفرأيتم يا هؤلاء إن أراد الله بي سوءًا أو مكروهًا أو ضررًا في بدني أو قلة في مالي أو غير ذلك هل تستطيع هذه الآلهة دفع ذلك. أو أراد بي خيرًا وسعة في الرزق وصحة وعافية.

هل تستطيع هذه الآلهة أن تمنع عني رزقًا ساقه الله إليّ، كلا فلن تستطيع هذه الآلهة جلب خير ولا دفع ضرر، فقل يا رسول الله لهؤلاء المشركين حسبي الله فهو كافيي ما أمني، وهو الذي يصرف عني السوء والمكروه وهو الذي يتولى أموري كلها عليه اعتمدت وعليه فليعتمد المعتمدون.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين العادلين بالله الأوثان والأصنام: من خلق السموات والأرض؟ ليقولن: الذي خلقهن الله، فإذا قالوا ذلك، فقل: أفرأيتم أيها القوم هذا الذي تعبدون من دون الله من الأصنام والآلهة (إِنَّ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ) يقول: بشدة في معيشتي، هل هن كاشفات عني ما يصيبني به ربي من الضر؟ (أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ) يقول: إن أَرَادَنِيَ ربي أن يصيبني سعة في معيشتي، وكثرة مالي، ورخاء وعافية في بدني، هل هن ممسكات عني ما أَرَادَ أن يصيبني به من تلك الرحمة؟ وترك الجواب لاستغناء السامع بمعرفة ذلك، ودلالة

ما ظهر من الكلام عليه. والمعنى: فإنهم سيقولون لا فقل: حسبي الله مما سواه من الأشياء كلها، إياه أعبد، وإليه أفزع في أموري دون كل شيء سواه، فإنه الكافي، وببيده الضر والنفع، لا إلى الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع، (عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾) يقول: على الله يتوكل من هو متوكل، وبه فليثق لا بغيره.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) يعني: المشركين كانوا يعترفون بأن الله هو الخالق للأشياء كلها، ومع هذا يعبدون معه غيره، مما لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً؛ ولهذا قال: (قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ) أي: لا تستطيع شيئاً من الأمر.

وقال:

(قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ) أي: الله كافي، عليه توكلت وعليه يتوكل المتوكلون، كما قال هود، رَحِمَهُ اللهُ، حين قال له قومه: (إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْثٌ آلِهَةٍ سَوَاءٌ قَالَ إِنْ شَهِدَ اللَّهُ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴿٥٥﴾) إِنْ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَفِي وَرَيْكُم مَّا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ أَخَذُ بِنَاصِيئِهَا إِنْ رَفِي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾)

[هود: ٥٤-٥٦]

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ في «أضواء البيان»:

ما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة من أن المعبودات من دونه، لا تقدر أن تكشف ضرراً أراد الله به أحداً، أو تمسك رحمة أراد بها أحداً،

التسهيل لتأويل التنزيل

جاء موضحاً في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿لَمْ تَعْبُدُوا مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾ (مريم: ٤٢)، وقوله تعالى: (قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾) [الشعراء: ٧٢-٧٤]. وقوله تعالى: (مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾) [فاطر: ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۚ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ﴾ [يونس: ١٠٧]، والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.

هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده ﴿١٠٧﴾ [يونس: ١٠٧]، والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.

س: اذكر حديثاً في معنى الآية الكريمة: (قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرِّيَّهٗ... ﴿١﴾).

ج: في معناها حديث ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك، ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك» ^(١).



س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلْ يَسِّرْ لِي سُبُلِيَ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي) ﴿١٠٧﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، قل يا رسول الله لهؤلاء الذين كذبوك وجحدوا نبوتك وأنكروا ما جئت به، قل يا هؤلاء اعملوا على طريقتكم التي أنتم عليها فإني عامل على طريقتي، واثبتوا على منهجكم فإني ثابت على منهجي، وهذا على سبيل التهديد فسوف يأتي اليوم الذي تعلمون فيه أين المحق الذي يستحق فسيح الجنان، وأينا المبطل الذي سيحل عليه عذاب يلزمه ولا يفارقه.

قال الطبري رحمته الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك، الذي اتخذوا الأوثان والأصنام آلهة يعبدونها من دون الله اعملوا أيها القوم على

(١) صحيح لشواهد، أخرجه أحمد (٢٩٣/١، ٣٠٣)، والترمذي (٢٥١)، وغيرهما.

تمكنكم من العمل الذي تعملون ومنازلكم.

وقوله: (مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ) يقول تعالى ذكره: مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يَخْزِيهِ، ما أتاه من ذلك العذاب، يعني: يذله ويهينه (وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾) يقول: وينزل عليه عذاب دائم لا يفارقه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (قُلْ يَنْقُومِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانِكُمْ) أي: على طريقكم، وهذا تهديد ووعد. (إِنِّي عَمِلْتُ) أي: على طريقي ومنهجي، (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾) أي: ستعلمون عيب ذلك ووباله (مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ) أي: في الدنيا، (وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾) أي: دائم مستمر، لا محيد له عنه. وذلك يوم القيامة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: (قُلْ يَنْقُومِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ) أي على مكانتي أي على جهتي التي تمكنت عندي (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾) وقرأ أبو بكر: (مكاناتكم) وقد مضى في (الأنعام). (مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ) أي يهينه ويذله أي في الدنيا وذلك بالجوع والسيف (وَيَحِلُّ عَلَيْهِ) أي: في الآخرة (عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾).



س: وضع معنى قوله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ)

الآية.

ج: المعنى، والله أعلم، إنا أنزلنا عليك يا رسولنا هذا القرآن متضمناً الحق محتوياً عليه، وكذا فنزوله حق وصدق فهو من عند الله حقاً فمن قبله واهتدى بهداه فثواب عمله لنفسه، ومن حاد عن هذا الكتاب العزيز وانصرف عنه فإثم ذلك عائدٌ عليه أيضاً، وما أنت على هؤلاء بحفيظ تحفظ عليهم أعمالهم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إنا أنزلنا عليك يا محمد الكتاب تبيناً للناس بالحق (فَمَنْ أَهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ) يقول: فمن عمل بما في الكتاب الذي أنزلناه إليه واتبعه فلنفسه، يقول: فإنما عمل بذلك لنفسه، وإياها بغى الخير لا غيرها، لأنه أكسبها رضا الله والفور بالجنة، والنجاة من النار. (وَمَنْ ضَلَّ) يقول: ومن جار عن الكتاب الذي أنزلناه إليك، والبيان الذي بيناه لك، فضل عن قصد المحجة، وزال عن سواء السبيل، فإنما يجور على نفسه، وإليها يسوق العطب والهلاك، لأنه يكسبها سخط الله، وأليم عقابه، والخزي الدائم. (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) يقول تعالى ذكره: وما أنت يا محمد على من أرسلتك إليه من الناس برقيب ترقب أعمالهم، وتحفظ عليهم أفعالهم، إنما أنت رسول، وإنما عليك البلاغ، وعلينا الحساب.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى مخاطباً رسوله محمداً ﷺ: (إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ) يعني: القرآن ﴿لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ أي: لجميع الخلق من الإنس والجن لتنذرهم به، (فَمَنْ أَهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ) أي: فإنما يعود نفع ذلك إلى نفسه، (وَمَنْ ضَلَّ

فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا) أي: إنما يرجع وبال ذلك على نفسه، (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ
بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ أي: بموكل أن يهتدوا، (إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ
﴿١٢﴾ [هود: ١٢]، (فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ [الرعد: ٤٠] .



mostafaaladwy.com

قال الله تعالى:

(اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكَ الَّتِي
قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ كَانُوا لَا
يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ
﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ
بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ
اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ وَحَاقَ بِهِمْ
مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ [الزمر: ٤٢-٤٨]

س: اذكر معنى ما يلي:

(يَتَوَقَّى - أَجَلٍ مُّسَمًّى - أَشْمَازَتْ - الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ - يَسْتَبْشِرُونَ - فَاطِرَ - الْغَيْبِ - وَالشَّهَادَةِ - ظَلَمُوا - لَأَفْندُوا بِهِ - وَبَدَأَ لَهُمْ - يَحْتَسِبُونَ - سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا - وَحَاقَ بِهِمْ).

ج:

الكلمة	معناها
(يَتَوَقَّى)	يقبض
(أَجَلٍ مُّسَمًّى)	وقت سماه الله وحدّده
(أَشْمَازَتْ)	نفرت - استكبرت - كفرت
(الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ)	الأصنام والأوثان، وما سوى الله من الآلهة التي عبدوها
(يَسْتَبْشِرُونَ)	يظهر في وجههم أثر الفرح والسرور ويؤملون
(فَاطِرَ)	خالق على غير مثال سابق
(الْغَيْبِ)	لا تراه الأبصار ولا تحسه العيون
(وَالشَّهَادَةِ)	ما يشاهده الخلق ويرونه
(ظَلَمُوا)	أشركوا
(لَأَفْندُوا بِهِ)	لقدموه فدية لأنفسهم من العذاب لدفعوه مقابل ألا يعذبوا
(وَبَدَأَ لَهُمْ)	ظهر وتبين

يَتَوَقَّعُونَ	(يَحْتَسِبُونَ)
العقاب السيئ لأعمالهم السيئة	(سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا)
حلّ ونزل بهم	(وَحَاقَ بِهِمْ)

س: وضح معنى الآية الكريمة: (اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَمِمْسِكٌ لَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ) .

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، الله يقبض أرواح الأشخاص عند انقضاء آجالهم، فتلك هي الوفاة الكبرى أما الأنفس التي لم تنقض آجالها التي حددها الله لها وقضى أنها تعيشها فإن هذه الأنفس يتوفاها الله ﷻ - الوفاة الصغرى - في منامها - أثناء نومها فنحن نقول إذا استيقظنا الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور كما علمنا رسولنا ﷺ فعلى ما ذكر يمكن صياغة ما ذكر على النحو التالي.

الله يتوفى جميع الأنفس، ولكن الأنفس التي انتهت آجالها يتوفاها الله الوفاة الكبرى، ويمسكها عندها فلا ترجع إلى جسد صاحبها. أما الأنفس التي لم تنقض آجالها فإن الله ﷻ يتوفاها أثناء نومها، فإذا أريد لأصحابها الاستيقاظ ردها الله ﷻ إليهم.

هذا، وقد ذكر فريق من العلماء أن الأرواح كلها تصعد إلى السماء فتكون في الملا الأعلى فيمسك الله ﷻ عنده تلك الأنفس التي انتهت آجالها ويرسل الأخرى إلى أجساد أصحابها إلى الأجل المسمى المحدد الذي قدر الله لها أن تعيشه، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «... إن أمسكت نفسي

فأرحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين».

وقوله: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾).

حاصل معناه إن في قبض الأرواح التي انتهت آجالها وإرسال الأنفس التي لم تنتهي آجالها، وكذا في توفيقها بالليل لدلالات على قدرة الله ﷻ على إحياء الموتى.

ودلالات على وحدانية الله ﷻ لمن يتفكر ويتدبر ويتأمل.

هذا، وقد قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ومن الدلالة على أن الألوهة لله الواحد القهار خالصة دون كل ما سواه، أنه بميت ويحيي، ويفعل ما يشاء، ولا يقدر على ذلك شيء سواه، فجعل ذلك خيرا نبهم به على عظيم قدرته، فقال: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) فيقبضها عند فناء أجلها، وانقضاء مدة حياتها، ويتوفى أيضا التي لم تمت في منامها، كما التي ماتت عند مماتها (فِيْمَسِكُ أَلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ) ذكر أن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام، فيتعارف ما شاء الله منها، فإذا أراد جميعها الرجوع إلى أجسادها أمسك الله أرواح الأموات عنده وحبسها، وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها إلى أجل مسمى وذلك إلى انقضاء مدة حياتها.

وقوله: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾) يقول تعالى ذكره:

إن في قبض الله نفس النائم والميت وإرساله بعد نفس هذا ترجع إلى جسمها، وحبسه لغيرها عن جسمها لعبرة وعظة لمن تفكر وتدبر، وبيانا له أن الله يحيي من يشاء من خلقه إذا شاء، ويميت من شاء إذا شاء.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

ثم قال تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة بأنه المتصرف في الوجود بما يشاء، وأنه يتوفى الأنفس الوفاة الكبرى، بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الأبدان، والوفاة الصغرى عند المنام، كما قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنْفَخُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾) [الأنعام: ٦٠-٦١]، فذكر الوفاتين: الصغرى ثم الكبرى. وفي هذه الآية ذكر الكبرى ثم الصغرى؛ ولهذا قال: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٦٠﴾) فيه دلالة على أنها تجتمع في الملا الأعلى، كما ورد بذلك الحديث المرفوع الذي رواه ابن منده وغيره. وفي صحيح البخاري ومسلم من حديث عبيد الله بن عمر، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبيه، عن أبي هريرة، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليثفضه بداخله إزاره، فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم ليقل: باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين».

وقال بعض السلف: يقبض أرواح الأموات إذا ماتوا، وأرواح الأحياء

إذا ناموا، فتتعارف ما شاء الله تعالى أن تتعارف (فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا

(١) البخاري (٦٣٢٠)، ومسلم (٢٧١٤).

الْمَوْتِ ﴿التي قد ماتت (وُرِّسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى)﴾.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي «تيسير الكريم الرحمن»:

(اللَّهُ يُتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) وهذه الوفاة الكبرى، وفاة الموت. وإخباره أنه يتوفى الأنفس وإضافة الفعل إلى نفسه، لا ينافي أنه قد وكل بذلك ملك الموت وأعوانه، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [البقرة: ١١٠]، (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾) [الأنعام: ٦١]؛ لأنه تعالى يضيف الأشياء إلى نفسه، باعتبار أنه الخالق المدبر، ويضيفها إلى أسبابها، باعتبار أن من سننه تعالى وحكمته أن جعل لكل أمر من الأمور سبباً.

وقوله: (وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) وهذه هي الموتة الصغرى، أي: ويمسك النفس التي لم تمت في منامها، (فَيَمْسِكُ) من هاتين النفسين النفس (الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ) وهي نفس من كان مائتاً، أو قضى أن يموت في منامه.

(وُرِّسِلُ) النفس (الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) أي: إلى استكمال رزقها وأجلها.



س: لأهل العلم قولان في (أَمِ اتَّخَذُوا). وضحهما.

ج: القول الأول: أن (أَمِ) بمعنى بل، فيكون المعنى: بل اتخذوا من دون الله شفعاء.

والثاني: أن (أَمِ) استفهامية، تحمل معنى الإنكار والتوبيخ، والله أعلم.



س: **وضح معنى قوله: (قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا).**

ج: **المعنى، والله أعلم، أن أمر الشفاعة كله موكل إلى الله، فلا يشفع شافع إلا بإذن الله، ولا يشفع شافع إلا فيمن ارتضاه الله، إلى غير ذلك من المعاني.**

قال تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) [البقرة: ٢٥٥].

وقال تعالى: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى) [الأنبياء: ٢٨].



س: **وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ**

أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ) [قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا... ﴿١﴾] الآيات.

ج: **المعنى، والله تعالى أعلم، أن هؤلاء القوم من أهل الشرك عبدوا الأوثان والأصنام كي تشفع لهم عند خالقهم فأخبر الله ﷻ أن أمر الشفاعة موكل إليه يُشَفَّع من شاء فيمن يشاء، وهذه الأصنام التي زعمتم أنها تشفع لكم لا تملك لأنفسها شيئاً ولا لغيرها فضلاً عن كونها لا تعقل ولا تفهم.**

فأخبرهم يا رسول الله بأن الأمر كله لله فليتجهوا إليه مخلصين له الدين، دون ما سواه، فملك السموات والأرض كله له ﷻ وإليه المرجع يوم القيامة والمآب.

وهذه بعض أقوال العلماء في الآية الكريمة:

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: أم اتخذ هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهتهم التي يعبدونها شفعاء تشفع لهم عند الله في حاجاتهم. وقوله: (قُلْ أُولَٰئِكَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهم: أتتخذون هذه الآلهة شفعاء كما تزعمون ولو كانوا لا يملكون لكم نفعا ولا ضرا، ولا يعقلون شيئا، قل لهم: إن تكونوا تعبدونها لذلك، وتشفع لكم عند الله، فأخلصوا عبادتكم لله، وأفردوه بالألوهة، فإن الشفاعة جميعا له، لا يشفع عنده إلا من أذن له، ورضي له قولا وأنتم متى أخلصتم له العبادة، فدعوتهم، شفيعكم (لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ، يقول: له سلطان السموات والأرض وملكها، وما تعبدون أيها المشركون من دونه ملك له، يقول: فاعبدوا الملك لا المملوك الذي لا يملك شيئا. ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ يقول: ثم إلى الله مصيركم، وهو معاقبكم على إشراككم به، إن متم على شرككم.

ومعنى الكلام: لله الشفاعة جميعا، له ملك السموات والأرض، فاعبدوا المالك الذي له ملك السموات والأرض، الذي يقدر على نفعكم في الدنيا، وعلى ضرركم فيها، وعند مرجعكم إليه بعد مماتكم، فإنكم إليه ترجعون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذامًا للمشركين في اتخاذهم شفعاء من دون الله، وهم الأصنام والأنداد، التي اتخذوها من تلقاء أنفسهم بلا دليل ولا برهان حذاهم على ذلك، وهي لا تملك شيئا من الأمر، بل وليس لها عقل تعقل به، ولا سمع تسمع به، ولا بصر تبصر به، بل هي جمادات أسوأ حالا من

الحيوان بكثير.

ثم قال: قل: أي يا محمد لهؤلاء الزاعمين أن ما اتخذوه شفعاء لهم عند الله، أخبرهم أن الشفاعة لا تنفع عند الله إلا لمن ارتضاه وأذن له، فمرجعها كلها إليه، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].
(لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي: هو المتصرف في جميع ذلك. (ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) أي: يوم القيامة، فيحكم بينكم بعدله، ويجزي كلا بعمله.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (أَمْ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ) أي بل اتخذوا يعني الأصنام وفي الكلام ما يتضمن لهم أي: (إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَدْرِي لِقَوْمٍ يُفَكَّرُونَ) ﴿٤٢﴾ لم يتفكروا ولكنهم اتخذوا آلهتهم شفعاء (قُلْ أُولَئِكَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا) أي: قل لهم يا محمد أتتخذونهم شفعاء وإن كانوا لا يملكون شيئاً من الشفاعة (وَلَا يَعْقِلُونَ) ﴿٤٣﴾ لأنها جمادات وهذا استفهام إنكار قوله تعالى: (قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا) نص في أن الشفاعة لله وحده كما قال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فلا شافع إلا من شفاعته (وَلَا يَنْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَى) [الأنبياء: ٢٨] (جَمِيعًا) نصب على الحال فإن قيل: (جَمِيعًا) إنما يكون لل اثنين فصاعدا والشفاعة واحدة فالجواب أن الشفاعة مصدر والمصدر يؤدي عن الاثنين والجميع (لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) ﴿٤٤﴾.



س: وضع معنى قوله تعالى: (وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) (٤٥).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن أهل الشرك إذا سمعوا الداعي يدعو إلى توحيد الله ﷻ ويقول: لا إله إلا الله نفرت قلوبهم وكفرت واستكبرت، وإذا ذكرت الأوثان والأصنام إذا بهؤلاء النافرين عن قول لا إله إلا الله يستبشرون بالأصنام والأوثان ويطلبون منها الشفاعة وكشف الضرر وجلب النفع، ويظنون في أصنامهم أنها تجيب مطالبهم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وإذا أفرده الله جل ثناؤه بالذكر، فدعي وحده، وقيل: لا إله إلا الله، اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْمَعَادِ وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ. وعنى بقوله: ﴿اشْمَأَزَّتْ﴾: نفرت من توحيد الله. (وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) يقول: وإذا ذكر الآلهة التي يدعونها من دون الله مع الله، فقيل: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتها لترتجى، إذ الذين لا يؤمنون بالآخرة يستبشرون بذلك ويفرحون.

وقال ابن كثير رحمه الله:

ثم قال تعالى ذاماً للمشركين أيضاً: (وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ) أي: إذا قيل لا إله إلا الله (اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) قال مجاهد: (اشْمَأَزَّتْ) انقبضت.

وقال السدي: نفرت. وقال قتادة: كفرت واستكبرت. وقال مالك، عن زيد بن أسلم: استكبرت. كما قال تعالى: (إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ [الصافات: ٣٥]، أي: عن المتابعة والانقياد لها. فقلوبهم لا تقبل الخير، ومن لم يقبل الخير يقبل الشر؛ ولهذا قال: (وَإِذَا ذُكِّرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴿٤٥﴾ أَي: من الأصنام والأنداد، قاله مجاهد، (إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ أَي: يفرحون ويسرون .



س: **وضح معنى قوله تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾).**

ج: المعنى، والله أعلم، قل يا الله يا خالق السموات والأرض على غير مثال سابق، يا من تعلم السر والعلانية، وما رآته العيون والأبصار وما أخفته النفوس، يا الله أنت تحكم بين عبادك عمومًا يوم القيامة في كل شيء اختلفوا فيه وتخاصموا بسببه، وتحكم بين أهل الكفر وأهل الإيمان، وحكمك عدل.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد، الله خالق السموات والأرض (عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) الذي لا تراه الأبصار، ولا تحسه العيون والشهادة الذي تشهده أبصار خلقه، وتراه أعينهم (أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ) فتفصل بينهم بالحق يوم تجمعهم لفصل القضاء بينهم (فِي مَا كَانُوا فِيهِ) في الدنيا ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ من القول فيك، وفي عظمتك وسلطانك، وغير ذلك من اختلافهم بينهم، فتقضي يومئذ بيننا وبين هؤلاء المشركين الذين إذا ذكرت وحدك اشمأزت قلوبهم، إذا ذكر من دونك استبشروا بالحق.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى: بعد ما ذكر عن المشركين ما ذكر من المذمة، لهم في حبهم الشرك، ونفرتهم عن التوحيد (قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) أي: ادع أنت الله وحده لا شريك له، الذي خلق السموات والأرض وفطرها، أي: جعلها على غير مثال سبق، (عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) أي: السر والعلانية، (أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) (٤٦) أي: في دنياهم، ستفصل بينهم يوم معادهم ونشورهم، وقيامهم من قبورهم.



س: ما مدى صحة الحديث الوارد من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت عائشة: بأي شيء كان رسول الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: «اللهم؛ رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، علم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»^(١).

ج: هذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، وقد أعله بعض العلماء كأبي الفضل الهروي في كتابه «علل أحاديث في صحيح مسلم» بما حاصله أنه من طريق عكرمة بن عمار حدثنا يحيى بن أبي كثير.

قال: وفي رواية عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبي كثير مقال. فأنه

أعلم.

(١) مسلم حديث (٥٣٤).



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ، لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ) (٤٧).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ولو كان الكفار الذين أشركوا بالله ﷻ في دنياهم يملكون كل ما في الأرض مضاعفًا لقدموه حتى لا يُعذبوا يوم القيامة. ولو قدموه ما قبل منهم.

وقد ظهر لهم وتبين لهم من الله ﷻ ما لم يكن يخطر لهم على بال من صور العذاب. وقيل: إنهم في دنياهم عملوا أعمالًا يظنونها حسنات فإذا بها سيئات.

قال الطبري رحمه الله:

القول في تأويل قوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ، لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ) (٤٧).

يقول تعالى ذكره: ولو أن لهؤلاء المشركين بالله يوم القيامة، وهم الذين ظلموا أنفسهم (ما في الأرض جميعًا) في الدنيا من أموالها وزينتها (ومثله معه) مضاعفًا، فقبل ذلك منهم عوضًا من أنفسهم، لفدوا بذلك كله أنفسهم عوضًا منها، لينجو من سوء عذاب الله، الذي هو معذبهم به يومئذ (وبدأهم من الله) يقول: وظهر لهم يومئذ من أمر الله وعذابه، الذي كان أعده لهم، ما لم يكونوا قبل ذلك يحتسبون أنه أعده لهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) وهم المشركون، (مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ) أي: ولو أن جميع ملك الأرض وضعفه معه (لَأَفْنَدُوا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ) أي: الذي أوجبه الله لهم يوم القيامة، ومع هذا لا يُتقبل منهم الفداء ولو كان ملء الأرض ذهبًا، كما قال في الآية الأخرى: وَبَدَأَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَهُمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ أي: وظهر لهم من الله من العذاب والنكال بهم ما لم يكن في بالهم ولا في حسابهم.

(وَبَدَأَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) أي: وظهر لهم جزاء ما اكتسبوا في الدار الدنيا من المحارم والمآثم، (وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) ﴿٤٨﴾ أي: وأحاط بهم من العذاب والنكال ما كانوا يستهزئون به في الدار الدنيا .

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ في «أضواء البيان»:

ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أن الذين ظلموا وهم الكفار، ولو كان لهم في الآخرة ما في الأرض جميعًا ومثله معه، لهدوا أنفسهم به من سوء العذاب الذي عاينوه يوم القيامة، وبين هذا المعنى في مواضع أخر وصرح فيها بأنه لا فداء ألبتة يوم القيامة كقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُمْسَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدى بِهِ) أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرٍ ﴿٩١﴾ [آل عمران: ٩١] . وقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ آتٍ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٧﴾) [المائدة: ٣٦-٣٧] ، وقوله تعالى: (فَأَلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَتْكُمُ النَّارُ هِيَ

مَوْلَكُمْ وَيَسِّرُ الْمَصِيرَ ﴿١٥﴾ [الحديد: ١٥]. وقوله تعالى: (وَإِنْ تَعَدَّلَ كُفْرًا لَا يُوْخِذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ [الأنعام: ٧٠]. فقلوله: (وَإِنْ تَعَدَّلَ كُفْرًا) أي: وإن تفقد كل فداء، وقوله تعالى: (وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ) [البقرة: ٤٨]. وقوله (وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ) [البقرة: ١٢٣]، والعدل: الفداء وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرُ اللَّهُ لَهُمْ) [الرعد: ١٨].

س: **وضح معنى قوله تعالى: (وَمَا لَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) ﴿٤٨﴾.**

ج: المعنى، وظهر لهم وتبين لهم لما رأوا كتب أعمالهم ما نشرت صحفهم وتلقوا كتابهم بشمالهم ظهر لهم وتبين ما عملوه من الأعمال السيئة من الكفر والكبائر والمعاصي والجرائم، ونزل بهم حينئذٍ وحل بهم جزاء استهزأهم برسل الله الكرام عليهم صلوات الله وسلامه.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وظهر لهؤلاء المشركين يوم القيامة (سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا) من الأعمال في الدنيا، إذ أعطوا كتبهم بشمالهم (وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) ﴿٤٨﴾ ووجب عليهم حينئذٍ، فلزمهم عذاب الله الذي كان نبي الله ﷺ في الدنيا يعدهم على كفرهم بربهم، فكانوا به يسخرون، إنكاراً أن يصيبهم ذلك، أو ينالهم تكذيباً منهم به، وأحاط ذلك بهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

(وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) أي: وظهر لهم جزاء ما اكتسبوا في الدار الدنيا من المحارم والمآثم، (وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾) أي: وأحاط بهم من العذاب والنكال ما كانوا يستهزئون به في الدار الدنيا .

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: (وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا).

قوله: (وَبَدَأَ لَهُمْ) أي: ظهر لهم (سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) أي: جزاء سيئاتهم التي اكتسبوها في الدنيا، فالظاهر أنه أطلق السيئات هنا مرادًا بها جزاؤها.

ونظيره من القرآن قوله تعالى: (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِّثْلُهَا) [الشورى: ٤٠].

ونظير ذلك أيضًا إطلاق العقاب، على جزاء العقاب، في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ، ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيُصْرَفَهُ اللَّهُ﴾.

[الحج: ٦٠]

وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من أنهم يبدوا لهم يوم القيامة حقيقة ما كانوا يعملونه في الدنيا جاء موضحًا في آيات أخر، كقوله تعالى: (هُلَّاكَ

تَبَلَّوْا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ) [يونس: ٣٠]، وقوله تعالى: (يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ

﴿١٣﴾) [القيامة: ١٣]، وقوله تعالى: (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ) ﴿٥﴾ [الانفطار: ٥].

٥. وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ يَوْمَئِذٍ إِنَّ هَذَا إِلَّا كِتَابٌ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا

أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا) [الكهف: ٤٩]. وقوله تعالى: (وَكُلُّ إِنْسَانٍ لِّزَمَنِهِ

طَائِرُهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ

عَلَيْكَ حَسِبًا (١٤) [الإسراء: ١٣-١٤] إلى غير ذلك من الآيات.



mostafaaladwy.com

قال الله تعالى:

(فَإِذَا مَنَّ اللَّهُ عَلَىٰ عَبْدًا إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ
بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِن أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ
عَنَّهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن
هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾)

[الزمر: ٤٩-٥٢]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿مَسَّ - ضُرَّ - خَوْلْنَهُ - فِتْنَةً - بِمُعْجِزِينَ - يَبْسُطُ - وَيَقْدِرُ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(مَسَّ)	أصاب
(ضُرَّ)	بلاء - شدة - فقر - مرض
(خَوْلْنَهُ)	أعطيناه
(فِتْنَةً)	اختبار وابتلاء
(بِمُعْجِزِينَ)	بفائتين - بهارين
(يَبْسُطُ)	يوسع
(وَيَقْدِرُ)	يضيق



س: وضح معنى قوله: (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ).

ج: المعنى، والله أعلم، إنما أوتيته بخبرتي وجدي واجتهادي، وقيل:

على علم من الله أني أستحق ذلك.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قال قتادة: (عَلَىٰ عِلْمٍ) عندي بوجوه المكاسب وعنه أيضاً (عَلَىٰ عِلْمٍ) ﴿

على خير عندي وقيل: (عَلَىٰ عِلْمٍ) أي على علم من الله بفضلي وقال

الحسن: (عَلَىٰ عِلْمٍ) ﴿ أي بعلم علمني الله إياه وقيل: المعنى أنه قال قد علمت

أنني إذا أوتيت هذا في الدنيا أن لي عند الله منزلة.



س: وضح معنى الآية الكريمة: (فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، أن الإنسان - إلا من رحم الله - إذا أصابه ضرر من مرض أو فقر أو شدة أو عسر أو بلاء تضرع إلى ربه ﷻ كي يكشف عنه ما حلَّ به، إذا رفع الله ﷻ عنه البلاء وكشفه عنه نسي ربه ﷻ وإنعامه عليه، وقال إن الذي أنا فيه من النعيم والخيرات والمال قد أتاني باجتهادي وخبرتي ولولا أن الله يعلم أنني من أهل الاستحقاق ما أعطانيه فقل لهذا الذي هذا شأنه: بل ما أنت فيه اختبار وابتلاء ابتلاك الله به ليعلم أتشكر أم تكفر ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك، لا يعلمون أن ما بأيديهم من مال وما هم فيه من النعيم ابتلاء واختبار، ثم إن هذه المقولة بعينها الذي قالها هذا الجاحد لنعم ربه ﷻ قد قالها أمثاله من الذين أهلكهم الله ﷻ، فلم تكن أموالهم تنفعهم ولم يكن ما اكتسبوه في دنياهم من بنين وثروات ووجاهات وغير ذلك بنافع لهم لما جحدوا نعم الله ﷻ ولم يشكروه بل كفروا.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: فإذا أصاب الإنسان بؤس وشدة دعانا مستغيثًا بنا من جهة ما أصابه من الضر، (ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا) يقول: ثم إذا أعطيناه فرجا مما كان فيه من الضر، بأن أبدلناه بالضر رخاء وسعة، وبالسقم

صحة وعافية، فقال: إنما أعطيت الذي أعطيت من الرخاء والسعة في المعيشة، والصحة في البدن والعافية، على علم عندي يعني على علم من الله بأني له أهل لشرفي ورضاه بعلمي عندي يعني: فيما عندي، كما يقال: أنت محسن في هذا الأمر عندي: أي فيما أظن وأحسب.

وقوله: (أُوْتِيْتُهُ، عَلَيَّ عَلِمٌ) : أي على شرف أعطانيه.

وقوله: (بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ) يقول تعالى ذكره: بل عطيتنا إياهم تلك النعمة من بعد الضر الذي كانوا فيه فتنة لهم ، يعني بلاء ابتليناهم به، واختبارا اختبارناهم به (وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ أَجُولُهُمْ، وَسَوْءَ رَأْيُهُمْ (لَا يَعْلَمُونَ) ﴿٤٩﴾) لأي سبب أعطوا ذلك.

يقول تعالى ذكره: قد قال هذه المقالة يعني قولهم: لنعمة الله التي خولهم وهم مشركون: أوتيناها على علم عندنا (الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يعني: الذي من قبل مشركي قريش من الأمم الخالية لرسولها، فكذبوا منهم لهم، واستهزاء بهم. وقوله: (فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) ﴿٥٠﴾ يقول: فلم يغن عنهم حين أتاهم بأس الله على تكذيبهم رسل الله واستهزاءهم بهم ما كانوا يكسبون من الأعمال، وذلك عبادتهم الأوثان. يقول: لم تنفعهم خدمتهم إياها، ولم تشفع آلهتهم لهم عند الله حينئذ، ولكنها أسلمتهم وتبرأت منهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى مخبراً عن الإنسان أنه في حال الضراء يَضُرَّعُ إِلَى اللهِ، وَيَنْيِبُ إِلَيْهِ وَيَدْعُوهُ، وَإِذَا خَوْلَهُ مِنْهُ نِعْمَةٌ بَغَى وَطَغَى، وَقَالَ: (إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ، عَلَيَّ عَلِمٌ) أي: لما يعلم الله من استحقاقي له، ولولا أنني عند الله تعالى

خصيص لما خَوَّلني هذا!

قال قتادة: (عَلَيْ عِلْمٍ عِنْدِي) [القصص: ٧٨] على خير عندي.

قال الله ﷻ: (بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ) أي: ليس الأمر كما زعموا، بل أنعمنا عليه بهذه النعمة لنختبره فيما أنعمنا عليه، أطيع أم يعصي؟ مع علمنا المتقدم بذلك، فهي فتنة أي: اختبار، (وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾) فلهذا يقولون ما يقولون، ويدعون ما يدعون.

(فَدَقَّلْنَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أي: قد قال هذه المقالة وزعم هذا الزعم وادعى هذه الدعوى، كثير ممن سلف من الأمم (فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾) أي: فما صح قولهم ولا منعهم جمعهم وما كانوا يكسبون.



س: وضح معنى قوله تعالى: (فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيَّصِبُ بِهِمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، فأصاب من كانوا قبل كفار قريش من الأمم المكذبة المعاندة جزاء أعمالهم السيئة التي اكتسبوها فمنهم من أهلكهم الله بالطوفان ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من خسف الله به الأرض ومنهم من أرسلت عليهم الريح العقيم إلى غير ذلك من صور العذاب التي حلت بهم، والذين ظلموا من هؤلاء القرشيين، أهل الشرك والتكذيب منهم سيصيبهم أيضاً العقاب جزاء أعمالهم السيئة التي عملوها، وما هم بفائتين ولا فاريين ولا هاربين من عذاب الله، وبنحو هذا قال أهل

العلم بالتفسير.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) يقول: فأصاب الذين قالوا هذه المقالة من الأمم الخالية، وبال سيئات ما كسبوا من الأعمال، فعوجلوا بالخزي في دار الدنيا، وذلك كقارون الذي قال حين وعظ (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي) [الفصل: ٧٨]، فخسف الله به وبداره الأرض (فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ) [الفصل: ٨١] يقول الله عز وجل ثناؤه: (وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ) يقول لنبيه محمد ﷺ: والذين كفروا بالله يا محمد من قومك، وظلموا أنفسهم وقالوا هذه المقالة سيصيبهم أيضا وبال (سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) كما أصاب الذين من قبلهم بقليلهموها (وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ) يقول: وما يفوتون ربهم ولا يسبقونه هربا في الأرض من عذابه إذا نزل بهم، ولكنه يصيبهم (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) [الأحزاب: ٦٢]، ففعل ذلك بهم، فأحل بهم خزيه في عاجل الدنيا فقتلهم بالسيف يوم بدر.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

(فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ) - أي: من المخاطبين ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ أي: كما أصاب أولئك، (وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ) [٥١] كما قال تعالى مخبرا عن قارون أنه قال له قومه: (لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) [٧٦] وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) [٧٧] قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ

يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ
ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ [القصص: ٧٦-٧٨]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا
وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ﴾ ﴿٣٥﴾ [سبأ: ٣٥].



س: وضح معنى قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) ﴿٥٢﴾ .

ج: المعنى، والله أعلم، أو لم يعلم هؤلاء المكذبون الجاحدون لنعم الله عليهم القائلون لما رزقهم الله ﷻ من واسع فضله: إنما أوتيناه على علم عندنا، أو لم يعلم هؤلاء أن الله هو الذي يوسع في الأرزاق لمن يشاء، ويضيق على من يشاء، فكم من شخص أوتي علمًا وفهمًا وهو فقير، وكم من شخص لم يوت علمًا ولا فهمًا وقد وسعت عليه توسعة عظيمة، فلله يرزق من يشاء، ويضيق على من يشاء، إن في ذلك لدلالات على قدرة الله ووحدانيته ينتفع بها أهل الإيمان، وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

فقال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: أولم يعلم يا محمد هؤلاء الذين كشفنا عنهم ضرهم، فقالوا: إنما أوتيناه على علم منا، أن الشدة والرخاء والسعة والضيق والبلاء بيد الله، دون كل من سواه، يبسط الرزق لمن يشاء، فيوسعه عليه، ويقدر ذلك على من يشاء من عباده، فيضيقه، وأن ذلك من حجب الله على عباده، ليعتبروا به ويتذكروا، ويعلموا أن الرغبة إليه والرغبة دون الآلهة والأنداد. (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ) يقول: إن في بسط الله الرزق لمن

يشاء، وتقتيره على من أراد لآيات، يعني: دلالات وعلامات (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾) يعني: يصدقون بالحق، فيقرون به إذا تبينوه وعلموا حقيقته أن الذي يفعل ذلك هو الله دون كل ما سواه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) أي: يوسعه على قوم ويضيقه على آخرين، (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾) أي: لعبرا وحججا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾) خص المؤمن بالذكر لأنه هو الذي يتدبر الآيات وينتفع بها ويعلم أن سعة الرزق قد يكون مكرًا واستدراجًا وتقتيرره رفعة وإعظامًا.



قال الله تعالى:

(﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي حُبِّ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَلَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تِلْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَارِجِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ [الزمر: ٥٣-٦١]

س: وضع معنى ما يلي:

(أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ - لَا تَقْنَطُوا - وَأَنِيبُوا - وَأَسْلِمُوا لَهُ - بَغْتَةً - أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ - بِحَسْرَتِي - فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ - السَّخِرِينَ - كَرَّةً - مَثْوًى - بِمَقَارَتِهِمْ).

ج:

الكلمات	معناها
﴿أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾	أكثروا من الذنوب والمعاصي والكبائر
(لَا تَقْنَطُوا)	لا تيأسوا
(وَأَنِيبُوا)	ارجعوا إلى ربكم وأقبلوا إليه تائبين راجعين عن ذنوبكم
(وَأَسْلِمُوا لَهُ)	اخضعوا له - استسلموا له
(بَغْتَةً)	فجأة
(أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ)	لكي لا تقول نفس - لا تقول نفس
(بِحَسْرَتِي)	يا ندمي
(فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ)	ضعيت أمر الله - خالفت أمر الله
(السَّخِرِينَ)	المستهزئين الساخرين
(كَرَّةً)	رجعة إلى الدنيا
(مَثْوًى)	مقام ومأوى
(بِمَقَارَتِهِمْ)	بما سبق من السعادة التي كتبها الله لهم بفضائلهم - بأعمالهم



س: هل صح لهذه الآية الكريمة: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ

أَنفُسِهِمْ...﴾ سبب نزول؟

ج: نعم، صح لها سبب نزول، وهو ما أخرجه البخاري ومسلم ^(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، ثم أتوا محمداً صلى الله عليه وسلم، فقالوا: إن الذي تقول وتدعو لحسن، ولو تخبرنا أن لنا عملاً كفارة! فنزل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ ^(١٨) [الفرقان: ٦٨]، ونزل: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].

وأخرج الحاكم في المستدرك ^(٢) من حديث عمر رضي الله عنه قال: كنا نقول ما لمُفَتِّينِ توبة وما الله يقابل منه شيئاً فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة أنزل فيهم: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ^(٥٣) والآيات التي بعدها. قال عمر: فكتبتها بيدي في صحيفة وبعثت بها إلى هشام بن العاص. قال هشام بن العاص: فلما أتتني جعلت أقرأها بذي طوى أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها حتى قلت: اللهم فهمنيها، قال: فألقى الله تعالى في قلبي أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا، قال: فرجعت إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو بالمدينة. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.

(١) البخاري (٤٨١٠)، ومسلم (١٢٢).

(٢) المستدرك (٤٣٥/٢)، وسنده حسن.



mostafaaladwy.com

س: اذكر بعض الوارد في النهي عن اليأس من رحمة الله؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ...﴾ [الزمر: ٥٣].

وقوله تعالى: (اللَّهُ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾) [يوسف:

٨٧].

وقوله تعالى: (مَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾) [الحجر: ٥٦].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ولا يقنطن عبد من رحمة الله، وإن عظمت ذنوبه وكثرت؛ فإن باب التوبة والرحمة واسع، قال الله تعالى: (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ) [التوبة: ١٠٤]، وقال تعالى: (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾) [النساء: ١١٠]، وقال تعالى في حق المنافقين: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾) [النساء: ١٤٥-١٤٦]، وقال: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾) [المائدة: ٧٣]، ثم قال: (أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾) [المائدة: ٧٤]، وقال: (إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا) [البروج: ١٠].

قال الحسن البصري: انظر إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أوليائه وهو

يدعوهم إلى التوبة والمغفرة!

والآيات في هذا كثيرة جدًا.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ، حديث الذي قتل تسعًا وتسعين نفسًا، ثم ندم وسأل عابدًا من عبَاد بني إسرائيل: هل له من توبة؟ فقال: لا. فقتله وأكمل به مائة. ثم سأل عالما من علمائهم: هل له من توبة؟ فقال: ومن يحول بينك وبين التوبة؟ ثم أمره بالذهاب إلى قرية يعبد الله فيها، فقصدها فأنابه الموت في أثناء الطريق، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأمر الله أن يقيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيهما كان أقرب فهو منها. فوجدوه أقرب إلى الأرض التي هاجر إليها بشبر، فقبضته ملائكة الرحمة. وذكر أنه نأى ب صدره عند الموت، وأن الله أمر البلدة الخيرة أن تقترب، وأمر تلك البلدة أن تتباعد ^(١).

وأورد الحافظ ابن كثير جملة من الأحاديث أيضًا منها حديث رسول الله

ﷺ: «لولا أنكم تذنّبون لخلق الله قومًا يذنبون فيغفر لهم» ^(٢).



س: لمن وجه الخطاب في قوله تعالى: ﴿قُلْ يٰٓعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ

أَنفُسِهِمْ﴾ أي: من المعنيون بالعباد؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنهم أهل الشرك الذين أرادوا أن يسلموا ولكن تذكروا ونكروا أمورًا فعلوها في جاهليتهم من قتل وزنا وسرقة وشرب خمر وغير ذلك، فقالوا: كيف نسلم وقد توعدتم يا أهل الإسلام من فعل ذلك بالنار؟ ف قيل

(١) البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦).

(٢) مسلم (٢٧٤٨)، أحمد (٤١٤/٥) بنحوه.

لهم: لا تيأسوا من رحمة الله أيها القوم فإنكم إن تبتم تاب الله عليكم.

الثاني: وقيل إنها في أهل الكبائر من أهل الإسلام، قالوا: قيّدت بقوله

تعالى: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

وثم أقوال أخر.

قال الحطبي رحمه الله:

اختلف أهل التأويل في الذين عنوا بهذه الآية، فقال بعضهم: عني بها قوم من أهل الشرك، قالوا لما دعوا إلى الإيمان بالله: كيف تؤمن وقد أشركنا وزنيئا، وقتلنا النفس التي حرم الله، والله يعد فاعل ذلك النار، فما ينفعنا مع ما قد سلف منا الإيمان، فنزلت هذه الآية.

وقال آخرون: بل عني بذلك أهل الإسلام، وقالوا: تأويل الكلام: إن الله

يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء، قالوا: وهي كذلك في مصحف عبد الله، وقالوا: إنما نزلت هذه الآية في قوم صدّهم المشركون عن الهجرة وفتنّوهم، فأشفقوا أن لا يكون لهم توبة.

وقال آخرون: نزل ذلك في قوم كانوا يرون أهل الكبائر من أهل

النار، فأعلمهم الله بذلك أنه يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني تعالى ذكره بذلك

جميع من أسرف على نفسه من أهل الإيمان والشرك، لأن الله عم بقوله:

(يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ) جميع المسرفين، فلم يخص به مسرفا

دون مسرف.

فإن قال قائل: فيغفر الله الشرك؟ قيل: نعم إذا تاب منه المشرك. وإنما

عنى بقوله: (إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا) لمن يشاء، كما قد ذكرنا قبل، أن ابن مسعود كان يقرؤه: وأن الله قد استثنى منه الشرك إذا لم يتب منه صاحبه، فقال: إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فأخبر أنه لا يغفر الشرك إلا بعد توبة بقوله: (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) **إمرم:** ٦٠. فأما ما عناه فإن صاحبه في مشيئة ربه، إن شاء تفضل عليه، فعفا له عنه، وإن شاء عدل عليه فجازاه به.

وأما قوله: (لَا تَنْظُرُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ) فإنه يعني: لا تيأسوا من رحمة الله.

وقوله: (إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا) يقول: إن الله يستر على الذنوب كلها بعفوه عن أهلها وترك عقوبتهم عليها إذا تابوا منها (إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٢﴾) بهم، أن يعاقبهم عليها بعد توبتهم منها.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى

أَنْفُسِهِمْ لَا تَنْظُرُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، قل يا رسول الله لعبادي الذين أكثروا من الذنوب والمعاصي والكبائر وأرادوا أن يسلموا وترددوا وامتنعوا عن الإسلام بسبب ما ارتكبوه من الجنايات، قل لهؤلاء لا تيأسوا من رحمة الله فإنكم إذا أسلمتم غفر الله لكم ما كان منكم في جاهليتكم فالإسلام يهدم ما كان قبله، واعلموا أن الله **وَعَلَى** هو الغفور كثير المغفرة، ورحيم بعباده المؤمنين التوابين.

وأيضاً: يا أهل الإيمان يا من استزلكم الشيطان وأوقعكم في الذنوب

والمعاصي والكبائر توبوا إلى الله وارجعوا إليه ولا تيأسوا من رحمته فإنه يغفر الذنوب جميعاً إن شاء ، فهو الغفور الرحيم.
وقد وعد سبحانه أنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ)

ج: المعنى، والله أعلم، وارجعوا إلى ربكم تائبين إليه من ذنوبكم مقلعين عنها واستسلموا لما يأمركم به ربكم واخضعوا له طواعية من قبل أن يحلّ بكم العذاب فلن تجدوا حينئذٍ ولأيتولاكم ولا ناصراً ينصركم، ولا من يدفع عنكم العذاب.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (وَأَسْلُمُوا لَهُ) يقول: واخضعوا له بالطاعة والإقرار بالدين الحنيفي ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾ من عنده على كفركم به ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ يقول: ثم لا ينصركم ناصر، فينقذكم من عذابه النازل بكم.

وقال ابن كثير رحمه الله:

ثم استحث وتعالى عباده إلى المسارعة إلى التوبة، فقال: (وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ، أي: ارجعوا إلى الله واستسلموا له،) ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ أي: بادروا بالتوبة والعمل الصالح قبل حلول

النقمة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: (وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ) أي اجعوا إليه بالطاعة لما بين أن من تاب من الشرك يغفر له أمر بالتوبة والرجوع إليه والإنابة الرجوع إلى الله بالإخلاص ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ أي اخضعوا له وأطيعوا (مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ) ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ لَمْ لَا تُصْرُوكَ ﴿٥٤﴾ أي لا تمنعون من عذابه.

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن أحسن ما أنزل إلينا من ربنا هو القرآن فهو خير كتاب نزل.

وقال آخرون: إذا امتثلنا الأمر واجتنبنا النهي فقد اتبعنا أحسن ما أنزل إلينا من ربنا ألا وهو امتثال الأمر.

وقال آخرون في بيان ذلك: إن الله أمر بالعدل والإحسان، والعدل منه القصاص، والإحسان العفو، ففي الآية حثٌ على اتباع الأحسن وهو العفو. وهذه بعض أقوال العلماء في هذا.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: (وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بَعَثَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ (أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ) هو القرآن وكله حسن والمعنى ما قال الحسن: التزموا طاعته واجتنبوا معصيته وقال السدي: الأحسن ما أمر الله به في كتابه وقال ابن زيد: يعني

المحكمات وكلوا علم المتشابه إلى عالمه وقال : أنزل الله كتابا التوراة والإنجيل والزبور ثم أنزل القرآن وأمر باتباعه فهو الأحسن وهو المعجز وقيل : هذا أحسن لأنه ناسخ قاض على جميع الكتب وجميع الكتب منسوخة وقيل : يعني العفو لأن الله تعالى خير نبيه ﷺ بين العفو والقصاص وقيل : ما علم الله النبي ﷺ وليس بقرآن فهو حسن وما أوحى إليه من القرآن فهو الأحسن وقيل : أحسن ما أنزل إليكم من أخبار الأمم الماضية.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

(وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) وهو القرآن العظيم.

وقال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) يقول تعالى ذكره: واتبعوا أيها الناس ما أمركم به ربكم في تنزيله، واجتنبوا ما نهاكم فيه عنه، وذلك هو أحسن ما أنزل إلينا من ربنا.

فإن قال قائل: ومن القرآن شيء وهو أحسن من شيء؟ قيل له: القرآن كله حسن، وليس معنى ذلك ما توهمت، وإنما معناه: واتبعوا مما أنزل إليكم ربكم من الأمر والنهي والخبر، والمثل، والقصص، والجدل، والوعد، والوعيد أحسنه أن تأتمروا لأمره، وتنتهوا عما نهى عنه، لأن النهي مما أنزل في الكتاب، فلو عملوا بما نهوا عنه كانوا عاملين بأقبحه، فذلك وجهه.



س: وضح معنى قوله: (مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بَعْتَهُ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) (٥٥).

ج: المعنى، والله أعلم، من قبل أن يحل بكم العذاب فجأة من حيث لا تعلمون ولا تشعرون بمجيئه بل تفاجئون به.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بَعْتَهُ) يقول: من قبل أن يأتاكم عذاب الله فجأة (وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) (٥٥) يقول: وأنتم لا تعلمون به حتى يغشاكم فجأة.



س: وضح معنى قوله تعالى: (أَنْ تَكُونَ نَفْسٌ تَحْسَرُ عَلَى مَا فَرَّطَتْ فِي جَهَنَّمَ) (٥٧) وَإِنْ كُنْتَ لِمِنَ السَّخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) بَلَى قَدْ جَاءَ نَكَأً يَكُفِّرُ بَعْدَ ذَلِكَ أَعْيُنُكَ فَكُذِّبَتْ بِهَا وَأَسْتَكْبَرَتْ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٥٩)).

ج: المعنى، بادروا بالتوبة والإنابة إلى الله والإسلام له من قبل أن يأتي يومٌ تقول فيه نفس يا ندمى على ما ضيعت من أمر الله (٥٦)، ويا ندمى على عصيانه ويا ندمى فقد كنت من الساخرين المستهزئين بأهل الإيمان، وتقول نفس لو أن الله وفقني للطاعة لكنت ممن اتقوا الشرك، تقول ذلك تندما وتحسراً وتتمنى نفس أن ترجع إلى الدنيا فتقول لو أن لي كرةً أي: رجعةً إلى الدنيا حتى أعمل بعمل أهل الإحسان وأستقيم.

فقل لهذا الذي تمنى الرجوع إلى الدنيا قد جاءتك في دنياك الحجج

والبينات فأنكرتها وجحدتها وتعاليت عليها ورفضتها وكنت لها من الجاحدين، وبنحو هذا قال أهل التأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره: وأنبيوا إلى ربكم، وأسلموا له (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ) بمعنى لئلا تقول نفس (يَحْسَرَنَّ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ) ، وهو نظير قوله: (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ يَنْمِدَّ يَكُمْ) [النحل: ١٥] بمعنى: أن لا تميد بكم، فأن، إذ كان ذلك معناه، في موضع نصب.

وقوله: (يَحْسَرَنَّ) يعني أن تقول: يا ندما.

والألف في قوله: (يَحْسَرَنَّ) هي كناية المتكلم، وإنما أريد: يا حسرتي ، ولكن العرب تحول الياء في كناية اسم المتكلم في الاستغاثة ألفا، فتقول: يا ويلتا، ويا ندما، فيخرجون ذلك على لفظ الدعاء، وربما قيل: يا حسرة على العباد، كما قيل: يا لهف، ويا لهفا عليه، وذكر الفراء أن أبا ثروان أنشده:

تزورونها ولا أزور نساءكم الهف لأولاد الأمم الحواطب

خفضا كما يخفض في النداء إذا أضافه المتكلم إلى نفسه، وربما أدخلوا الهاء بعد هذه الألف، فيخفضونها أحياء، ويرفعونها أحياء، وذكر الفراء أن بعض بني أسد أنشد:

يا رب يا رباه إياك أسل عفراء يا رباه من قبل الأجل

خفضا، قال: والخفض أكثر في كلامهم، إلا في قولهم: يا هناء، ويا هنتاه، فإن الرفع فيها أكثر من الخفض، لأنه كثير في الكلام، حتى صار

كأنه حرف واحد.

وقوله: (عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ) يقول على ما ضيعت من العمل بما أمرني الله به، وقصرت في الدنيا في طاعة الله.

وقوله: (وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾) يقول: وإن كنت لمن المستهزئين بأمر الله وكتابه ورسوله والمؤمنين به.

وأورد الطبري أثر قتادة بسند حسن عنه، وفيه (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾) قال: فلم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى جعل يسخر بأهل طاعة الله، قال: هذا قول صنف منهم.

ثم قال الطبري رحمه الله:

القول في تأويل قوله تعالى: (أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ

الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾).

يقول تعالى ذكره: وأنيبوا إلى ربكم أيها الناس، وأسلموا له، أن لا تقول نفس يوم القيامة: يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله، في أمر الله، وأن لا يقول نفس أخرى: لو أن الله هداني للحق، فوفقني للرشاد لكنت ممن اتقاه بطاعته واتباع رضاه، أو أن لا تقول أخرى حين ترى عذاب الله فتعابنه (لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً) تقول لو أن لي رجعة إلى الدنيا (فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾) الذين أحسنوا في طاعة ربهم، والعمل بما أمرتهم به الرسل.

ثم أورد الطبري أثر قتادة بسند حسن وفيه: (بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي

التسهيل لتأويل التنزيل

جَنَّبَ اللَّهُ) ... الآية، قال: هذا قول صنف منهم (أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي ﴿٥٧﴾ ... الآية، قال: هذا قول صنف آخر: (أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ) الآية، يعني بقوله: (لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً ﴿٥٨﴾ رجعة إلى الدنيا، قال: هذا صنف آخر.

ثم قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره مكدباً للقاتل: (لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾)، وللقائل: (لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾): ما القول كما تقولون: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَاكِ﴾ أيها المتمني على الله الرد إلى الدنيا لتكون فيها من المحسنين ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ يقول: قد جاءتك حجبي من بين رسول أرسلته إليك، وكتاب أنزلته يتلى عليك ما فيه من الوعد والوعيد والتذكير (فَكَذَّبْتَ) بآياتي ﴿وَأَسْتَكْبَرْتَ﴾ عن قبولها واتباعها (وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾) يقول: وكنت ممن يعمل عمل الكافرين، ويستن بسنتهم، ويتبع منهاجهم.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

(وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) وهو القرآن العظيم، (مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بُعْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾) أي: من حيث لا تعلمون ولا تشعرون.

ثم قال: (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنَّبِ اللَّهِ ﴿٥٦﴾ أي: يوم القيامة يتحسر المجرم المفرط في التوبة والإنابة، ويود لو كان من المحسنين المخلصين المطيعين لله عز وجل).

وقوله: (وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾) أي: إنما كان عملي في الدنيا عمل

ساخر مستهزئ غير موقن مصدق .

(أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّكَ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾) أي: تود أن لو أعيدت إلى الدار فتحسن العمل.

وقال:

ولما تمنى أهل الجرائم العودَ إلى الدنيا، وتحسروا على تصديق آيات الله واتباع رسله، قال: (بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تِلْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾) أي: قد جاءتك أيها العبد النادم على ما كان منه آياتي في الدار الدنيا، وقامت حجبي عليك، فكذبت بها واستكبرت عن اتباعها، وكنت من الكافرين بها، الجاحدين لها.



س: كثيراً ما يتمنى أهل الكفر لو عادوا إلى الدنيا ليعملوا من الصالحات. دَلِّلْ على ذلك.

ج: من ذلك قول قائلهم: (لَوْ أَنَّكَ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾). وقوله تعالى: (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْسَ نَارُهَا وَلَا تَرْجَعُ وَإِنَّا لَكَاذِبُونَ ﴿٢٧﴾) [الأنعام: ٢٧].

وقوله: (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾) [المؤمنون: ١٠٧]، إلى غير ذلك من الآيات.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ) (٦٠).

ج: المعنى، والله أعلم، ويوم القيامة ترى يا رسول الله أهل الكفر والكذب على الله من الزاعمين أن له شريكاً، وكذا الذين زعموا أن عزيراً ابن الله، والمسيح ابن الله إلى غير ذلك من الكاذبين على الله الذين افتروا عليه الكذب، نراهم، وقد اسودت وجوههم كعلامة عليهم يوفون بها، فأخبر هؤلاء المتكبرين أن جهنم مقامهم ومسكنهم الذي سيأوون إليه.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: (وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى) يا محمد هؤلاء (الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ) من قومك فزعموا أن له ولداً، وأن له شريكاً، وعبدوا آلهة من دونه (وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ).

وقوله: (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ) يقول: أليس في جهنم مأوى ومسكن لمن تكبر على الله، فامتنع من توحيد الله، والانتفاء إلى طاعته فيما أمره ونهاه عنه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالى عن يوم القيامة أنه تسود فيه وجوه، وتبيض فيه وجوه، تسود وجوه أهل الفرقة والاختلاف، وتبيض وجوه أهل السنة والجماعة، قال تعالى هاهنا: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ ﴾ أي: في دعواهم له شريكاً ولداً (وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ) أي: بكذبهم وافتراءهم.

وقوله: ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ أي: أليست جهنم كافية لها سجنًا وموئلاً لهم فيها الخزي والهوان، بسبب تكبرهم وتجبرهم وإبائهم

عن الانقياد للحق.

**س: وضح معنى قوله تعالى: (وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ
السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (١١).**

ج: المعنى، والله أعلم، وينجي الله يوم القيامة أهل التوحيد الذين اتقوا
الشرك واجتنبوا، ينجيهم الله بما قدره لهم من السعادة وبما سبق في علمه
بأنهم السعداء ولا يصيبهم أذى ولا حزن بل هم آمنون مطمئنون.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وينجي الله من جهنم وعذابها، الذين اتقوه بأداء
فرائضه، واجتناب معاصيه في الدنيا بمفازتهم: يعني بفوزهم، وهي
مفعلة منه.

وقوله: (لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) * يقول تعالى ذكره: لا
يمس المتقين من أذى جهنم شيء، وهو السوء الذي أخبر جل ثناؤه أنه لن
يمسهم، ولا هم يحزنون، يقول: ولا هم يحزنون على ما فاتهم من آراب
الدنيا، إذ صاروا إلى كرامة الله ونعيم الجنان.

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: (وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ) أي: مما سبق لهم من السعادة
والفوز عند الله، (لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ) أي: يوم القيامة، (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) *
أي: ولا يحزنهم الفزع الأكبر، بل هم آمنون من كل فزع، مزحزون عن
كل شر، مؤملون كل خير .

قال السعدي رحمه الله في «تيسير الكريم الرحمن»:

(وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ) أي: بنجاتهم، وذلك لأن معهم آلة النجاة، وهي تقوى الله تعالى، التي هي العدة عند كل هول وشدة. (لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ) أي: العذاب الذي يسوؤهم (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) ﴿٦١﴾ فنفى عنهم مباشرة العذاب وخوفه، وهذا غاية الأمان.

فلهم الأمن التام، يصحبهم حتى يوصلهم إلى دار السلام، فحينئذ يأمنون من كل سوء ومكروه، وتجري عليهم نضرة النعيم، ويقولون (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) ﴿٣٤﴾ [فاطر: ٣٤].

mostafaalawy.com

قال الله تعالى:

(اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ
أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ
وَكَُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا
قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يُنظَرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ
الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ
بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾) [الزمر: ٦٢-٦٩]

س: اذكر معنى ما يلي:

(وَكَيْلٌ - مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ - لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ - فَصَّعِقَ - وَوُضِعَ الْكِتَابُ).
ج:

الكلمة	معناها
(وَكَيْلٌ)	قائم عليه بالحفظ والرعاية وقائم بأمور كل شيء
(مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)	مفاتيح خزائن السموات والأرض
(لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ)	ليذهب ثواب عملك
(فَصَّعِقَ)	فماك
(وَوُضِعَ الْكِتَابُ)	وجيء بكتاب الأعمال (الذي كتبت فيه أعمال العباد) كل له كتاب



س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ).

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾).

[الحجر: ٢١]

وقوله تعالى: (وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾).

[المنافقون: ٧]



س: وضع معنى قوله تعالى: (اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَسِرُونَ).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الأشياء كلها خلقها الله ﷻ وهو سبحانه وتعالى القائم بأمورها جميعاً يصرف الأمور كيف يشاء وكيف يريد، وخزائن كل شيء في السموات والأرض بيده ﷻ، يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، وأهل الكفر الذين يجحدون هذا، ويجحدون آيات الله المنزلة هم الذين خسروا أنفسهم وأنزلوها أسوأ المنازل بجحدهم وحدانية الله ﷻ وقدرته، واتجاههم إلى غير الله ﷻ يسألونه ويرجونه.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾) يقول تعالى ذكره: الله الذي له الألوهة من كل خلقه الذي لا تصلح العبادة إلا له، خالق كل شيء، لا ما لا يقدر على خلق شيء، وهو على كل شيء وكيل، يقول: وهو على كل شيء قيم بالحفظ والكلاءة.

يقول تعالى ذكره: له مفاتيح خزائن السموات والأرض، يفتح منها على من يشاء، ويمسكها عن أحب من خلقه، واحداها: مقلد. وأما الأقاليد فواحد الأقاليد.

وقوله: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَسِرُونَ ﴿٦٣﴾) يقول تعالى ذكره: والذين كفروا بحجج الله فكذبوا بها وأنكروها، أولئك هم المغبونون حظوظهم من خير السموات التي بيده مفاتيحها، لأنهم حرّموا

ذلك كله في الآخرة بخلودهم في النار، وفي الدنيا بخذلانهم عن الإيمان بالله ﷻ.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يخبر تعالى أنه خالق الأشياء كلها، وربها ومليكتها والمتصرف فيها، وكل تحت تدبيره وقهره وكلاءته .

وقوله: (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ، قال مجاهد: المقاليد هي: المفاتيح بالفارسية. وكذا قال قتادة، وابن زيد، وسفيان ابن عيينة.

وقال السدي: (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي: خزائن السموات والأرض.

والمعنى على كلا القولين: أن أمانة الأمور بيده، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير؛ ولهذا قال: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَعَيِّنَتِ اللَّهُ) أي: حججه وبراهينه ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (١٣)



س: وضع معنى قوله تعالى: (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَ عِبَادَ الْجَاهِلُونَ) (٦٤)

وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْطَبَنَّ عَلَيْكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥)
بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، قل يا رسول الله لأهل الشرك هؤلاء الذين عبدوا مع الله إلهاً آخر وجهلوا قدر بهم سبحانه، وكانوا أجهل الجهلاء بشركهم بالله خالقهم قل لهم أتعونني إلى عبادة إله غير الله يا أهل الجهل!!

إنكم تقرون الله بأنه خالقكم ورازقكم ومحبيكم ومميتكم، فكيف تدعونني إلى عبادة غيره؟

ثم تحذير للأمة في صورة نبيها ﷺ وتحذير للجميع، ولقد أوحى إليك يا رسول الله لئن أشركت بالله ما لم ينزل به سلطاناً ليذهبن ثواب كل عملك الذي عملته من صالح الأعمال ولتكونن من الذين خسروا أنفسهم وأنزلوها أسوأ المنازل، الجحيم والعياذ بالله. ولقد أوحى إلى الذين من قبلك نحو هذا أيضاً.

قال تعالى: (وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾) [الأنعام: ٨٨]، ثم يحث ربنا سبحانه وتعالى نبيينا محمداً ﷺ على عبادة الله وحده لا شريك له والإخلاص له ﷻ فيقول: بل الله فاعبد وكن من الشاكرين. أي: اعبد الله وحده لا شريك له وكل حامداً لله شاكراً له نعمائه.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه: قل يا محمد لمشركي قومك، الداعيك إلى عبادة الأوثان: (أَفَغَيْرَ اللَّهِ) أيها الجاهلون بالله (تَأْمُرُونَ) أن (أَعْبُدُ) ولا تصلح العبادة لشيء سواه. واختلف أهل العربية في العامل، في قوله: (أَفَغَيْرَ) النصب، فقال بعض نحويي البصرة: قل أفغير الله تأمروني، يقول: أفغير الله أعبد تأمروني، كأنه أراد الإلغاء، والله أعلم، كما نقول: ذهب فلان يدري، حملة على معنى: فما يدري. وقال بعض نحويي الكوفة: «غير» منتصبة بأعبد، وأن تحذف وتدخل، لأنها علم للاستقبال، كما نقول: أريد أن أضرب، وأريد أضرب، وعسى أن أضرب، وعسى

أضرب، فكانت في طلبها الاستقبال، كقولك: زيدا سوف أضرب، فلذلك حذفت وعمل ما بعدها فيما قبلها، ولا حاجة بنا إلى اللغو.

وقوله: (وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ) يقول تعالى ذكره: ولقد أوحى إليك يا محمد ربك، وإلى الذين من قبلك من الرسل (لِيَنشُرَكَ لِيَجْزِيَ عَمَلُكَ) يقول: لأن أشركت بالله شيئا يا محمد، ليبطلن عملك، ولا تنال به ثوابا، ولا تندرك جزاء إلا جزاء من أشرك بالله، وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم.. ومعنى الكلام: ولقد أوحى إليك لأن أشركت ليحبطن عملك، ولتكونن من الخاسرين، وإلى الذين من قبلك، بمعنى: وإلى الذين من قبلك من الرسل من ذلك، مثل الذي أوحى إليك منه، فاحذر أن تشرك بالله شيئا فتهلك.

ومعنى قوله: (وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) ولتكونن من الهالكين بالإشراك بالله إن أشركت به شيئا.

وقال الطبري أيضا:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد: لا تعبد ما أمرك به هؤلاء المشركون من قومك يا محمد بعبادته، بل الله فاعبد دون كل ما سواه من الآلهة والأوثان والأنداد ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿٦٦﴾ الله على نعمته عليك بما أنعم من الهداية لعبادته، والبراءة من عبادة الأصنام والأوثان. ونصب اسم الله بقوله: (فَاعْبُدْ) وهو بعده، لأنه رد الكلام، ولو نصب بمضمر قبله، إذا كانت العرب تقول: زيد فليقم. وزيدا فليقم. رفعا ونصبا، الرفع على فلينظر زيد، فليقم، والنصب على انظروا زيدا فليقم. كان صحيحا

جائزاً.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾) أي: أخلص العبادة لله وحده، لا شريك له، أنت ومن معك، أنت ومن اتبعك وصدقك.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(وَكَُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾) لله على توفيق الله تعالى، فكما أنه تعالى يشكر على النعم الدنيوية، كصحة الجسم وعافيته، وحصول الرزق وغير ذلك، كذلك يشكر ويثني عليه بالنعم الدينية، كالتوفيق للإخلاص، والتقوى، بل نعم الدين، هي النعم على الحقيقة، وفي تدبر أنها من الله تعالى والشكر لله عليها، سلامة من آفة العجب التي تعرض لكثير من العاملين، بسبب جهلهم، وإلا فلو عرف العبد حقيقة الحال، لم يعجب بنعمة تستحق عليه زيادة الشكر.



س: هل صح لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَغْنِيَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْدُوهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾ ﴿٦٤﴾

سبب نزل؟

ج: لم يثبت لها سبب نزول بسندٍ صحيح.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ).

ج: قال بعض أهل العلم: إن المعنى، وما عظموا الله حق تعظيمه.

وقال آخرون: جهلوا أن الله على كل شيء قدير.

ووجه آخر واردٌ أيضاً لما قالوا ما أنزل الله على بشرٍ من شيء ما علموا عن حكمة الله كبير علم.

وأيضاً ما عظموا الله حق تعظيمه لما عبدوا معه إلهاً آخر.

هذا، وقد أخرج البخاري ومسلم ^(١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء خبر إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أو يا أبا القاسم إن الله تعالى يمسك السموات يوم القيامة على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك. أنا الملك. فضحك رسول الله ﷺ تعجباً مما قال الخبر. تصديقاً له. ثم قرأ: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (١٧).

قال الطبري رحمته الله:

وقوله: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) يقول تعالى ذكره: وما عظم الله حق عظمته، هؤلاء المشركون بالله، الذين يدعونك إلى عبادة الأوثان.

وقال ابن كثير رحمته الله:

يقول تبارك وتعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) أي: وما قدر المشركون الله حق قدره، حين عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر على كل شيء، المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قهره وقدرته.

قال الطبري رحمته الله:

وقوله: (وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ) يقول تعالى ذكره:

(١) البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).

والأرض كلها قبضته في يوم القيام (وَالسَّمَوَاتُ) كلها (مَطْوِيَّتٌ يَمِينَهُ) فالخبر عن الأرض متناه عند قوله: يوم القيامة، والأرض مرفوعة بقوله: (قَبِضَتْهُ) ، ثم استأنف الخبر عن السموات، فقال: (وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ يَمِينَهُ) وهي مرفوعة بمطويات.

قال:

وكان ابن عباس يقول: إنما يستعين بشماله المشغولة يمينه، وإنما الأرض والسموات كلها بيمينه، وليس في شماله شيء.

قلت (مصطفى): وفي سنده عند الطبري ضعف.

وأورد الطبري جملة من الآثار بذلك.

وقال: وقال آخرون: بل السموات في يمينه والأرضون في شماله.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى: وما قدر هؤلاء المشركون ربهم حق قدره، ولا عظموه حق تعظيمه، بل فعلوا ما يناقض ذلك، من إشراكهم به من هو ناقص في أوصافه وأفعاله، فأوصافه ناقصة من كل وجه، وأفعاله ليس عنده نفع ولا ضرر، ولا عطاء ولا منع، ولا يملك من الأمر شيئاً.

فسووا هذا المخلوق الناقص بالخالق الرب العظيم، الذي من عظمته الباهرة، وقدرته القاهرة، أن جميع الأرض يوم القيامة قبضة للرحمن، وأن السموات - على سعتها وعظمتها - مطويات بيمينه، فلا عظمه حق عظمته من سوى به غيره، ولا أظلم منه.

(سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٧﴾) أي: تنزهه وتعاضم عن شركهم به.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ يَمِينَهُ).

ج: لأهل العلم هنا أقوال:

أحدها: أن السموات والأرض كلتاها بيد الله ﷻ اليمنى ويده الأخرى ليس فيها شيء.

والثاني: أن السموات بيده اليمنى والأرض بيده الشمال.

الثالث: إمضاء الآية على ظاهرها، فالأرض جميعها (قيل: المراد الأرضون السبع) ﴿قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾. وإلى هنا وقف ثم قال: (وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ يَمِينَهُ) أي: أن السموات يمينه والأرض قبضته ويسكت على هذا إلا أنه قد جاء من سنة النبي ﷺ ما قد يوضح المراد - أسوقها مع التنبيه على أن ذكر الشمال قد ورد في صحيح مسلم^(١) من طريق عمر بن حمزة عن سالم بن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يطوي الله ﷻ السموات يوم القيامة. ثم يأخذهم بيده اليمنى. قم يقول: أنا الملك. أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرض بشماله. ثم يقول: أنا الملك. أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟».

وفي سنده عمر بن حمزة متكلم فيه.

وقد عقبه مسلم بطريق أبي حازم عن عبيد الله بن مقسم، أنه نظر إلى عبد الله بن عمر كيف يحكي رسول الله ﷺ قال: «يأخذ الله ﷻ سماواته

(١) مسلم (٢٧٨٨).

وأرضه بيديه. فيقول: أنا الله. (ويقبض أصابعه ويبسطها) أنا الملك» حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى إني لأقول: أساقط هو برسول الله ﷺ؟

وفي رواية: عن عبد الله بن عمر قال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر، وهو يقول: «ياخذ الجبار، ﷻ، سماواته وأرضه بيديه» ثم ذكر. **وعند البخاري (١)** من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقبض الله الأرض ويطوي السموات بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟».

وأخرج البخاري (٢) أيضاً عن حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السموات بيمينه ثم يقول: أنا الملك».

وعند مسلم (٣) أيضاً عن عبد الله بن مسعود قال: جاء خبرٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أو يا أبا القاسم إن الله تعالى يمسك السموات يوم القيامة على إصبع والأرضين على إصبع والجبال والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع ثم يهزهن فيقول: أنا الملك أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ تعجباً مما قال الخبر تصديقاً له ثم قرأ: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) [الزمر: ٦٧].

(١) البخاري (٤٨١٢)، ومسلم (٢٧٨٧).

(٢) البخاري (٧٤١٢).

(٣) البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).



س: هل صح لقوله تعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) سبب نزول؟

ج: أخرج أحمد ^(١) بسندٍ صحيح عن عبد الله (وهو ابن مسعود) قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من أهل الكتاب فقال: يا أبا القاسم أبلغظ أن الله ﷻ يحمل الخلائق على إصبع والسموات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع، والثرى على إصبع، فضحك النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتى بدت نواجذه فأنزل الله ﷻ: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) الآية.

قلت: كذا روى أحمد رحمه الله وغيره لكن ظني أن مرد هذا إلى الحديث السابق، وفيه.. ثم قرأ، وليس فيه فأنزل، فأرى قوله: ثم قرأ، أصح من قول: ثم أنزل، والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: (سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (١٧).

ج: المعنى، والله أعلم، تنزه ربنا وتعالى عما يصفه به الوصفون المشركون من الأشياء التي يصفونه بها ولا يليق به سبحانه وتعالى **قال الطبري رحمه الله:**

وقوله: (سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (١٧) يقول تعالى ذكره تنزيهاً وتبرئة لله، وعلواً وارتفاعاً عما يشرك به هؤلاء المشركون من قومك يا محمد، القائلون لك: اعبد الأوثان من دون الله، واسجد لآلهتنا.



(١) أحمد في المسند (٣٧٨/١)، وغيره.

س: من الذين استثناهم الله بقوله: (فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ)؟

ج: قيل: إنهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وقيل: إنهم

الشهداء.

وقد وردت في ذلك بعض الأحاديث الضعيفة لا أرى شيئاً منها ثابتاً.

وقد أخرج البخاري ومسلم^(١) في صحيحهما من حديث أبي هريرة

قال: بينما يهود يعرض سلعة له أعطي بها شيئاً، كرهه أو لم يرضه -

شك عبد العزيز - قال: لا، والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر. قال:

فسمعه رجل من الأنصار فطم وجهه، قال: تقول: والذي اصطفى موسى

عليه السلام على البشر ورسول الله ﷺ بين أظهرنا؟ قال: فذهب اليهودي إلى

رسول الله ﷺ، فقال: يا أبا القاسم إن لي ذمّة وعهداً، وقال: فلان لطم

وجهي، فقال رسول الله ﷺ: «لم لطمت وجهه؟»، قال: قال يا رسول الله:

والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر وأنت بين أظهرنا. قال: فغضبت

رسول الله ﷺ حتى عُرف الغضب في وجهه، ثم قال: «لا تُفضّلوا بين

أنبياء الله، فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض

إلا من شاء الله - قال - ثم ينفخ فيه أخرى، فأكون أول من بعث - أو في

أول من بعث - فإذا موسى عليه السلام أخذ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقته

يوم الطور أو بعث قبلي ولا أقول: إن أحداً أفضل من يونس بن متى

عليه السلام».



س: وضح معنى قوله تعالى: (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) (٦٨).

(١) البخاري (٣٤١٤)، ومسلم (٢٣٧٣).

ج: قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِهَا:

وقوله: (فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾) يقول: فإذا من صعق عند النفخة التي قبلها وغيرهم من جميع خلق الله الذين كانوا أمواتا قبل ذلك قيام من قبورهم وأماكنهم من الأرض أحياء كهيئتهم قبل مماتهم ينظرون أمر الله فيهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى محبراً عن هول يوم القيامة، وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة، فقوله: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) ، هذه النفخة هي الثانية، وهي نفخة الصعق، وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض، إلا من شاء الله كما هو مصرح به مفسراً في حديث الصور المشهور. ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت، وينفرد الحي القيوم الذي كان أولاً وهو الباقي آخرًا بالديمومة والبقاء، ويقول: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [الحاف: ١٦] ثلاث مرات. ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول: (لِلَّهِ الْوَحْدُ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾) أي: الذي هو واحد وقد قهر كل شيء، وحكم بالفناء على كل شيء. ثم يحيي أول من يحيي إسرافيل، ويأمره أن ينفخ في الصور أخرى، وهي النفخة الثالثة نفخة البعث، قال تعالى: (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾) أي: أحياء بعد ما كانوا عظاماً ورفاتاً، صاروا أحياء ينظرون إلى أهوال يوم القيامة، كما قال تعالى: (فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾) [النازعات: ١٣-١٤]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْجُدُونَ لِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾ [الإسراء: ٥٢]،

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥].

وأورد حديث عزاه لأحمد ومسلم ^(١) من طريق يعقوب بن عاصم بن

عروة بن مسعود قال: سمعت رجلا قال لعبد الله بن عمرو: إنك تقول: الساعة تقوم إلى كذا وكذا؟ قال: لقد هممت ألا أحدثكم شيئا، إنما قلت: سترون بعد قليل أمرا عظيما. ثم قال عبد الله بن عمرو: قال رسول الله ﷺ: «يخرج الدجال في أمتي، فيمكث فيهم أربعين-لا أدري أربعين يوما أو أربعين عاما أو أربعين شهرا أو أربعين ليلة- فيبعث الله عيسى ابن مريم، كأنه عروة بن مسعود الثقفي، فيظهر فيهلكه الله. ثم يلبث الناس بعده سنين سبعا ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام، فلا يبقى أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدهم كان في كبد جبل لدخلت عليه». قال: سمعتها من رسول الله ﷺ: «ويبقى شرار الناس في خفة الطير، وأحلام السباع، لا يعرفون معروفا، ولا ينكرون منكرا». قال: «فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيأمرهم بالأوثان فيعبدونها، وهم في ذلك دائرة أرزاقهم، حسن عيشهم. ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى له، وأول من يسمعه رجل يلوط حوضه، فيصعق، ثم لا يبقى أحد إلا صعق. ثم يرسل الله -أو: ينزل الله مطرا كأنه الطل- أو الظل شك نعمان -فتنبت منه أجساد الناس. ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال: يا أيها

(١) مسلم (٢٩٤٠)، وأحمد (١٦٦/٢)، واللفظ له.

الناس، هلموا إلى ربكم: ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]، قال: «ثم يقال: أخرجوا بعث النار». قال: «فيقال: كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فيومئذ تبعث الولدان شبيبا، ويومئذ يكشف عن ساق».

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ بِقِيَامٍ يَنْظُرُونَ﴾ [٢٦] أي فإذا الأموا من أهل الأرض والسماء أحياء بعثوا من قبورهم وأعيدت إليهم أبدانهم وأرواحهم فقاموا ينظرون ماذا يؤمرون وقيل: قيام على أرجلهم ينظرون إلى البعث الذي وعدوا به وقيل: هذا النظر بمعنى الانتظار أي ينتظرون ما يفعل لهم وأجاز الكسائي قياما بالنصب كما تقول: خرجت فإذا زيد جالسا.



س: قدر كم بين النفختين؟

ج: أخرج البخاري ومسلم (١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بين النفختين أربعون»، قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوما؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون شهرا؟ قال: أبيت. «ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عَجَبُ ذَنْبِهِ فِيهِ يَرْكَبُ الْخُلُقُ».



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ

وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [٢٦] وَوُفِّيتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [٧٠].

(١) البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥).

ج: المعنى، والله أعلم، وأضاءت الأرض بنور ربها وجيء بكتب الأعمال التي كتبت فيها أعمال العباد وجيء بالنبیین والشهداء ليشهدوا على الأمم، وقضى الله ﷻ بين العباد بالحق فلا يبخس عاملٌ من حقه شيئاً، بل وفيت كل نفس ثواب ما عملته وربى سبحانه وتعالى أعلم بما يفعلون.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: (وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا) أي: أضاءت يوم القيامة إذا تجلى الحق، تبارك وتعالى، للخلائق لفصل القضاء، (وَوُضِعَ الْكِتَابُ) قال قتادة: كتاب الأعمال، (وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ) قال ابن عباس: يشهدون على الأمم بأنهم بلغوهم رسالات الله إليهم، (وَالشُّهَدَاءُ) أي: الشهداء من الملائكة الحفظة على أعمال العباد من خير وشر، (وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ) أي: بالعدل (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٦﴾) قال الله: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٦٧﴾) **الأنبياء: ٤٧**، وقال تعالى: (وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٨﴾) **النساء: ٤٠**، ولهذا قال: (وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ) أي: من خير أو شر (وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾).

وقال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: فأضاءت الأرض بنور ربها، يقال: أشرقت الشمس. إذا صفت وأضاءت، وأشرقت: إذا طلعت، وذلك حين يبرز الرحمن لفصل القضاء بين خلقه.

وقوله: (وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ) يقول: وجيء بالنبیین لیسألهم ربهم عما أجابتهم به أممهم، وردت عليهم في الدنيا، حين أتتهم رسالة الله، والشهداء، يعني بالشهداء: أمة محمد □ ، ويستشهدهم ربهم على الرسل، فيما ذكرت من تبليغها رسالة الله التي أرسلهم بها ربهم إلى أممها، إذ جددت أممهم أن يكونوا أبلغوهم رسالة الله، والشهداء: جمع شهيد، وهذا نظير قول الله: (وَكُنَّا لَكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) [البقرة: ١٤٣]. وقيل: عنى بقوله: (الشهداء): الذين قتلوا في سبيل الله، وليس لما قالوا من ذلك في هذا الموضع كبير معنى، لأن عقيب قوله: (وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ) ، وفي ذلك دليل واضح على صحة ما قلنا من أنه إنما دعى بالنبیین والشهداء للقضاء بين الأنبياء وأممها، وأن الشهداء إنما هي جمع شهيد، الذين يشهدون للأنبياء على أممهم كما ذكرنا.

وقوله: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ يقول تعالى ذكره: وقضي بين النبيين وأممها بالحق، وقضاؤه بينهم بالحق، أن لا يحمل على أحد ذنب غيره، ولا يعاقب نفسا إلا بما كسبت.

وقال رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ووفى الله حينئذ كل نفس جزاء عملها من خير وشر، وهو أعلم بما يفعلون في الدنيا من طاعة أو معصية، ولا يعزب عنه علم شيء من ذلك، وهو مجازيهم عليه يوم القيامة، فمثيب المحسن بإحسانه، والمسيء بما أساء.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ فِي «أضواء البيان»:

اختلف العلماء في المراد بالشهداء في هذه الآية الكريمة، فقال بعضهم: هم الحفظة من الملائكة الذين كانوا يحصون أعمالهم في الدنيا. واستدل من قال هذا بقوله تعالى: (وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٦١﴾) [ق: ٢١].

وقال بعض العلماء: الشهداء: أمة محمد ﷺ، يشهدون على الأمم، كما قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) [البقرة: ١٤٣].

وقيل: الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله، وأظهر الأقوال في الآية عندي: أن الشهداء هم الرسل من البشر، الذين أرسلوا إلى الأمم، لأنه لا يقضي بين الأمة حتى يأتي رسولها، كما صرح تعالى بذلك في سورة يونس في قوله تعالى: (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾) [يونس: ٤٧]، فصرح جل وعلا بأنه يسأل الرسل عما أجابتهم به أممهم، كما قال تعالى: (يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَاقُولُوا مَاذَا أَجَبْتُمُ) [المائدة: ١٠٩]، وقال تعالى: (فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦١﴾) [الأعراف: ٦]. وقد يشير إلى ذلك قوله تعالى: (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾) [النساء: ٤١]؛ لأن كونه □ هو الشهيد على هؤلاء الذين هم أمته، يدل على أن الشهيد على كل أمة هو رسولها.

وقد بين تعالى أن الشهيد على كل أمة من أنفس الأمة، فدل على أنه

التسهيل لتأويل التنزيل

ليس من الملائكة، وذلك في قوله تعالى: (وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ) [النحل: ٨٩]، والرسول من أنفس الأمم كما قال تعالى في نبينا محمد ﷺ: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ) [التوبة: ١٢٨]. وقال تعالى: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ) [آل عمران: ١٦٤] الآية.

والمسوع للإيجال بحذف الفاعل في قوله تعالى: (وَجَاءَ بِالتِّيْنِ) هو: أنه من المعلوم الذي لا نزاع فيه، أنه لا يقدر على المجيء بهم إلا الله وحده جلّ وعلا.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي «تيسير الكريم الرحمن»:

(وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا) علم من هذا، أن الأنوار الموجودة تذهب يوم القيامة وتضمحل، وهو كذلك، فإن الله أخبر أن الشمس تكور، والقمر يخسف، والنجوم تندثر، ويكون الناس في ظلمة، فشرق عند ذلك الأرض بنور ربها، عندما يتجلى وينزل للفصل بينهم، وذلك اليوم يجعل الله للخلق قوة، وينشئهم نشأة يَقْوُونَ على أن لا يحرقهم نوره، ويتمكنون أيضا من رؤيته، وإلا فنوره تعالى عظيم، لو كشفه، لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

(وَوُضِعَ الْكِتَابُ) أي: كتاب الأعمال وديوانه، وضع ونشر، ليقرأ ما فيه من الحسنات والسيئات، كما قال تعالى: (وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَيْلِنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) [الكهف: ٤٩]، ويقال للعامل من

تمام العدل والإنصاف: (أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾) [الإسراء: ١٤].

(وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ) ليسألوا عن التبليغ، وعن أمهم، ويشهدوا عليهم. ﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾ من الملائكة، والأعضاء والأرض. (وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ) أي: العدل التام والقياس العظيم، لأنه حساب صادر ممن لا يظلم مثقال ذرة، ومن هو محيط بكل شيء، وكتابه الذي هو اللوح المحفوظ، محيط بكل ما عملوه، والحفظة الكرام، والذين لا يعصون ربهم، قد كتبت عليهم ما عملوه، وأعد الشهود قد شهدوا على ذلك الحكم، فحكم بذلك من يعلم مقادير الأعمال ومقادير استحقاقها للثواب والعقاب. فيحصل حكم يقر به الخلق، ويعترفون لله بالحمد والعدل، ويعرفون به من عظمتهم وعلمه وحكمته ورحمته ما لم يخطر بقلوبهم، ولا تعبر عنه ألسنتهم، ولهذا قال: (وُوفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾).



قال الله تعالى:

﴿وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ۖ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِيَةً مِن حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

[النمل: ٧٠-٧٥]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿وَسِيقَ - زُمُرًا - خَزَنَتَهَا - وَيُنذِرُونَكُمْ - حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ - مَوَى - طِبْتُمْ -
صَدَقْنَا وَعْدَهُ - نَتَّبِعُ - فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ - حَافِينَ - يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(وَسِيقَ)	حُشْر - جُمع - دُفِعَ
(زُمُرًا)	جماعات جماعات
(خَزَنَتَهَا)	القائمون عليها - البوابون الذين يقومون بأمرها
(وَيُنذِرُونَكُمْ)	يخوفونكم
(حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ)	تحقق فيهم ما قضاه الله عليهم وما كتبه الله عليهم قبل أن يخلقوا
(مَوَى)	مكان - مستقر
(طِبْتُمْ)	طابت أعمالكم في دنياكم - فطاب بعبادكم في آخركم - كنتم طيبين فدام طيبكم
(صَدَقْنَا وَعْدَهُ)	أنجز لنا ما وعدنا
(نَتَّبِعُ)	نسكن - ننزل
﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾	نعم الثواب الذي أعد للمطيعين
(حَافِينَ)	محدثين - محيطين

يصلون - يقولون: سبحان الله	(يَسْبِحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ)
----------------------------	----------------------------------

س: كم باب للنار - أعادنا الله منها؟

ج: للنار سبعة أبواب، قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: (وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾) [الحجر: ٤٣-٤٤].



س: اذكر ما يبين أن دخول النار على مراحل.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا) [الزمر: ٧١].

وقوله تعالى: (كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾) [الملك: ٨].

وقوله تعالى: (هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ) [ص: ١١].

وقوله تعالى: (قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ أُخِيَتْ إِلَىٰ إِذَا دَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرِينَهُمْ لَاؤُلَئِكَ هُمُ الرَّاكِبُونَ ﴿٣٨﴾ فَتَاتَهُمْ عَذَابُ الْآبَاءِ ضَعَفَاءَ مِنَ النَّارِ) [الأعراف: ٣٨].
إلى غير ذلك من الأدلة.



س: وضع معنى قوله تعالى: (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا

جَاءُوهَا فَتُحِتَّ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا... ﴿٣٨﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وجمع الذين كفروا يوم القيامة ودفعوا إلى جهنم دفعًا شديدًا كما قال تعالى: (يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ۝١٣) **[الطور: ١٣]**، دفعوا إليها جماعات جماعات الأشد إجرامًا أولًا ثم الذين يلونهم في الإجرام جماعات جماعات أيضًا، كما قال تعالى: (فَوَرَّيْكَ

لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا ۝١٤) **[الرعد: ٦٨-٦٩]**، فيدفعون إلى جهنم فإذا وصلوا إليها فتحت أبوابها لاستقبالهم استقبالًا سيئًا بشعًا مخيفًا مروعًا مهولًا ويستقبلهم الخزان بالتوبيخ والتأنيب قائلين لهم ألم يأتكم في الدنيا رسلٌ منكم أيها البشر، بشرٌ مثلكم يتلون عليكم آيات الله التي تعرفكم بمراده وأحكامه والدالة على توحيده بمراده وأحكامه والدالة على توحيده والتي تحذركم من العذاب الذي ستلقونه في يومكم هذا، تحذركم من مثل هذا الذي ترونه الآن، فيجيب أهل الكفر معترفين مُقرين (بَلَىٰ ۚ أَيُّ قَدِّ جَاءَتْنَا الرِّسَالُ وَحَذَرْتَنَا وَخَوْفْتَنَا، ولكن تم ما قضاه الله ووقع ما قدره الله ۚ) فقد كتب عليهم الشقاوة وأنهم سيدخلون النار فلا مفر ولا محيص عنها، وذلك لأعمالهم السيئة التي ارتكبوها وللجنايات التي اجتنوها وشركهم الذي أشركوا.

فحينئذٍ يقال لهم: ادخلوا أبواب جهنم خالدين في جهنم أبد الآبدين لا تخرجون منها ولا تموتون فيها فبئس المقام الذي ستقيمون فيه بئس المقام مقام أهل الكبر والتعالي على الله ورفض الحق.

قال الطبري رحمه الله:

التسهيل لتأويل التنزيل

وقوله: (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ) يقول: وحشر الذين كفروا بالله إلى ناره التي أعدها لهم يوم القيامة جماعات، جماعة جماعة، وحزبا حزبا.

وقوله: (إِذَا جَاءُوهَا فَتُحْتَأَبُوا فِيهَا) السبعة (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا) قوامها: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ) يعني: كتاب الله المنزل على رسله وحججه التي بعث بها رسله إلى أممهم (وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا) يقول: وينذرونكم ما تلقون في يومكم هذا، وقد يحتمل أن يكون معناه: وينذرونكم مصيركم إلى هذا اليوم. قالوا: بلى. يقول: قال الذين كفروا مجيبين لخزنة جهنم: بلى قد أتانا الرسل منا، فأنذرتنا لقاءنا هذا اليوم (وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ) يقول: قالوا: ولكن وجبت كلمة الله أن عذابه لأهل الكفر به علينا بكفرنا به.

يقول تعالى ذكره: فتقول خزنة جهنم للذين كفروا حينئذ: (ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ) السبعة على قدر منازلكم فيها (خَالِدِينَ فِيهَا) يقول: ماكنين فيها لا ينقلون عنها إلى غيرها. (فَيُسْأَلُونَ يَوْمَئِذٍ كَمْ كَفَرُوا) يقول: فبئس مسكن المتكبرين على الله في الدنيا، أن يوحدوه ويفردوا له الألوهية، جهنم يوم القيامة.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يخبر تعالى عن حال الأشقياء الكفار كيف يساقون إلى النار؟ وإنما يساقون سوقاً عنيفاً بزجر وتهديد ووعيد، كما قال تعالى: (يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً) [الطور: ١٣] أي: يدفعون إليها دفعاً. هذا وهم عطاش ظماء،

كما قال في الآية الأخرى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (٨٥) ﴿وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا﴾ (٨٦) [مريم: ٨٥-٨٦]. وهم في تلك الحال صُمُّ وبكم وعمي، منهم من يمشي على وجهه، (وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيَائًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا) (٩٧) [الإسراء: ٩٧].

وقوله: (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) أي: بمجرد وصولهم إليها فتحت لهم أبوابها سرىعا، للعجل لهم العقوبة، ثم يقول لهم خزنتها من الزبانية - الذين هم غلاظ الأخلاق، شداد القوى على وجه التقريع والتوبيخ والتكيل -: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ) أي: من جنسكم تتمكنون من مخاطبتهم والأخذ عنهم، (يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُم) أي: يقيمون عليكم الحجج والبراهين على صحة ما دعوكم إليه، ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أي: ويحذرونكم من شر هذا اليوم؟ فيقول الكفار لهم: (بَلَىٰ) أي: قد جاءونا وأنذرونا، وأقاموا علينا الحجج والبراهين، ﴿وَلَكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٩٨) أي: ولكن كذبناهم وخالفناهم، لما سبق إلينا من الشقوة التي كنا نستحقها حيث عدلنا عن الحق إلى الباطل، كما قال تعالى مخبرا عنهم في الآية الأخرى: (كُلَّمَا أُلِّفَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ

نَذِيرٌ) (٩٩) قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلالٍ كبيرٍ) (١٠٠) وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير (١٠١) [الملك: ٨-١٠]، أي: رجعوا على أنفسهم بالملامة والندامة ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (١١) [الملك: ١١] أي: بعدا لهم وخسارا .

وقوله هاهنا: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: كل من رآهم

وعلم حالهم يشهد عليهم بأنهم مستحقون للعذاب؛ ولهذا لم يسند هذا القول إلى قائل معين، بل أطلقه ليدل على أن الكون شاهد عليهم بأنهم مستحقون ما هم فيه بما حكم العدل الخبير عليهم به؛ ولهذا قال جل وعلا: (قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا) أي: ماكنين فيها لا خروج لكم منها، ولا زوال لكم عنها، (فَبُئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ) ﴿٧٢﴾ أي: فبئس المصير وبئس المقيل لكم، بسبب تكبركم في الدنيا، وإبائكم عن اتباع الحق، فهو الذي صيركم إلى ما أنتم فيه، فبئس الحال وبئس المآل .

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا) هذا بيان توفية كل نفس عملها فيساق الكافر إلى النار والمؤمن إلى الجنة والزممر: الجماعات واحدها زمرة كظلمة وغرفة وقال الأخفش و أبو عبيدة: (زُمَرًا) جماعات متفرقة بعضها إثر بعض قال الشاعر:

وترى الناس إلى منزله زمرا يتأبونه بعد زمر

وقال آخر:

حتى أخزألت زمرا بعد زمر

وقيل: دفعًا وزجرًا بصوت كصوت المزمارة (حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) جواب إذا وهي سبعة أبواب وقد مضى في (الحجر) (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا) واحدهم خازن نحو سدنة وسادن ويقولون لهم تفرعًا وتوبيخًا: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ) أي الكتب المنزلة على الأنبياء (وَيُنذِرُونَكُمْ) أي يخوفونكم (لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ) أي قد جاءتنا وهذا

اعتراف منهم بقيام الحجة عليهم ﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ وهي قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (هود: ١١٩)، قوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ أي يقال لهم ادخلوا جهنم وقد مضى الكلام في أبوابها وقال وهب: تستقبلهم الزبانية بمقامع من نار فيدفعونهم بمقامعهم فإنه ليقع في الدفعة الواحدة إلى النار بعدد ربعة ومُضر ﴿فَيُسْأَلُونَ فَيَكْفُرُونَ﴾ (٧٢) تقدم بيانه.

قال السعدي رحمه الله في «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ أي: سوقًا عنيفًا، يضربون بالسياط الموجهة، من الزبانية الغلاظ الشداد، إلى شر محبس وأقطع موضع، وهي جهنم التي قد جمعت كل عذاب، وحضرها كل شقاء، وزال عنها كل سرور، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ مَلَأِ جَهَنَّمَ دَعَا﴾ (١٢) ﴿الطور: ١٣﴾ أي: يدفعون إليها دفعًا، وذلك لامتناعهم من دخولها ويساقون إليها ﴿زُمَرًا﴾ أي: فرقًا متفرقة، كل زمرة مع الزمرة التي تناسب عملها، وتشاكل سعيها، يلعن بعضهم بعضًا، وييرا بعضهم من بعض. (حَقَّ إِذَا جَاءُوهَا) أي: وصلوا إلى ساحتها (فُتِحَتْ) لهم أي: لأجلهم (أَبْوَابُهَا) لقدومهم وقرى لنزولهم.

(وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا) مهنئين لهم بالشقاء الأبدي، والعذاب السرمدى، وموبخين لهم على الأعمال التي أوصلتهم إلى هذا المحل الفظيع: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ) أي: من جنسكم تعرفونهم وتعرفون صدقهم، وتتمكنون من التلقي عنهم؟! (يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمُ) التي أرسلهم الله بها، الدالة على

الحق اليقين بأوضح البراهين.

(وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا) أي: وهذا يوجب عليكم اتباعهم والحدز من عذاب هذا اليوم، باستعمال تقواه، وقد كانت حالكم بخلاف هذه الحال؟ (قَالُوا) مقرين بذنبهم، وأن حجة الله قامت عليهم: (يَكُنْ) قد جاءتنا رسل ربنا بآياته وبياناته، وبينوا لنا غاية التبيين، وحذرونا من هذا اليوم. (وَلَكِنَّ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ) أي: بسبب كفرهم وجبت عليهم كلمة العذاب، التي هي لكل من كفر بآيات الله، ووجد ما جاءت به المرسلون، فاعترفوا بذنبهم وقيام الحجة عليهم.

فـ(قِيلَ) لهم على وجه الإهانة والإذلال: (ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ) كل طائفة تدخل من الباب الذي يناسبها ويوافق عملها. ﴿خَلِيدِينَ فِيهَا﴾ أبداً، لا يظعنون عنها، ولا يفتر عنهم العذاب ساعة ولا ينظرون. ﴿فَتَسْمُوْا الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ أي: بنس المجر، النار مقرهم، وذلك لأنهم تكبروا على الحق، فجازاهم الله من جنس عملهم، بالإهانة والذل، والخزي.



س: كم باب للجنة؟

ج: الجنة لها ثمانية أبواب.

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

ما أخرجه مسلم ^(١) في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه

مرفوعاً: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ (أو يسبغ) الوضوء ثم يقول:

(١) مسلم (حديث ٢٣٤).

أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبد الله ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء».

وفي الصحيحين ^(١) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة بابًا يقال له: الرِّيَّان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل معهم أحد غيرهم يقال: أين الصائمون؟ فيدخلون منه فإذا دخل آخرهم أخلق فلم يدخل منه أحد».



mostafaaladvy.com

(١) البخاري (١٨٩٦، ٣٢٥٧)، ومسلم (١١٥٢).

س: اذكر بعض الوارد في صفة أبواب الجنة.

ج: من ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم ^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ في حديث الشفاعة الطويل - قال: «... فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه، من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبُصرى..».

وفي صحيح مسلم ^(٢) من حديث عتبة بن غزوان رضي الله عنه قال: فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقي من شفة جهنم، فيهوى فيها سبعين عامًا لا يدرك لها قعرًا. والله لتملأن أفعببتم؟ ولقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة. وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام. ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ وفي الصحيحين ^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة، دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد، دُعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة، دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام، دُعي من باب الريان»، قال أبو بكر الصديق: يا رسول الله ما على أحد يدعى من تلك الأبواب من ضرورة. فهل يدعى

(١) البخاري (٤٧٢١)، ومسلم (حديث ١٩٤).

(٢) مسلم (٢٩٦٧).

(٣) البخاري (١٨٩٧)، ومسلم (١٠٢٧).

أحدٌ من تلك الأبواب كلها؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم وأرجو أن تكون منهم».



س: اذكر بعض الوارد في أن دخول يكون على مراحل؟

ج: من الآية على ذلك ما يلي:

ما أخرجه مسلم ^(١) في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول شفيع في الجنة»، وفي لفظ لمسلم: «أنا أول من يقرع باب الجنة».

وعند مسلم ^(٢) أيضاً من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح. فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك».

وفي الصحيحين ^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب دري، في السماء إضاءة لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون، ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب، رشحهم المسك، ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء».

(١) مسلم (١٩٦).

(٢) مسلم (١٩٧).

(٣) البخاري (٣٢٤٥)، ومسلم (٢٨٣٤)، واللفظ له.

التسهيل لتأويل التنزيل

وفي الصحيحين^(١) من حديث سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً، أو سبعمائة ألف (لا يدري أبو حازم أيهما قال) متماسكون. أخذ بعضهم بعضاً لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر».



س: **وضح معنى قوله تعالى: (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾).**

ج: المعنى، والله أعلم، وحشر الذين خافوا ربهم في الدنيا فاتقوا الشرك به، واتقوا مخالفته وعصيانته وامتنلوا أمره و وحدوه وعبدوه فلم يشركوا به شيئاً حشروا حشراً جميلاً مكرمين معززين كما قال تعالى: (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾) [مريم: ٨٥]، سيقوا إلى جنات النعيم جماعات جماعات الأتقى أولاً ثم الذي دونه في التقوى.

رسول الله ﷺ أولاً ثم الأنبياء ثم الصديقون ثم العلماء والشهداء ثم الأتقى فالأتقى فإذا وصلوا إلى أبواب الجنة وفتحت لهم أبوابها إذا بخزنتها يرحبون بهم غاية الترحيب يستقبلونهم مسلمين عليهم مهئين قائلين لهم السلام عليكم طيبتم، كنتم في الدنيا طيبين فدام طيبكم، كنتم تعملون أعمالاً طيبة فهذا مآلكم وهذا جزاؤكم، فيها هي الجنان المعدة لكم فادخلوها خالدين فيها لا تتحولون عنها ولا تريدون التحول.

قال الطبري رحمه الله:

(١) البخاري (٣٢٤٧)، ومسلم (٢١٩).

يقول تعالى ذكره: وحشر الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه في الدنيا، وأخلصوا له فيها الألوهة، وأفردوا له العبادة، فلم يشركوا في عبادتهم إياه شيئاً (إِلَّيَّ الْجَنَّةُ زُمرًا) يعني جماعات، فكان سوق هؤلاء إلى منازلهم من الجنة وفداً على ما قد بينا قبل في سورة مريم على نجائب من نجائب الجنة، وسوق الآخرين إلى النار دعاً وورداً، كما قال الله.

وقال رحمه الله:

واختلف أهل العربية في موضع جواب «إذا» التي في قوله: (حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا) فقال بعض نحويي البصرة: يقال: إن قوله: (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا) في معنى: قال لهم، كأنه يلغي الواو، وقد جاء في الشعر شيء يشبه أن تكون الواو زائدة، كما قال الشاعر:

فإذا وذلك يا كبيشة لم يكن إلا تسكروهم حالاً بخيال

فيشبه أن يكون يريد: فإذا ذلك لم يكن. قال: وقال بعضهم: فأضمر الخبر، وإضمار الخبر أيضاً أحسن في الآية، وإضمار الخبر في الكلام كثير. وقال آخر منهم: هو مكفوف عن خبره، قال: والعرب تفعل مثل هذا ، قال عبد مناف بن ربح في آخر قصيدة:

حتى إذا أسلكوهم في قتائدة شلا كما تطرد الجمالة السليدا

وقال الأخطل في آخر القصيدة:

خلا أن حياً من قريش تفضلوا على الناس أو أن الأكارم نهشلا

وقال بعض نحويي الكوفة: أدخلت في حتى إذا وفي فلما الواو في

جوابها وأخرجت، فأما من أخرجها فلا شيء فيه، ومن أدخلها شبه الأوائل بالتعجب، فجعل الثاني نسقاً على الأول، وإن كان الثاني جواباً كأنه قال: أتعجب لهذا وهذا.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: الجواب متروك،

وإن كان القول الآخر غير مدفوع، وذلك أن قوله: (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾) يدل على أن في الكلام متروكاً، إذ كان عقيبهِ (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ) ، وإذا كان ذلك كذلك، فمعنى الكلام: حتى إذا جاءوا وفتحت أبوابها وقال لهم خزناتها: سلام عليكم طبتُم فادخلوها خالدين، دخلوها وقالوا: الحمد لله الذي صدقنا وعده. وعني بقوله: (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) : أمانة من الله لكم أن ينالكم بعد مكروهه أو أذى. وقوله: (طِبْتُمْ) يقول: طابت أعمالكم في الدنيا، فطاب اليوم مثواكم.

وقال رحمه الله:

وقوله: (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ) يقول: وقال الذين سيقوا زمراً ودخلوها: الشكر خالص لله الذي صدقنا وعده، الذي كان وعدناه في الدنيا على طاعته، فحققه بإنجازه لنا اليوم، (وَأَوْزَنَّا الْأَرْضَ) يقول: وجعل أرض الجنة التي كانت لأهل النار لو كانوا أطاعوا الله في الدنيا، فدخلوها، ميراتاً لنا عنهم.

وقوله: (نَتَّبِعُكَ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ) يقول: نتخذ من الجنة بيتاً، ونسكن منها حيث نحب ونشتهي.

وقوله: (فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ ﴿٧٤﴾) يقول: فنعم ثواب المطيعين لله،

العاملين له في الدنيا الجنة لمن أعطاه الله إياها في الآخرة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا إخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون على النجائب وفداً إلى الجنة (زُمرّاً) أي: جماعة بعد جماعة: المقربون، ثم الأبرار، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم كل طائفة مع من يناسبهم: الأنبياء مع الأنبياء والصدّيقون مع أشكالهم، والشهداء مع أضرابهم، والعلماء مع أقرانهم، وكل صنف مع صنف، كل زمرة تناسب بعضها بعضاً.

(حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا) أي: وصلوا إلى أبواب الجنة بعد مجاوزة الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، فاقترض لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبُوا ونُقُوا أذن لهم في دخول الجنة، وقد ورد في حديث الصور أن المؤمنين إذا انتهوا إلى أبواب الجنة تشاوروا فيمن يستأذن لهم بالدخول، فيقصدون آدم، ثم نوحاً، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ثم محمداً، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كما فعلوا في العرصات عند استشفاعهم إلى الله، رَحِمَهُ اللهُ، أن يأتي لفصل القضاء، ليظهر شرف محمد ﷺ على سائر البشر في المواطن كلها.

وقد ثبت في صحيح مسلم^(١) عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول شفيع في الجنة» وفي لفظ لمسلم: «وأنا أول من يقرع باب الجنة».

وقال ابن كثير أيضاً:

(١) مسلم (١٩٧).

وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (٧٣) لم يذكر الجواب هاهنا، وتقديره: حتى إذا جاءوها، وكانت هذه الأمور من فتح الأبواب لهم إكراماً وتعظيماً، وتلقاهم الملائكة الخزنة بالبشارة والسلام والثناء، لا كما تلقى الزبانية الكفرة بالثريب والتأنيب، فتقديره: إذا كان هذا سَعِدُوا وطابوا، وسُرُّوا وفرحوا، بقدر كل ما يكون لهم فيه نعيم. وإذا حذف الجواب هاهنا ذهب الذهن كل مذهب في الرجاء والأمل.

وقال أيضاً:

وقوله: (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ) أي: طابت أعمالكم وأقوالكم، وطاب سعيكم فطاب جزاؤكم، كما أمر رسول الله ﷺ أن ينادى بين المسلمين في بعض الغزوات: «إِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسَلِّمَةٌ» وفي رواية: «مُؤْمِنَةٌ». وقوله: (فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) (٧٣) أي: ماكنين فيها أبداً، لا يبيغون عنها حولاً.

(وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ) أي: يقول المؤمنون إذا عاينوا في الجنة ذلك الثواب الوافر، والعطاء العظيم، والنعيم المقيم، والملك الكبير، يقولون عند ذلك: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ) أي: الذي كان وعدهنا على السنة رسله الكرام، كما دعوا في الدنيا: (رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ) (١١٤) [آل عمران: ١٩٤]، (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ) [الأعراف: ٤٣]، (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ

الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ [فاطر: ٣٤-٣٥].

وقولهم: (وَأَوْزَنَّا الْأَرْضَ نَتَبَوُّهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴿٧٤﴾)

قال أبو العالية، وأبو صالح، وقتادة، والسدي، وابن زيد: أي أرض الجنة.

وهذه الآية كقوله: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا

عِبَادِي الْعَمَلُونَ ﴿١٠٥﴾) [الأنبياء: ١٠٥]، ولهذا قالوا: (نَتَبَوُّهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ) أي: أين نشاءا حللنا، فنعم الأجر أجرنا على عملنا.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا) يعني من الشهداء

والزهاد والعلماء والقراء وغيرهم ممن اتقى الله تعالى وعمل بطاعته

وقال في حق الفريقين: (وَسِيقَ) بلفظ واحد فسوق أهل النار طردهم إليها

بالخزي والهوان كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا

إلى حبس أو قتل وسوق أهل الجنان سوق من ركبهم إلى دار الكرامة

والرضوان لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين كما يفعل بمن يشرف ويكرم من

الوافدين على بعض الملوك فستان ما بين السوقين (حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ

أَبْوَابُهَا) قيل: الواو هنا للعطف عطف على جملة والجواب محذوف قال

المبرد: أي سعدوا وفتحت وحذف الجواب بليغ في كلام العرب وإنشده

فلو أنها نفس تموت جميعة ولكنها نفس تساقط أنفوسها

فحذف جواب لو والتقدير لكان أرواح وقال الزجاج: (حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا)

دخلوها وهو قريب من الأول وقيل: الواو زائدة وقاله الكوفيون وهو خطأ

عند البصريين وقد قيل: إن زيادة الواو دليل على أن الأبواب فتحت لهم

قبل أن يأتوا لكرامتهم على الله تعالى والتقدير حتى إذا جاؤوها وأبوابها مفتحة بدليل قوله : ﴿ جَنَّتٍ عَدْنٍ مُّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾ [ص: ٥٠] وحذف الواو في قصة أهل النار لأنهم وقفوا على النار وفتحت بعد وقوفهم إذ لا لا وترويعا لهم ذكره المهدوي وحكى معناه النحاس قبله قال النحاس : فأما الحكمة في إثبات الواو في الثاني وحذفها من الأول فقد تكلم فيه بعض أهل العلم بقول لا أعلم أنه سبقه إليه أحد وهو أنه لما قال الله ﷻ في أهل النار : (حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) دلّ بهذا على أنها كانت مغلقة ولما قال في أهل الجنة : (حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) دلّ بهذا على أنها كانت مفتحة قبل أن يجيئوها والله أعلم

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي «تيسير الكريم الرحمن»:

(وَسَيَقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ) بتوحيده والعمل بطاعته، سوق إكرام وإعزاز، يحشرون وفداً على النجائب. (إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا) فرحين مستبشرين، كل زمرة مع الزمرة، التي تناسب عملها وتشاكله (حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا) أي: وصلوا لتلك الرحاب الرحبية والمنازل الأنيقة، وهبَّ عليهم ريحها ونسيمها، وأن خلودها ونعيمها. ﴿ وَفُتِحَتْ ﴾ لهم (أَبْوَابُهَا) فتح إكرام، لكرام الخلق، ليكرموا فيها. (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا) تهنئة لهم وترحيباً: (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) أي: سلام من كل آفة وشر حال. عليكم (طِبُّمُ) أي: طابت قلوبكم بمعرفة الله ومحبه وخشيته، وألسنتكم بذكره، وجوارحكم بطاعته. (ف) بسبب طيبكم (ادْخُلُوهَا خَالِدِينَ)؛ لأنها الدار الطيبة، ولا يليق بها إلا الطيبون.

وقال في النار: (فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) وفي الجنة (وُفِّتِحَتْ) بالواو، إشارة إلى أن أهل النار، بمجرد وصولهم إليها، فتحت لهم أبوابها من غير إنظار ولا إمهال، وليكون فتحها في وجوههم، وعلى وصولهم، أعظم لحرها، وأشد لعذابها.

وأما الجنة، فإنها الدار العالية الغالية، التي لا يوصل إليها ولا ينالها كل أحد، إلا من أتى بالوسائل الموصلة إليها، ومع ذلك، فيحتاجون لدخولها إلى الشفاعة عند أكرم الشفعاء عليه، فلم تفتح لهم بمجرد ما وصلوا إليها، بل يستشفعون إلى الله بمحمد ﷺ، حتى يشفع، فيشفعه الله تعالى.

وفي الآيات دليل على أن النار والجنة لهما أبواب تفتح وتغلق، وأن لكل منهما خزنة، وهما الداران الخالصتان، اللتان لا يدخل فيهما إلا من استحقهما، بخلاف سائر الأمكنة والدور.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

(وَقَالُوا) عند دخولهم فيها واستقرارهم، حامدين ربهم على ما أولاهم ومنّ عليهم وهداهم: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ) أي: وعدنا الجنة على السنة رسله، إن آما وصلحنا، فوقى لنا بما وعدنا، وأنجز لنا ما مثّل (وَأَوْزَنَّا الْأَرْضَ) أي: أرض الجنة (نَبَوًّا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ) أي: ننزل منها أي مكان شئنا، ونتناول منها أي نعيم أردنا، ليس ممنوعاً عنا شيء نريده. ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾ (٧٤) الذين اجتهدوا بطاعة ربهم، في زمن قليل منقطع، فنالوا بذلك خيراً عظيماً باقياً مستمراً.

وهذه الدار التي تستحق المدح على الحقيقة، التي يكرم الله فيها خواص خلقه، ورضيها الجواد الكريم لهم نزلًا وبنى أعلاها وأحسنها، وغرسها بيده، وحشاها من رحمته وكرامته ما ببعضه يفرح الحزين، ويزول الكدر، ويتم الصفاء.



س: أهل الجنة كثيرٌ حمدهم الله ﷻ. دَلِّلْ على ذلك.

ج: ذكر الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان» عددًا من الأدلة عند تفسير

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾.

فقال: ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن أهل الجنة إذا دخلوها وعينوا ما فيها من النعيم، حمدوا ربهم واتنوا عليه، ونوهوا بصدق وعده لهم، وذكر هذا المعنى في آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى: (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَفَدَّجَتِ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾. وقوله تعالى: (وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا) الآية.

وقوله تعالى: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَهْلَنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾.

[فاطر: ٣٣-٣٥]

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ

يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، وترى أيها المؤمن إذا دخلت الجنة ملائكة الرحمن ﷻ محققين حول العرش يصلون ويسبحون، وتسبيحهم وصلاتهم بتوفيق الله لهم، وقضى يومئذ بين الخلائق بالحق وقال القائلون: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾) قالت تلك الملائكة، وقالها أهل الإيمان.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وترى يا محمد الملائكة محققين من حول عرش

الرحمن، ويعني بالعرش: السرير، واختلف أهل العربية في وجه دخول (مِنْ) في قوله: (حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ) والمعنى: حافين حول العرش.

وفي قوله: (وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَجْبَطَنَّ عَمْلُكَ)

[الزمر: ٦٥]، فقال بعض نحويي البصرة: أدخلت (مِنْ) في هذين الموضعين توكيداً، والله أعلم، كقولك: ما جاءني من أحد، وقال غيره: قبل وحول وما أشبههما ظروف تدخل فيها (مِنْ) وتخرج، نحو: أبيتك قبل زيد، ومن قبل زيد، وطفنا حولك ومن حولك، وليس ذلك من نوع: ما جاءني من أحد؛ لأن موضع (مِنْ) في قولهم: ما جاءني من أحد رفع، وهو اسم.

والصواب من القول في ذلك عندي أن (مِنْ) في هذه الأماكن، أعني

في قوله: (مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ) ومن قبلك، وما أشبه ذلك، وإن كانت دخلت على الظروف فإنها بمعنى التوكيد.

وقوله: (يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) يقول: يصلون حول عرش الله شكرًا له، والعرب تدخل الباء أحيانًا في التسبيح، وتحذفها أحيانًا، فتقول: سبح بحمد الله، وسبح حمد الله، كما قال جل ثناؤه: (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) [الأعلى: ١]، وقال في موضع آخر: (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) [الواقعة: ٧٤ و ٩٦ - الحاقة: ٥٢].

وقوله: (وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ) يقول: وقضى الله بين النبيين الذين جيء بهم، والشهداء وأممها بالعدل، فأسكن أهل الإيمان بالله، وبما جاءت به رسله الجنة. وأهل الكفر به، ومما جاءت به رسله النار (وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [٧٥] يقول: وختمت خاتمة القصص بينهم بالشكر للذي ابتداء خلقهم الذي له الألوهية، وملك جميع ما في السموات والأرض من الخلق من ملك وجن وإنس، وغير ذلك من أصناف الخلق.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال: (يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ...) الآية، كلها قال: فتح أول الخلق بالحمد لله، فقال: الحمد لله الذي خلق السموات والأرض، وختم بالحمد فقال: (وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [٧٥].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

لما ذكر تعالى حكمه في أهل الجنة والنار، وأنه نزل كُلًّا في المحل الذي يليق به ويصلح له وهو العادل في ذلك الذي لا يجوز -أخبر عن

ملائكته أنهم محدقون من حول عرشه المجيد، يسبحون بحمد ربهم، ويمجدونه ويعظمونه ويقدسونه وينزهونه عن النقائص والجور، وقد فصل القضية، وقضى الأمر، وحكم بالعدل؛ ولهذا قال: (وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) أي: بين الخلائق (بِالْحَقِّ).

ثم قال: (وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾) أي: ونطق الكون أجمعه -ناطقه وبهيمة- الله رب العالمين، بالحمد في حكمه وعدله؛ ولهذا لم يسند القول إلى قائل بل أطلقه، فدل على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ يَسْجُدُونَ لِلَّهِ) أي: محدقين (مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ) في ذلك اليوم (يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) متلذذين بذلك لا متعبدين به أي يصلون حول العرش شكرًا لربهم والحافون أخذ من حافات الشيء ونواحيه قال الأخفش: واحد منهم حاف وقال الفراء: لا واحد له؛ إذ لا يقع لهم الاسم إلا مجتمعين ودخلت (مِنْ) على (حَوْلِ) لأنه ظرف والفعل يتعدى إلى الظرف بحرف وبغير حرف وقال الأخفش: (مِنْ) زائدة أي حافين حول العرش وهو كقولك: ما جاءني من أحد فمن توكيد الشايعي: والعرب تدخل الباء أحيانًا في التسبيح وتحذفها أحيانًا فيقولون: سبّح بحمد ربك، وسبّح حمدًا قال الله تعالى: (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾) [الأعلى: ١]، وقال: (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾) [الواقعة: ٧٤] ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ بين أهل الجنة والنار وقيل: قضى بين النبيين الذين جيء بهم مع الشهداء وبين أممهم بالحق والعدل (وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾) أي يقول المؤمنون

الحمد لله على ما أثابنا من نعمه وإحسانه ونصرنا على من ظلمنا وقال قتادة في هذه الآية: افتتح الله أول الخلق بالحمد لله، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، وختم بالحمد فقال: ﴿وَقَضَىٰ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧٥) فلزم الاقتداء به والأخذ في ابتداء كل أمر بحمده وخاتمته بحمده وقيل: إن قول (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) من قول الملائكة فعلى هذا يكون حمدهم لله تعالى على عدله وقضائه.

قال السعدي رحمه الله:

(وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ) أيها الرائي ذلك اليوم العظيم (حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ) أي: قد قاموا في خدمة ربهم، واجتمعوا حول عرشه، خاضعين لجلاله، معترفين بكماله، مستغرقين بجماله. (يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) أي: ينزهونه عن كل ما لا يليق بجلاله، مما نسب إليه المشركون وما لم ينسبوا. (وَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ) أي: بين الأولين والآخرين من الخلق (بِالْحَقِّ) الذي لا اشتباه فيه ولا إنكار، ممن عليه الحق. (وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) لم يذكر القائل من هو، ليدل ذلك على أن جميع الخلق نطقوا بحمد ربهم وحكمته على ما قضى به على أهل الجنة وأهل النار، حمد فضل وإحسان، وحمد عدل وحكمة.



تم بحمد الله تفسير سورة الزمر في سؤال وجواب

قال الله تعالى:

سورة غافر

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(حَمْدٌ) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ
شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴿٣﴾ مَا يُجَدِلُ فِي آيَاتِ
اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْزُرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبِلَدِ ﴿٤﴾ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرُسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا
بِالْبَطْلِ لِيُذْخِصُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَلْهَمْنَاهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ
كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ
حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ
كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ
الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ
ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ
السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ [غافر: ١-٩]

س: وضع معنى ما يلي:

﴿حَمَّ - غَافِرِ الذَّنْبِ - وَقَابِلِ التَّوْبِ - ذِي الطَّوْلِ - يَغْرُزَكَ - تَقْلُبُهُمْ فِي الْيَلْدِ -
وَالْأَحْزَابِ - وَهَمَّتْ - لِيَأْخُذُوهُ - لِيُدْحِضُوا - حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ - وَسِعَتْ كُلَّ
شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا - وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ - وَفِيهِمْ - جَنَّاتٍ عَدْنٍ - وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتِ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(حَمَّ)	أحرف مقطعة لا يعلم معناها إلا الله وقيل: إنه قسم أقسم الله به وقيل: اسم من أسماء القرآن وقيل غير ذلك
(غَافِرِ الذَّنْبِ)	يغفر ذنوب عباده ويستترها عليهم - اسمه غافر
(وَقَابِلِ التَّوْبِ)	يقبل رجوع العباد إليه بعد انبعاذهم عن طريقه ويقبل رجوعهم إلى طاعته بعد عصيانهم
(ذِي الطَّوْلِ)	ذي الغنى والسعة - ذي القدرة - ذي الفضل والنعم
(يَغْرُزَكَ)	يخدعك
(تَقْلُبُهُمْ فِي الْيَلْدِ)	تصرفهم - تنقلهم - مكثهم
(وَالْأَحْزَابِ)	الكفار المجتمعون على حرب الرسل
(وَهَمَّتْ)	سعت وبذلت الجهد
(لِيَأْخُذُوهُ)	ليقتلوه
(لِيُدْحِضُوا)	ليبطلوا

تفسير سورة فصلت

٢٠٣

تحققت كلمة الله التي كتبها على أهل الكفر تحقق فيهم ما قضاه الله عليهم	(حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ)
وسعت رحمتك كل شيء ووسع علمك كل شيء، أي: أن رحمتك شملت كل شيء - وعلمك أحاط	﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةٌ
سلكوا الطريق الموصل إلى مرضاتك طريق	(وَاتَّبِعُوا سَبِيلَكَ)
اصرف عنهم	(وَقِهِمْ)
بسيئات وذنائب للإقامة الدائمة	(جَنَّتِ عَذَابِ)
اصرف عنهم عقوبة المعاصي والسيئات التي ارتكبت واحفظهم من أن يقعوا في السيئات	﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾



س: **وضح معنى قوله تعالى: (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٢) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ٣).**

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الله العزيز العليم من عنده نزل هذا القرآن، فهذا القرآن نزل من العزيز الذي لا يعجز عن شيء والذي يُمضي ما أراد والذي يقلب على أمره فكل ما يريد يكون، (العزيز) بخلقهم وبما ينفعهم، ومن ثم أنزل لهم ما يتفعلون به في دنياهم وأخراهم. ثم يصف الله ﷻ نفسه وما يفعله بخلقه فيقول تعالى: (غَافِرِ الذَّنْبِ)، فلم يزل يغفر لعباده الذنوب قبل نزول الآية وبعد نزولها.

وكذا فإنه سبحانه يقبل توبتهم ورجوعهم إليه إذا أرادوا الرجوع إلى طريقه وامثال أمره ثم يحذر الله ﷻ فيقول: (شَدِيدِ الْعِقَابِ) لمن تمرد على أمره

التسهيل لتأويل التنزيل

وعصاه وتمادى في غيّه وطغيانه، فترهيب بعد ترغيب.
ويبين ربنا فضله على عباده بقوله: (ذِي الْظُلِّي) ذي الغنى والفضل والقدرة.

(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴿٢﴾) لا إله غيره ولا معبود سواه إليه المرجع والمآب يوم القيامة فيجاري المحسن بإحسانه والمسيئ بإساءته.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾) يقول الله تعالى ذكره: من الله العزيز في انتقامه من أعدائه، العليم بما يعملون من الأعمال وغيرها تنزيل هذا الكتاب؛ فالتنزيل مرفوع بقوله: (مِنَ اللَّهِ).

وفي قوله: (غَافِرِ الذَّنْبِ) وجهان؛ أحدهما: أن يكون بمعنى يغفر ذنوب العباد وقال: (غَافِرِ الذَّنْبِ) ولم يقل الذنوب؛ لأنه أريد به الفعل، وأما قوله: (وَقَابِلِ التَّوْبِ) فإن التوب قد يكون جمع توبة، كما يجمع الدومة دوما والعومة عوما من عومة السفينة، كما قال الشاعر:

عوم السفين فلما حال دونهم

وقد يكون مصدر تاب يتوب توباً.

وقوله: (شَدِيدِ الْعِقَابِ) يقول تعالى ذكره: شديد عقابه لمن عاقبه من أهل العصيان له، فلا تتكلموا على سعة رحمته، ولكن كونوا منه على حذر، باجتناب معاصيه، وأداء فرائضه، فإنه كما أن لا يؤيس أهل الإجمام والآثام من عفوه، وقبول توبة من تاب منهم من جرمه، كذلك لا يؤمنهم من عقابه وانتقامه منهم بما استحلوا من محارمه، وركبوا من

معاصيه.

وقوله: (ذِي الطَّوْلِ) يقول: ذي الفضل والنعم المبسوطة على من شاء من خلقه؛ يقال منه: إن فلاناً لذو طول على أصحابه، إذا كان ذا فضل عليهم. وقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرُ﴾ (٢) يقول: لا معبود تصلح له العبادة إلا الله العزيز العليم، الذي صفته ما وصف جل ثناؤه، فلا تعبدوا شيئاً سواه (إِلَهُ الْمَصِيرُ) (٣) يقول تعالى ذكره: إلى الله مصيركم ومرجعكم أيها الناس، فإياه فاعبدوا، فإنه لا ينفعكم شيء عبدتموه عند ذلك سواه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) (٤) أي: تنزيل هذا الكتاب - وهو القرآن- من الله ذي العزة والعلم، فلا يرام جنابه، ولا يخفى عليه الذر وإن تكاثف حجابه.

وقوله: (غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ) أي: يغفر ما سلف من الذنب، ويقبل التوبة في المستقبل لمن تاب إليه وخضع لديه.

وقوله: (شَدِيدِ الْعِقَابِ) أي: لمن تمرد وطغى وأثر الحياة الدنيا، وعتا عن أوامر الله، وبغى. وهذه كقوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠) [الحجر: ٤٩-٥٠] يقرن هذين الوصفين كثيراً في مواضع متعددة من القرآن؛ ليبقى العبد بين الرجاء والخوف.

وقوله: (ذِي الطَّوْلِ) قال ابن عباس: يعني: السعة والغنى. وكذا قال

مجاهد وقتادة.

وقال يزيد بن الأصم: (ذِي الطَّوْلِ) يعني: الخير الكثير.

وقال عكرمة: (ذِي الطَّوْلِ) ذي المنّ.

وقال قتادة: ذي النعم والفواضل.

والمعنى: ألبه المتفضل على عباده، المتطول عليهم بما هو فيه من المنن والأنعام، التي لا يطيقون القيام بشكر واحدة منها، (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا... ﴿٣٤﴾ [إبراهيم: ٣٤]).

وقوله: (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) أي: لا نظير له في جميع صفاته، فلا إله غيره، ولا ربّ سواه (إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٠﴾) أي: إليه المرجع والمآب، فيجازي كل عامل بعمله، ﴿وَهُوَ سَكِرٌ الْحَسَابِ ﴿٤١﴾﴾ [الرعد: ٤١].



س: لماذا يجادل أهل الكفر؟

ج: يجادلون لإبطال الحق الذي جاءت به الرسل ولتضليل العباد.

قال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: ﴿مَا يَجِدُلُ فِيْ آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أنه لا يجادل في آيات الله، أي لا يخاصم فيها محاولاً ردها، وإبطال ما جاء فيها، إلا الكفار.

وقد بيّن تعالى في غير هذا الموضع الغرض الحامل لهم على الجدل

فيها مع بعض صفاتهم، وذلك في قوله: (وَجَدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾) [الكهف: ٥٦]، وأوضح ذلك

الغرض في هذه السورة الكريمة، في قوله: (وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ).

وقد قدمنا في سورة الحج أن الذين يجادلون في الله منهم، أتباع يتبعون رؤساءهم المضلين، من شياطين الإنس والجن، وهم المذكورون في قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ (٣) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَاتَّخَذَهُ يَصِيْقًا، وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ [الحج: ٣-٤].

وأن منهم قادة هم رؤسائهم المتبوعون وهم المذكورون في قوله تعالى:

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّثِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) الآية. [الحج: ٨-٩].

وبين تعالى في موضع آخر أن من أنواع جدال الكفار، جدالهم للمؤمنين الذين استجابوا لله وآمنوا به وبرسوله، ليردوهم إلى الكفر بعد الإيمان، وبين بطلان حجة هؤلاء، وتوعدهم بغضب عليهم، وعذابه الشديد وذلك في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ، جُحُومُهُمْ دَاخِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾) [الشورى: ١٦].

قال السعدي رحمه الله في «تيسير الكريم الرحمن»:

يخبر تبارك وتعالى أنه ما يجادل في آياته إلا الذين كفروا والمراد بالمجادلة هنا، المجادلة لرد آيات الله ومقابلتها بالباطل، فهذا من صنيع الكفار، وأما المؤمنون فيخضعون لله تعالى الذي يلقي الحق ليدحض به الباطل، ولا ينبغي للإنسان أن يغتر بحالة الإنسان الدنيوية، ويظن أن إعطاء الله إياه في الدنيا دليل على محبته له وأنه على الحق ولهذا قال: (فَلَا يَغْرُرْكَ

التسهيل لتأويل التنزيل

تَقْلُبُهُمْ فِي الْيَلَدِ ﴿٤﴾ [غافر: ٤] أي: ترددهم فيها بأنواع التجارات والمكاسب، بل الواجب على العبد، أن يعتبر الناس بالحق، وينظر إلى الحقائق الشرعية ويزن بها الناس، ولا يزن الحق بالناس، كما عليه من لا علم ولا عقل له.



س: **وضح معنى قوله تعالى: (مَا يُجَدِّلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلِبُهُمْ فِي الْيَلَدِ ﴿٤﴾).**

ج: المعنى، والله أعلم، ما يخاصم في آيات الله ويحاول إبطالها ودحضها بالباطل إلا الذين جحدوا وحدانية الله ﷻ، فلا تتأثر بذلك، وقد ترى أنهم يمتعون في الدنيا وينصرفون في البلاد كيف شاءوا وتنقلوا من مكان إلى مكان وهم آمنون مطمئنون فلا تتخدع بهذا، لا يخدعك هذا ولا تظن أنهم على حق، بل متاع قليل ثم ما لهم جهنم وبئس المهاد.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ما يخاصم في حجج الله وأدلتها على وحدانيته بالإنكار لها، إلا الذين جحدوا توحيده.

وقوله: (فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلِبُهُمْ فِي الْيَلَدِ ﴿٤﴾) يقول جل ثناؤه: فلا يخدعك يا محمد تصرفهم في البلاد وبقاؤهم ومكثهم فيها، مع كفرهم بربهم، فتحسب أنهم إنما أمهلوا وتقلبوا، فتصرفوا في البلاد مع كفرهم بالله، ولم يعالجوا بالنقمة والعذاب على كفرهم لأنهم على شيء من الحق فإنما لم نمهلهم لذلك، ولكن ليبلغ الكتاب أجله، ولتحق عليهم كلمة العذاب، عذاب ربك.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال: (فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلِبُهُمْ فِي الْيَلَدِ

﴿٤﴾ أسفارهم فيها ومجيئهم وذهابهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى: ما يدفع الحق ويجادل فيه بعد البيان وظهور البرهان (إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا) أي: الجاحدون لآيات الله وحججه وبراهينه، (فَلَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ) أي: في أموالهم ونعيمها وزهرتها، كما قال: (لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ) ﴿١٩٧﴾ مَتَّعُ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٨﴾ **آل عمران:** ١٩٦-١٩٧، وقال تعالى: ﴿نَمْنَعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ﴿٢٤﴾ **القمان: ٢٤.**

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: (مَا يُجِدِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا) سجل سبحانه على المجادلين في آيات الله بالكفر والمراد الجدال بالباطل من الطعن فيها والقصد إلى إحضار الحق وإطفاء نور الله تعالى وقد دل على ذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ **الحج: ٢٥**، فأما الجدال فيها لإيضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة أهل العلم في استنباط معانيها ورد أهل الزيغ بها وعنها فأعظم جهاد في سبيل الله وقد مضى هذا المعنى في (البقرة) عند قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ أَبْرَهَمَ فِي رَبِّهِ) **البقرة: ٢٥٨** مستوفى (فَلَا يَغُرُّكَ) وقرئ: (فَلَا يَغُرُّكَ) (تَقَلُّبُهُمْ) أي: تصرفهم (فِي الْبِلَادِ) ﴿٤﴾ فإني وإن أهملتهم لا أهملهم بل أعاقبهم قال ابن عباس: يريد تجارتهم من مكة إلى الشام وإلى اليمن وقيل: ﴿يَغُرُّكَ﴾ ما هم فيه من الخير والسعة في الرزق فإنه متاع قليل في الدنيا وقال الزجاج: ﴿فَلَا

التسهيل لتأويل التنزيل

يَعْرُوكَ ﴿١٧٦﴾ سلامتهم بعد كفرهم فإن عاقبتهم الهلاك وقال أبو العالية : آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون في القرآن : قوله : (مَا يُجَدِّلُ فِيَّ إِيْتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا) وقوله : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [البقرة : ١٧٦].

وقال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: ﴿فَلَا يَعْزُرُكَ تَقْلِبُهُمْ فِي الْإِلْدَادِ﴾ ﴿٤﴾.

نهى الله جل وعلا نبيه ﷺ في هذه الآية الكريمة، ليشرع لأمته عن أن يغره تقلب الذين كفروا في بلاد الله، بالتجارات والأرباح، والعافية وسعة الرزق، كما كانت قريش تفيض عليها الأموال من أرباح التجارات، وغيرها من رحلة الشتاء والصيف المذكورة في قوله تعالى: (إِنْ لَفِئَتُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ [قريش: ٢] أي إلى اليمن والشام وهم مع ذلك كفرة فجرة، يكذبون نبي الله ويعادونه.

والمعنى: لا تعتر بانعام الله عليهم تقلبهم في بلاده، في انعام وعافية فإن الله جل وعلا يستدرجهم بذلك الإنعام، فيمتنعهم به قليلاً، ثم يهلكهم فيجعل مصيرهم إلى النار.

وقد أوضح هذا المعنى في آيات من كتابه كقوله تعالى: ﴿لَا يَعْزُرُكَ تَقْلِبُ

الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْإِلْدَادِ﴾ ﴿١٧٦﴾ مَتَّعْ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٧٧﴾ [آل عمران:

١٩٦-١٩٧]. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنُكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا

عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ [

القمان: ٢٣-٢٤]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ

الْمَصِيرُ ﴿١٣٦﴾ [البقرة: ١٢٦]، وقوله تعالى: (قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُنْذِرُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾) إلى غير ذلك من الآيات.

والفاء في قوله: (فَلَا يَغْرُرُكَ)، سببية، أي: لا يمكن تقلبهم في بلاد الله متنعمين بالأموال والأرزاق، سبباً لا غترارك بهم، فتظن بهم ظناً حسناً لأن ذلك التنعم، تنعم استدراج، وهو زائل عن قريب، وهم صائرون إلى الهلاك والعذاب الدائم.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۖ﴾.

ج: يقص الله ﷻ على نبيه محمد ﷺ أخبار الأمم المكذبة من قبله حتى يتصبر ويتسلى ويعلم أنه ليس وحده في هذا الطريق، فأعداء الرسل هم أعداؤه، ثم يبين له أن العاقبة للفقوى، وأن العذاب الشديد على من كذب وتولى ويبين سبحانه أن أهل الباطل بذلوا ما استطاعوه من جهد وجادلوا بالكذب والزور والبهتان لإبطال الحق الذي جاءتهم به رسلهم، بل وسعوا لقتل رسلهم وبذلوا في سبيل ذلك ما استطاعوا، ولكن الله سلم الرسل وعافاهم، وأخذ أهل الباطل أخذاً شديداً.

قال الطبري رحمه الله:

ثم قصَّ على رسول الله ﷺ قصص الأمم المكذبة رسلها، وأخبره أنهم

التسهيل لتأويل التنزيل

كانوا من جدالهم لرسله على مثل الذي عليه قومه الذين أرسل إليهم، وأنه أحل بهم من نعمته عند بلوغهم أمدهم بعد إغذار رسله إليهم وإنذارهم بأسه ما قد ذكر في كتابه، إعلاماً منه بذلك نبيه أن سنته في قومه الذين سلخوا سبيل أولئك في تكذيبه وجداله سنته من إحلال نعمته بهم، وسطوته بهم، فقال تعالى ذكره: كذبت قبل قومك المكذبين لرسالتك إليهم رسولاً المجادلينك بالباطل، قوم نوح والأحزاب من بعدهم، وهم الأمم الذين تحزبوا وتجمعوا على رسلكم بالتكذيب لها، كعاد وثمود، وقوم لوط، وأصحاب مدين وأشباههم.

وقوله: (وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ) يقول تعالى ذكره: وهمت كل أمة من هذه الأمم المكذبة رسلكم، المتحزبة على أنبيائها، برسولهم الذي أرسل إليهم ليأخذوه فيقتلوه.

وقوله: (وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ) يقول: وخصموا رسولهم بالباطل من الخصومة ليبطلوا بجدالهم إياه وخصومتهم له الحق الذي جاءهم به من عند الله، من الدخول في طاعته، والإقرار بتوحيده، والبراءة من عبادة ما سواه، كما يخاصمك كفار قومك يا محمد بالباطل.

وقوله: (فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) يقول تعالى ذكره: فأخذت الدين هموا برسولهم ليأخذوه بالعذاب من عندي، فكيف كان عقابي إياهم، ألم أهلكهم فأجعلهم للخلق عبرة، ولمن بعدهم عظة؟ وأجعل ديارهم ومساكنهم منهم خلاء، وللوحوش ثواء.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

تفسير سورة فصلت

٢١٣

ثم قال تعالى مسلماً لنبيه محمد ﷺ في تكذيب من كذبه من قومه، بأن له أسوة من سلف من الأنبياء؛ فإنه قد كذبتهم أممهم وخالفوهم، وما آمن بهم منهم إلا قليل، فقال: (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴿١﴾ وَهُوَ أَوَّلُ رَسُولٍ بَِعَثَ اللَّهُ يَنْهَى عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، ﴿٢﴾ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴿٣﴾ أَي: مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ، (وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ﴿٤﴾ أَي: حَرَصُوا عَلَى قَتْلِهِ بِكُلِّ مَكْنٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَتَلَ رَسُولَهُ، ﴿٥﴾ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴿٦﴾ أَي: مَاحَلُّوا بِالشَّيْءِ لِيُردُوا الْحَقَّ الْوَاضِحَ الْجَلِيَّ.

وقوله: (فَأَخَذْتَهُمْ) أَي: أَهْلَكْتَهُمْ عَلَى مَا صَنَعُوا مِنْ هَذِهِ الْآثَامِ وَالذُّنُوبِ الْعَظِيمِ، (فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٧﴾) أَي: فَكَيْفَ بَلَغْتَ عَذَابِي لَهُمْ، وَنَكَالِي بِهِمْ؟ قَدْ كَانَ شَدِيدًا مُوجِعًا مُؤْلِمًا.

قال قتادة: كَانَ وَاللَّهِ شَدِيدًا.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ) عَلَى تَأْيِيدِ الْجَمَاعَةِ أَي كَذَّبَتْ الرِّسْلَ (وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ) أَي وَالْأُمَمُ الَّذِينَ تَحَزَّبُوا عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ بِالتَّكْذِيبِ نَحْوَ عَادٍ وَثَمُودٍ فَمِنْ بَعْدِهِمْ (وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ) أَي لِيَحْبِسُوهُ وَيُعَذِّبُوهُ وَقَالَ قَتَادَةُ وَالسَّيِّدِي: لِيَقْتُلُوهُ وَالْأَخْذُ يَرُدُّ بِمَعْنَى الْإِهْلَاكِ كَقَوْلِهِ: (ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٨﴾) **الحج: ٤٤** | والعرب تسمي الأسير الأخيذ؛ لأنه مأسور للقتل وأنشد قطرب قول الشاعر:

فإِذَا تَأْخُذُونِي تَقْتُلُونِي فكم من آخذ يهوى خلودي

وفي وقت أخذهم لرسولهم قولان: أحدهما: عند دعائه لهم الثاني عند

التسهيل لتأويل التنزيل

نزول العذاب بهم (وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ) أي ليزيلوا ومنه مكان دحض أي مزلة والباطل داحض لأنه يزلق ويزل فلا يستقر قال يحيى بن سلام : جادلوا الأنبياء بالشرك ليبطلوا به الإيمان (فَأَخَذْتَهُمْ) أي بالعذاب (فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾) أي: عاقبة الأمم المكذبة أي ليس وجدوه حقًا.



س: **وضح معنى قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا**

أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وكما أن ما قضاه الله وكتبه وقدره على الأمم الكافرة المتقدمة قد تحقق ووقع كما أراد الله وكما كتب فهو لاء الكفار أيضًا سيصيبهم ما أصاب من كانوا قبلهم وسيتحقق فيهم ما قضاه الله عليهم وهو أنهم سيكونون من أصحاب النار.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وكما حق على الأمم التي كذبت رسلها التي قصصت عليك يا محمد قصصها عذابي، وحل بها عقابي بتكذيبهم رسلهم، وجدالهم إياهم بالباطل، ليدحضوا به الحق، كذلك وجبت كلمة ربك على الذين كفروا بالله من قومك، الذين يجادلون في آيات الله. **وقوله: (أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾)** اختلف أهل العربية في موضع قوله:

(أَنَّهُمْ)، فقال بعض نحويي البصرة: معنى ذلك: حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار: أي لأنهم، أو بأنهم، وليس أنهم في موضع مفعول ليس مثل قولك: أحقت أنهم لو كان كذلك كان أيضا

تفسير سورة فصلت

٢١٥

أحققت، لأنهم. وكان غيره يقول: (أَنَّهُمْ) بدل من الكلمة، كأنه أحقت الكلمة حقا أنهم أصحاب النار.

والصواب من القول في ذلك، أن قوله: (أَنَّهُمْ) ترجمة عن الكلمة، بمعنى: وكذلك حق عليهم عذاب النار، الذي وعد الله أهل الكفر به.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كِمْتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾) أي: كما حقت كلمة العذاب على الذين كفروا من الأمم السالفة، كذلك حقت على المكذبين من هؤلاء الذين كذبوك وخالفوك يا محمد بطريق الأولى والأخرى؛ لأن من كذبك فلا وثوق له بتصديق غيرك.



س: اذكر شيئاً من الأحاديث الواردة في شأن حملة العرش.

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه أبو داود^(١) في سننه بسند صحيح عن جابر بن عبد الله

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «أذن لي أن أحدثكم عن ملك من ملائكة الله من

حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام»

وأخرج أبو يعلى^(٢) بإسناد صحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال

رسول الله ﷺ: «أذن لي أن أحدثكم عن ملكٍ قد مرقت رجلاه في الأرض

السابعة، والعرش على منكبه، وهو يقول: سبحانك أين كنت وأين تكون».

وسيأتي - إن شاء الله - في تفسير قوله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنِ

(١) أبو داود رقم (٤٧٢٧).

(٢) أبو يعلى (٦٦١٩).

التسهيل لتأويل التنزيل

٢١٦

قُلُوبِهِمْ... ﴿سبأ: ٢٣﴾، ما أخرجه مسلم في صحيحه ^(١) وفيه: «.. إذا قضى الله أمراً سبج حملة العرش..»، وفيه: «ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم..».



س: كم عام حملة العرش يوم القيامة؟

ج: عددهم ثمانية، قال تعالى: (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ﴿١٧﴾) ^(١) الحاقة: ١٧.



س: وضع معنى قوله تعالى: (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ... ﴿الْفُورُ الْمَكِينُ﴾ ١٠).

ج: الحاصل، والله أعلم، أن الله ﷻ يذكر بحملة العرش وما يقولون بشأن أهل الإيمان فيقول تعالى: (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ) وهم الملائكة الذين يحملون عرش الرحمن، وهم من أفضل الملائكة، والذين من حول العرش كذلك، يصلون الله ويسبحونه بتوفيق الله لهم لذلك ويعانثهم على ذلك، ويصدقون بوحدانيته وقدرته ويستغفرون لأهل الإيمان الذين صدقوا بوحدانية الله وعبدوه ولم يشركوا به شيئاً، يستغفرون لهم إذا صدرت منهم ذنوب أو صدرت منهم معاص فيقولون يا ربنا: ﴿وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً﴾ رحمتك يا رب شملت كل شيء وعلمك يا ربنا أحاط بكل شيء فلا تخفى يا رب عليك خافية، فيا ربنا يا رحيم يا من وسعت رحمته كل شيء

(١) مسلم (٢٢٢٩).

ارحم عبادك المؤمنين هؤلاء فأنت أعلم بهم وبتوحيدهم لك وعبوديتهم لك قد أحطت بهم وبغيرهم علماً، فاغفر هؤلاء الرجاعين إليك بعد زلات القدم منهم، اقبل يا ربنا رجوعهم ولا تَرُدُّهُمْ ولا تطردهم، اغفر يا ربنا هؤلاء الذين سلكوا الطريق إليك وأسلموا الوجوه لك إذا زلت منهم الأقدام أو تعثروا بسيئات ومعاص، فهم أصل توحيذك والإنابة إليك يا ربنا واصرف عنهم عذاب الجحيم.

وتستمر الملائكة (حملة العرش والمحيطون به كذلك) في دعائهم فيقولون:

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿١٠٠﴾ يا ربنا قد وعدتهم جنات عدن بحدائق وبساتين لا يتحولون عنها ولا يزولون، وعدتهم يا رب بإقامة دائمة في فسيح الجنات فأنجز لهم يا رب ما وعدتهم، وأدخل يا ربنا معهم من استقام من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم حتى تفر أعينهم بهذا الاجتماع المبارك في جنات النعيم، يا ربنا إنك أنت العزيز الذي لا يمنع من شيء أراده الحكيم فيما تصنع وفيما تشرع وفي كل شيء، وتستمر الملائكة (حملة العرش والمحيطون به) في الدعاء لأهل الإيمان أن يصرف الله عنهم المعاصي في الدنيا والسيئات والأعمال السيئة التي تسوهم في الآخرة، فيقولون: ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ﴾ ﴿١٠١﴾ في الدنيا (فَقَدْ رَحِمْتَهُ) بإبعاده عن السيئات وإدخاله الجنات، وذلك من أعظم الفوز، ألا وهو أن يرث الشخص جنات النعيم.

قال الطبري رحمه الله تعالى:

التسهيل لتأويل التنزيل

يقول تعالى ذكره: الذين يحملون عرش الله من ملائكته، ومن حول عرشه، ممن يحف به من الملائكة (يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) يقول: يصلون لربهم بحمده وشكره (وَيُؤْمِنُونَ بِهِ) يقول: ويقرون بالله أنه لا إله لهم سواه، ويشهدون بذلك، لا يستكبرون عن عبادته (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا) يقول: ويسألون ربهم أن يغفر - للذين أقروا بمثل إقرارهم من توحيد الله، والبراءة من كل معبود سواه - ذنوبهم، فيعفوها عنهم.

وقوله: (رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا) ، وفي هذا الكلام محذوف، وهو يقولون: ومعنى الكلام ويستغفرون للذين آمنوا يقولون: يا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً ويعني بقوله: (وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا) : وسعت رحمتك وعلمك كل شيء من خلقك، فعلمت كل شيء، فلم يخف عليك شيء، ورحمت خلقك، ووسعتهم برحمتك.

وقوله: (فَاعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ) يقول: فاصفح عن جرم من تاب من الشرك بك من عبادك، فرجع إلى توحيدك، واتبع أمرك ونهيك.

وقوله: (وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) يقول: واصرف عن الذين تابوا من الشرك، واتبعوا سبيلك عذاب النار يوم القيامة.

وقال رحمه الله:

يقول تعالى ذكره مخبراً عن دعاء ملائكته لأهل الإيمان به من عباده، تقول: يا ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ يعني: بساتين إقامة (الَّتِي وَعَدْتَهُمْ) يعني التي وعدت أهل الإنابة إلى طاعتك أن تدخلهموها (وَمَنْ صَلَاحٍ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ) يقول: وأدخل مع هؤلاء الذين تابوا (وَاتَّبَعُوا

تفسير سورة فصلت

٢١٩

سَيِّدَكَ) جنات عدن من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم، فعمل بما يرضيك عنه من الأعمال الصالحة في الدنيا، وذكر أنه يدخل مع الرجل أبواه وولده وزوجته الجنة، وإن لم يكونوا عملوا عمله بفضل رحمة الله إياه.

وقال رحمه الله:

يعني تعالى ذكره بقوله مخبراً عن قيل ملائكته: وقهم: اصرف عنهم سوء عاقبة سيئاتهم التي كانوا أتوها قبل توبتهم وإنابتهم، يقولون: لا يؤاخذهم بذلك، فتعذبهم به (وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ) يقول: ومن تصرف عنه سوء عاقبة سيئاته بذلك يوم القيامة، فقد رحمته، فنجيته من عذابك (وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) لأنه من نجا من النار وأدخل الجنة فقد فاز، وذلك لا شك هو الفوز العظيم.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالى عن الملائكة المقربين من حملة العرش الأربعة، ومن حوله من الكروبيين، بأنهم يسبحون بحمد ربهم، أي: يقولون بين التسبيح الدال على نفي النقائص، والتحميد المقتضي لإثبات طبقات المدح، (وَيُؤْمِنُونَ بِهِ) أي: خاشعون له أذلاء بين يديه، وأنهم (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا) أي: من أهل الأرض ممن آمن بالغيب، فقيض الله سبحانه ملائكته المقربين أن يدعوا للمؤمنين بظهر الغيب، ولما كان هذا من سجايا الملائكة عليهم الصلاة والسلام، كانوا يؤمنون على دعاء المؤمن لأخيه

التسهيل لتأويل التنزيل

بظهر الغيب، كما ثبت في صحيح مسلم ^(١) : «إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك: آمين ولك بمثل».

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

(رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا) أي: إن رحمتك تَسَعُ ذنوبهم وخطاياهم، وعلمك محيط بجميع أعمالهم وحركاتهم وسكناتهم، (فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ) أي: فاصفح عن المسيئين إذا تابوا وأنابوا وأقلعوا عما كانوا فيه، واتبعوا ما أمرتهم به، من فعل الخيرات وترك المنكرات، (وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) أي: وزحزحهم عن عذاب الجحيم، وهو العذاب الموجه الأليم. (رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ) أي: اجمع بينهم وبينهم، لتقرر بذلك أعينهم بالاجتماع في منازل متجاورة، كما قال: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) [الطور: ٢١] أي: ساوينا بين الكل في المنزلة، لتقرر أعينهم، وما نقصنا العالي حتى يساوي الداني، بل رفعنا الناقص في العمل، فساوينا به بكثير العمل، تفضلاً مئاً ومنة.

وقال رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) أي: الذي لا يمانع ولا يغالب، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، الحكيم في أقوالك وأفعالك، من شرعك وقدرك.

(وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ) أي: فعلها أو وبألها ممن وقعت منه، (وَمَنْ تَقِ

(١) مسلم (٢٧٣٢).

السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ أَي: يوم القيامة، (فَقَدْ رَحِمْتَهُ) أَي: لطفت به ونجيت به من العقوبة، ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ١.



قال الله تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَمَّنُوا فَاْلْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُبَيِّنُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ نُخَذِّقُ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مَآ لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ بَطَإٍ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ حَآيِنَهُ الْأَعْيُنُ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ [غافر: ١٠-٢٢]

تفسير سورة فصلت

٢٢٣

س: وضع معنى ما يلي:

(لَمَقَّتْ - فَالْحُكْمُ - يَتَذَكَّرُ - يُنِيبُ - فَادْعُوا اللَّهَ - مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ - رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ - ذُو الْعَرْشِ - الرُّوحَ - يَوْمَ النَّالِقِ - بَرَزُونَ - الْقَهَّارِ - يَوْمَ الْآزِفَةِ - الْحَنَاجِرِ - كَظْمِينَ - لِلظَّالِمِينَ - حَمِيمٍ - شَفِيعٍ - خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ - يَقْضَى بِالْحَقِّ - وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ - كَافٍ - بِالْبَيِّنَاتِ).

ج:

الكلمة	معناها
(لَمَقَّتْ)	لبغض الله لكم - لكرهية الله لكم
(فَالْحُكْمُ)	فالقضاء
(يَتَذَكَّرُ)	يتعظ - يعنبر
(يُنِيبُ)	يرجع إلى طاعة الله
(فَادْعُوا اللَّهَ)	فاعبدوا الله
﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾	مفردين إياه بالعبادة لا تعبدون معه غيره
﴿الَّذِينَ﴾	لا تشركوا في تدينكم وعبادتكم له أحداً
(رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ)	عالي القدر والمقام والمكان
(ذُو الْعَرْشِ)	صاحب العرش، والعرش سرير الملك
(الرُّوحَ)	الوحي - النبوة - القرآن
(يَوْمَ النَّالِقِ)	يوم لقاء الأولين والآخرين يوم لقاء الله ﷻ
(بَرَزُونَ)	ظاهرون
(الْقَهَّارِ)	الذي قهر كل شيء وغلب كل شيء

التسهيل لتأويل التنزيل

٢٢٤

(يَوْمَ الْأَرْفَةِ)	يوم القيامة، وسُمِّيَتْ بذلك لقرب وقوعها
(الْحَنَاجِرِ)	جمع حنجرة
(كَظْمِينَ)	ساكتين - باكين - ممثلين همومًا وغمومًا - كاتمين للقلوب لا يستطيعون ردها إلى مكانها
(الظَّالِمِينَ)	للمشركين
(حَمِيمٍ)	قريب - صديق مقرب
(شَفِيعٍ)	شافع يشفع لهم
(خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ)	ما خانت به الأعين وخالفت أمر ربها - ما يصدر من الأعين من الخيانات والمخالفات
(يَقْضَىٰ بِالْحَقِّ)	يحكم بالعدل
(وَأَنَارًا فِي الْأَرْضِ)	الآثار التي تركوها أي: وتركوا آثارًا في الأرض تدل على قوتهم
(وَأَقِ)	من يقيهم العذاب - شخص يدفع عنهم العذاب
(بِالْبَيِّنَاتِ)	بالدلائل الواضحات



س: **وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُدْعَوْنَ لِمَقْتِ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَّقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ) (١٠).**

ج: **المعنى، والله أعلم، أن أهل الكفر إذا دخلوا النار مقتوا أنفسهم مقتًا شديدًا ولاموها وسبوها فتناديهم الملائكة لمقت الله لكم في الدنيا حينما كنتم تدعون إلى الإيمان فتكفرون أشد من مقتكم الآن لأنفسكم.**

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: إن الذين كفروا بالله ينادون في النار يوم القيامة إذا دخلوها، فمقتوا بدخولهموها أنفسهم حين عاينوا ما أعد الله لهم فيها من أنواع العذاب، فيقال لهم: لمقت الله إياكم أيها القوم في الدنيا، إذ تدعون فيها للإيمان بالله فتكفرون، أكبر من مقتكم اليوم أنفسكم لما حلّ بكم من سخط الله عليكم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال: قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ

لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ (١٠)

يقول: لمقت الله أهل الضلالة حين عرض عليهم الإيمان في الدنيا، فتركوه، وأبوا أن يقبلوا، أكبر مما مقتوا أنفسهم، حين عاينوا عذاب الله يوم القيامة.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى مخبراً عن الكفار: أنهم يُنَادُونَ يوم القيامة وهم في غمرات النيران يتلظون، وذلك عندما باشروا من عذاب الله ما لا قبل لأحد به، فمقتوا عند ذلك أنفسهم وأبغضوها غاية البغض، بسبب ما أسلفوا من الأعمال السيئة، التي كانت سبب دخولهم إلى النار، فأخبرتهم الملائكة عند ذلك إخباراً عالياً، نادوهم نداء بأن مقت الله لهم في الدنيا حين كان يُعرض عليهم الإيمان، فيكفرون، أشد من مقتكم أيها المعذبون أنفسكم اليوم في هذه الحالة.



س: ما وجه دخول اللام في قوله تعالى: (لَمَقَّتْ اللَّهُ أَكْبَرُ...؟)

ج: أجاب الطبري على ذلك بقوله:

واختلف أهل العربية في وجه دخول هذه اللام في قوله: (لَمَقَّتْ اللَّهُ

أَكْبَرُ) فقال بعض أهل العربية من أهل البصرة: هي لام الابتداء، كان ينادون يقال لهم: لأن في النداء قولاً. قال: ومثله في الإعراب يقال: لزيد أفضل من عمرو. وقال بعض نحوي الكوفة: المعنى فيه: ينادون إن مقمت الله إياكم، ولكن اللام تكفي من أن تقول في الكلام: ناديت أن زيدا قائم، قال: ومثله قوله: (ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ فِي بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُئْتَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا فِي سَمَارٍ) [يوسف: ٣٥] اللام بمنزلة «إن» في كل كلام ضارع القول مثل: ينادون ويخبرون، وأشبه ذلك.

وقال آخر غيره منهم: هذه لام اليمين، تدخل مع الحكاية، وما ضارع

الحكاية لتدل على أن ما بعدها انتناف. قال: ولا يجوز في جوابات الإيمان أن تقوم مقام اليمين؛ لأن اللام كانت معها النون أو لم تكن، فالتكفي بها من اليمين؛ لأنها لا تقع إلا معها.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: دخلت لتؤن أن ما بعدها انتناف وأنها لام اليمين.



س: ما المراد بالموتتين والحياتين؟

ج: قال كثيرون من أهل العلم:

إن الموتة الأولى: وهم في أصلاب الآباء.

والحياة الأولى: خروجهم إلى الدنيا.

والموتة الثانية: هي عند وفاتهم في الدنيا.

والحياة الثانية: عند بعثهم يوم القيامة للحساب.

وقد استوفيت الحديث عن هذا في تفسير سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ...﴾.

[البقرة: ٢٨]

هذا، وقد أورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال: قوله: ﴿أَمْتَنَا اثْنَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَيْنِ﴾ قال: كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم، فأحياهم الله في الدنيا، ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة، فهما حياتان وموتتان.

قال الشنقيطي رحمه الله:

التحقيق الذي لا ينبغي العدول عنه، أن المراد بالإماتتين في هذه الآية الكريمة: الإمامة الأولى، التي هي كونهم في بطون أمهاتهم نطقاً وعلقاً، ومضغاً قبل نفخ الروح فيهم، فهم قبل نفخ الروح فيهم لا حياة لهم، فأطلق عليهم بذلك الاعتبار اسم الموت.

والإماتة الثانية: هي إماتتهم وصيرورتهم إلى قبورهم عند انقضاء

آجالهم في دار الدنيا.

وأن المراد بالإحياءتين: الإحياء الأولى في دار الدنيا، والإحياء

الثانية، التي هي البعث من القبور إلى الحساب، والجزاء والخلود الأبدي، الذي لا موت فيه؛ إما في الجنة وإما في النار.

التسهيل لتأويل التنزيل

والدليل من القرآن على أن هذا القول في الآية هو التحقيق، أن الله صرح به واضحاً في قوله جلّ وعلا: (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾) [البقرة: ٢٨]، وبذلك تعلم أن ما سواه من الأقوال الآية لا معول عليه.

والأظهر عندي أن المسوغ الذي سوغ إطلاق اسم الموت على العلقه، والمضغة مثلاً، في بطون الأمهات، أن عين ذلك الشيء، الذي هو نفس العلقه والمضغة، لله أطوار كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَا أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [أنوح: ١٤]، (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ) [الزمر: ٦]، ولما كان ذلك الشيء، تكون فيه الحياة في بعض تلك الأطوار، وفي بعضها لا حياة له، صح إطلاق الموت والحياة عليه من حيث إنه شيء واحد، ترتفع عنه الحياة تارة وتكون فيه أخرى، وقد ذكر له الزمخشري مسوغاً غير هذا، فانظره إن شئت.



س: **وضح معنى قوله تعالى: (قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَنَا اثْنَيْنِ وَالْأُخْرَى فَاعْرِفْنَا**

يَذُنُّونَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾).

ج: هذا نداء وإقرار من أهل الكفر فيقولون: يا ربنا أمتنا مرتين وأحييتنا مرتين فأقررنا لك بأننا أذنبتنا وأجرمنا فهل من طريق للخروج من النار.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

والمقصود من هذا كله: أن الكفار يسألون الرجعة وهم وقوف بين يدي

الله، **وَعَلَيْكُمْ**، في عرصات القيامة، كما قال: (وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا

تفسير سورة فصلت

٢٢٩

رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾

[السجدة: ١٢]، فلا يجابون. ثم إذا رأوا النار وعابنوها ووقفوا عليها، ونظروا إلى ما فيها من العذاب والنكال، سألوا الرجعة أشد مما سألوا أول مرة، فلا يجابون، قال الله تعالى: (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ قَالُوا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ بَلْ بَدَاهُمْ مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا هُمْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾)

[الأنعام: ٢٧-٢٨] فإذا دخلوا النار وذاقوا مسها وحسبها ومقامها وأغلالها، كان سؤالهم للرجعة أشد وأعظم، ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نَعْمَلْكُمْ مَا تَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٢٧﴾﴾ **[الطور: ٢٧]** ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿٢٨﴾﴾

[المؤمنون: ١٠٨، ١٠٩]، وفي هذه الآية الكريمة تلطفوا في السؤال، وقدموا بين يدي كلامهم مقدمة، وهي قولهم: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنَ وَأُحْيَيْنَا أَتَيْنَ﴾ **[غافر: ١١]** أي: قدرتك عظيمة، فإنك أحييتنا بعد ما كنا أمواتا، ثم أمتنا ثم أحييتنا، فأنت قادر على ما تشاء، وقد اعترفنا بذنوبنا، وإننا كنا ظالمين لأنفسنا في الدار الدنيا، ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾ أي فهل أنت مجيبنا إلى أن تعيدنا إلى الدار الدنيا؟ فإنك قادر على ذلك؛ لنعمل غير الذي كنا نعمل، فإن عدنا إلى ما كنا فيه فإننا ظالمون. فأحييوا الأسييل إلى عودكم ومرجعكم إلى الدار الدنيا.

وقال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: (فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾).

قد بين جلّ وعلا في غير هذا الموضع، أن الاعتراف بالذنب في ذلك

التسهيل لتأويل التنزيل

الوقت لا ينفع، كما قال تعالى: (فَاعْتَرِفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾) [الملك: ١١]، وقال تعالى: (رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾) [السجدة: ١٢]، إلى غير ذلك من الآيات.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾)، قد قدمنا إيضاحه بالآيات القرآنية، في سورة الأعراف في الكلام على قوله تعالى: (يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ، يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ) [الأعراف: ٣٥].



س: وضع معنى قوله تعالى: (فَنُفِخَ فِي الصُّورِ) إذا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ، كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١١﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، ذلكم الجواب الذي أجبتكم به، وهو عدم خروجكم من النار وعدم إجابة طلبكم للخروج منها لأنكم كنتم في الدنيا إذا دعيتم إلى توحيد الله ﷻ وعبادته وحده لا شريك له جحدتم ذلك وأبيتم واستكبرتم، وإذا كان هناك شرك صدقتم وإذا دعيتم إلى الشرك بالله أجبتكم فيها هنا الحكم والقضاء لله ﷻ يفصل بينكم وبين من كذبتموه من المرسلين، القضاء لله العلي على كل شيء الكبير الذي يتصاغر دونه كل شيء، ونحن هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

وفي هذا الكلام متروك استغني بدلالة الظاهر من ذكره عليه؛ وهو: فأجيبوا أن لا سبيل إلى ذلك هذا الذي لكم من العذاب أيها الكافرون (بأنه إذا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ، كَفَرْتُمْ)، فأنكرتم أن تكون الألوهة له خالصة، وقلتم:

تفسير سورة فصلت

٢٣١

﴿أَجْعَلِ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [ص: ٥].

(وَإِنْ يُشْرِكْ بِهِ تُؤْمِنُوا) يقول: وإن يجعل الله شريك تصدقوا من جعل ذلك له (فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ) ﴿١٣﴾ يقول: فالقضاء لله العلي على كل شيء، الكبير الذي كل شيء دونه متصاعراً له اليوم.

وقال ابن كثير رحمه الله:

ثم علل المنع من ذلك بأن سجاياكم لا تقبل الحق ولا تقتضيه بل تجحده وتنفيه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾ أي: أنتم هكذا تكونون، وإن رددتم إلى الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ [الأنعام: ٢٨].

وقوله: ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ ﴿١٣﴾ أي: هو الحاكم في خلقه، العادل الذي لا يجور، فيهدي من يشاء، ويصل من يشاء، ويرحم من يشاء، ويعذب من يشاء، لا إله إلا هو.

س: وضح معنى قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ) ﴿١٣﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الله ﷻ هو الذي يرزقكم آياته الدالة على قدرته كالسماوات والأرض وما بينهما وما فيهما آياته في أنفسكم كآياته فيما حولكم وينزل لكم من السماء غيثاً يغيثكم به، ولكن ما يتعظ وما يعتبر إلّا من رجع إلى طاعة الله واستقام فهذا الذي ينتفع بالآيات.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: الذي يرزقكم أيها الناس حججه وأدلته على وحدانيته وربوبيته (وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا) يقول ينزل لكم من أرزاقكم من

التسهيل لتأويل التنزيل

السماء بإدراار الغيث الذي يخرج به أقواتكم من الأرض، وغذاء أنعامكم عليكم (وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾) يقول: وما يتذكر حجج الله التي جعلها أدلة على وحدانيته، فيعتبر بها ويتعظ، ويعلم حقيقة ما تدل عليه، إلا من ينيب، يقول: إلا من يرجع إلى توحيده، ويقبل على طاعته.

وقال ابن حجر رحمه الله:

وقوله: (هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ) أي: يظهر قدرته لخلقه بما يشاهدونه في خلقه العلوي والسفلي من الآيات العظيمة الدالة على كمال خالقها ومبدعها ومنشئها، (وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا) ، وهو المطر الذي يخرج به من الزروع والثمار ما هو مشاهد بالحس، من اختلاف ألوانه وطعومه، وروائح وأشكاله وألوانه، وهو ماء واحد، فبالقدرة العظيمة فاوت بين هذه الأشياء، (وَمَا يَذْكُرُ) أي: يعتبر ويتفكر في هذه الأشياء ويستدل بها على عظمة خالقها (إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾) أي: من هو بصير منيب إلى الله، **وَعَلَيْكُمْ**.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ) أي دلائل توحيده وقدرته (وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا) جمع بين إظهار الآيات وإنزال الرزق لأن بالآيات قوام الأديان وبالرزق قوام الأبدان وهذه الآيات هي السموات والأرضون وما فيهما وما بينهما من الشمس والقمر والنجوم والرياح والسحاب والبحار والأنهار والعيون والجبال والأشجار وآثار قوم هلكوا (وَمَا يَذْكُرُ) أي ما يتعظ بهذه الآيات فيوحد الله (إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾) أي

يرجع إلى طاعة الله.

وقال الشنقيطي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾.

ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة، أنه جلّ وعلا هو الذي يُري خلقه آياته، أي الكونية القدرية ليجعلها علامات لهم على ربوبيته، واستحقاقه العبادة وحده. ومن تلك الآيات: الليل والنهار والشمس والقمر كما قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) الآية [فصلت: ٣٧]. ومنها السماوات والأرضون وما فيهما، والنجوم، والرياح والسحاب، والبحار والأنهار، والعيون والجبال والأشجار وأثار قوم هلكوا، كما قال تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) إلى قوله: (لَا يَتَذَكَّرُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) [البقرة: ١٦٤]. وقال تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ) [آل عمران: ١٩٠]. وقال تعالى: (إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ) [٢] وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ [٤] وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [٥] **[الجاثية: ٣-٥]**، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦].

وما ذكره جلّ وعلا في آية المؤمن هذه، من أنه هو الذي يُري خلقه آياته، بيّنه وزاده إيضاحاً في غير هذا الموضع، فبين أنه يريهم آياته في الآفاق وفي أنفسهم، وأن مراده بذلك البيان أن يتبين لهم أن ما جاء به محمد ﷺ حق، كما قال تعالى: ﴿سَرِّيْهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ

التسهيل لتأويل التنزيل

يَتَّبِعِينَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ (فصلت: ٣٥).

(الْأَفَاقِ) جمع أفق وهو الناحية، والله جل وعلا قد بين من غرائب صنعته، وعجائبه، في نواحي سماواته وأرضه، ما يتبين به لكل عاقل أنه هو الرب المعبود وحده. كما أشرنا إليه، من الشمس والقمر والنجوم والأشجار والجبال، والدواب والبحار، إلى غير ذلك.

وبين أيضًا أن من آياته التي يريهم ولا يمكنهم أن ينكروا شيئًا منها: تسخيرهم لهم الانعام ليركبوها ويأكلوا من لحومها، وينتفعوا بألبانها، وزبدها وسمنها، وأقظها ويلبسوا من جلودها، وأصوافها وأوبارها وأشعارها، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا

وَعَلَى الْفَلَاحِ تَحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُزِيكُمُ آيَاتِهِ فَأَلَى آيَاتِ اللَّهِ تُنَكِّرُونَ ﴿٨١﴾﴾ [غافر: ٧٩-٨١].

وبيّن في بعض المواضع، أن من آياته التي يريها بعض خلقه، معجزات رسله، لأن المعجزات آيات، أي دلالات، وعلامات على صدق الرسل، كما قال تعالى في فرعون: (وَلَقَدْ آرَيْنَهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٥٦﴾) [طه: ٥٦]، وبين في موضع آخر، أن من آياته التي يريها خلقه، عقوبته المكذبين رسله، كما قال تعالى في قصة إهلاكه قوم لوط: (وَلَقَدْ تَرَكُنَا

مِنْهَا آيَةً يَسْتَكْفِرُونَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٥﴾) [العنكبوت: ٣٥].

وقال في عقوبته فرعون وقومه بالطوفان والجراد والقمل... إلخ:

(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ) الآية [الأعراف:



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (١٤).

ج: المعنى، والله أعلم، فاعبدوا الله مخلصين له العبادة، أفردوه وحده بالطاعة والعبادة، وإن كره ذلك فكم أهل الكفر، فلا تلتفتوا إليهم ولا تُبالوا بهم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □ وللمؤمنين به، فاعبدوا الله أيها المؤمنون له، مخلصين له الطاعة غير مشركين به شيئاً مما دونه (وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (١٤) يقول: ولو كره عبادتكم إياه مخلصين له الطاعة الكافرون المشركون في عبادتهم إياه الأوثان والأنداد.



س: وضح معنى الآيات الكريمات: (رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ... إلى قوله: (سَرِيعُ الْحِسَابِ) (١٧).

ج: المعنى، والله أعلم، أن الله ﷻ المستحق لعباده هو رفيع الدرجات قد استوى على عرشه، والعرش فوق السماء السابعة والعرش عرشه، وهو سرير الملك، تبارك ربنا وتعالى وتقدس يُلقي الوحي والنبوة والكتاب على من يشاء من عباده فهو الذي يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس

التسهيل لتأويل التنزيل

يلقي الروح ويرسل الرسل وينزل الكتب مُنذراً مُحذراً من يوم القيامة الذي يلتقي فيه الأولون والآخرون والسابقون واللاحقون وأهل السماء وأهل الأرض، ويلتقي العباد فيه بربهم ﷻ كما قال تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقُوهُ).

[البقرة: ٢٢٣]

وذلك يوم هم بارزون ظاهرون لا تخفى على الله منهم خافية، فحينئذ ينادى لمن الملك اليوم؟ أين الذين كانوا ينازعون في الدنيا ويقولون نحن الملوك ونحن... ونحن، أين هم الآن؟ فالجواب: لله الواحد القهار، لا ملك لأحد سواه وهو الذي قد فهر كل شيء.

فيقال حينئذ اليوم تُجازى كل نفس بعملها ليس هناك بخس وليس هناك ظلم، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١٧) ذو سرعة في محاسبة العباد.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: هو رفيع الدرجات؛ ورفع قوله: (رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ) على الابتداء؛ ولو جاء نصباً على الرد على قوله: فادعوا الله، كان صواباً. (ذُو الْعَرْشِ) يقول: ذو السرير المحيط بما دونه. وقوله: (يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) يقول: ينزل الوحي من أمره على من يشاء من عباده.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى الروح في هذا الموضع، فقال بعضهم: عني به الوحي.

وقال آخرون: عني به القرآن والكتاب.

وقال آخرون: عني به النبوة.

وقوله: (لِنُذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾) يقول: لينذر من يلقي الروح عليه من عباده من أمر الله بإنذاره من خلقه عذاب يوم تلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض، وهو يوم التلاق، وذلك يوم القيامة.

وقوله: (يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ) يعني بقوله: (يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ) يعني المنذرين الذين أرسل الله إليهم رسله لينذروهم وهم ظاهرون يعني للناظرين لا يحول بينهم وبينهم جبل ولا شجر، ولا يستر بعضهم عن بعض ساتر، ولكنهم بقاع صنف لا أمت فيه ولا عوج. و(هُمْ) من قوله: (يَوْمَ هُمْ) في موضع رفع بما بعده، كقول القائل: فعلت ذلك يوم الحجاج أمير.

وقوله: (لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ) أي ولا من أعمالهم التي عملوها في الدنيا ﴿شَيْءٌ﴾.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة، قوله: (يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ) ولكنهم برزوا له يوم القيامة، فلا يستترون بجبل ولا مدر.

وقوله: (لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ) يعني بذلك: يقول الرب: لمن الملك اليوم؛ وترك ذكر «يقول» استغناء بدلالة الكلام عليه. وقوله: (لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾) وقد ذكرنا الرواية الواردة بذلك فيما مضى قبل. ومعنى الكلام:

يقول الرب: لمن السلطان اليوم؟ وذلك يوم القيامة، فيجيب نفسه فيقول: (لِلَّهِ الْوَاحِدِ) الذي لا مثل له ولا شبيهه (الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾) لكل شيء سواه بقدرته، الغالب بعزته.

وقال رحمه الله:

التسهيل لتأويل التنزيل

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قبيله يوم القيامة حين يبعث خلقه من قبورهم لموقف الحساب: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ يقول: اليوم يثاب كل عامل بعمله، فيوفي أجر عمله، فعامل الخير يجزى الخير، وعامل الشر يجزى جزاءه.

وقوله: (لَا تُطْلَمُ الْيَوْمَ) يقول: لا بخس على أحد فيما استوجبه من أجر عمله في الدنيا، فينقص منه إن كان محسناً، ولا حمل على مسيء إثم ذنب لم يعمل فيعاقب عليه (إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) يقول: إن الله ذو سرعة في محاسبة عباده يومئذ على أعمالهم التي عملوها في الدنيا؛ ذكر أن ذلك اليوم لا ينتصف حتى يقبل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، وقد فرغ من حسابهم، والقضاء بينهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى عن عظمته وكبريائه، وارتفاع عرشه العظيم العالي على جميع مخلوقاته كالسقف لها، كما قال تعالى: (مِنْكُمْ أَشِدَّاءُ الْمَعَارِجِ) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) [المعارج: ٣-٤].

وقال أيضاً:

وقوله: ﴿يُلْقَى الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾، كقوله تعالى: ﴿يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (النحل: ٢)، وكقوله: (وَأَنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٨٢) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ [الشعراء: ١٩٢-١٩٤]، ولهذا قال: (لِنُذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ) [غافر: ١٥].

وقال أيضاً:

تفسير سورة فصلت

٢٣٩

وقوله: (يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ) أي: ظاهرون بآدون كلهم، لا شيء يكتهم ولا يظلمهم ولا يسترهم. ولهذا قال: (يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ) أي: الجميع في علمه على السواء.

وقال:

وقوله: (الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) يخبر تعالى عن عدله في حكمه بين خلقه، أنه لا يظلم مثقال ذرة من خير ولا من شر، بل يجزي بالحسنة عشر أمثالها، وبالسئية واحدة؛ ولهذا قال: (لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ) كما ثبت في صحيح مسلم، عن أبي ذر، عن رسول الله ﷺ - فيما يحكي عن ربه ﷻ - أنه قال: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا» - إلى أن قال: - يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

وقوله: (إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) أي: يحاسب الخلائق كلهم، كما يحاسب نفساً واحدة، كما قال: (مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَافَّةً وَاحِدَةً) [لقمان: ٢٨]، وقال: (وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كُلِّجٍ بِالْبَصْرِ) [القمر: ٥٠].



س: **وضح معنى قوله تعالى:** (وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمٍ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ۝١٩... الآيات.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وحذر يا رسول الله أهل الشرك من يوم القيامة ذلكم اليوم القريب الذي فيه تنزع القلوب من أماكنها وتنتقل من

التسهيل لتأويل التنزيل

شدة الهلع والخوف فتصل إلى الحناجر فتتعلق القلوب بالحناجر وتنشب بها فلا يستطيعون ردها إلى أماكنها فيكظمونها رغماً عنهم لا تخرج فيستريحون بالموت ولا ترجع إلى أماكنها وهم سكوت ممثلين همّاً وغماً، فحينئذٍ ليس لأهل الشرك قريب يدافع عنهم ولا صديق قريب، ولا شافع يشفع فيهم ثم العود إلى التحذير وبيان مراقبة الله ﷻ للعباد وإطلاعه على ما في نفوسهم، فيقول تعالى: (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ) يعلم ما صدر من الأعين من الخيانات والجهالات والمخالفات لأمر الله ويعلم لحظ البصر- وإن أخفاه الشخص عن الناس وكذا يعلم ربي سبحانه وتعالى ما أضمرته الصدور وما حوته بداخلها ثم هو يحكم بالعدل أما الأوثان والأصنام فلا تقضي- بشيء ولا تحكم بشيء، فهي لا تسمع ولا تفعل ولا تعي، لكن ربنا ﷻ هو السميع لأقوال خلقه ولحركاتهم وسكناتهم البصير بهم أينما يكون وحيثما يكونون، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه: وأنذر يا محمد مشركي قومك يوم الآزفة، يعنى يوم القيامة، أن يوافوا الله فيه بأعمالهم الخبيثة، فيستحقوا من الله عقابه الأليم.

وقوله: (إِذْ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمٍ) يقول تعالى ذكره: إذ قلوب العباد

من مخافة عقاب الله لدى حناجرهم قد شخصت من صدورهم، فتعلقت بحلوقهم كاظميها، يرومون ردها إلى مواضعها من صدورهم فلا ترجع، ولا هي تخرج من أبدانهم فيموتوا.

تفسير سورة فصلت

٢٤١

وأورد بسند حسن عن قتادة: (إِذَا الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ ﴿٢٤١﴾ قال: قد وقعت القلوب في الحناجر من المخافة، فلا هي تخرج ولا تعود إلى أمكنتها.

وقال رحمه الله:

وقوله: (مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ) يقول جل ثناؤه: ما للكافرين بالله يومئذ من حميم يحم لهم، فيدفع عنهم عظيم ما نزل بهم من عذاب الله، ولا شفيع يشفع لهم عند ربهم فيطاع فيما شفيع، ويجاب فيما سأل.

وقوله: (يُطَاعُ ﴿٢٤٢﴾) صلة للشفيع. ومعنى الكلام: ما للظالمين من حميم ولا شفيع إذا شفيع أطيع فيما شفيع، فأجيب وقبلت شفاعته له.

وقوله: (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ) يقول جل ذكره مخبرا عن صفة نفسه: يعلم ربكم ما خانت أعين عبادهم، وما أخفته صدورهم، يعني: وما أضمرته قلوبهم؛ يقول: لا يخفى عليه شيء من أمورهم حتى ما يحدث به نفسه، ويضمرة قلبه إذا نظر ماذا يريد بنظره، وما يلوي ذلك بقلبه (وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ) يقول: والله تعالى ذكره يقضي في الذي خائنه الأعين بنظرها، وأخفته الصدور عند نظر العيون بالحق، فيجري الذين أغمضوا أبصارهم، وصرفوها عن محارمه حذار الموقف بين يديه، ومسألته عنه بالحسنى، والذين رددوا النظر، وعزمت قلوبهم على مواجهة الفواحش إذا قدرت، جزاءها.

وقوله: (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا) يقول: والأوثان والآلهة التي يعبدونها هؤلاء المشركون بالله من قومك من دونه لا يقضون بشيء، لأنها لا تعلم شيئا، ولا تقدر على شيء، يقول جل ثناؤه لهم: فاعبدوا الذي

التسهيل لتأويل التنزيل

يقدر على كل شيء، ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم، فيجزى محسنكم بالإحسان، والمسيء بالإساءة، لا ما لا يقدر على شيء ولا يعلم شيئاً، فيعرف المحسن من المسيء، فيثيب المحسن، ويعاقب المسيء.

وقوله: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾) يقول: إن الله هو السميع لما تنطق به ألسنتكم أيها الناس، البصير بما تفعلون من الأفعال، محيط بكل ذلك محصيه عليكم، ليجازي جميعكم جزاءه يوم الجزاء.

واختلفت القراء في قراءة قوله: (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ بالتاء على وجه الخطاب. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة بالياء على وجه الخبر. والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يوم الآزفة هو: اسم من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك لاقترابها، كما قال تعالى: (أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾) [الحج: ٥٧، ٥٨]، وقال: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ [القمر: ١]، وقال: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١]، وقال: (أَنَّهُ أَمْرٌ يُؤْتِيهِ اللَّهُ أَهْلَهُ فَأَتَّعَجِلُوهُ) [النحل: ١]، وقال: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّتَتْ وَجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الملك: ٢٧].

وقوله: (إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ) قال قتادة: وقفت القلوب في الحناجر من الخوف، فلا تخرج ولا تعود إلى أماكنها. وكذا قال عكرمة، والسدي، وغير واحد.

تفسير سورة فصلت

٢٤٣

ومعنى: (كَظْمِينَ) أي: ساكتين، لا يتكلم أحد إلا بإذنه (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا) ﴿٣٨﴾ [النبأ: ٣٨].

وقال ابن جرير: (كَظْمِينَ) أي: باكين.

وقوله: (مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ) ﴿١٨﴾ أي: ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم، ولا شفيع يشفع فيهم، بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير.

وقوله: (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) ﴿١٩﴾ يخبر تعالى عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء، جليلها وحقيقها، صغيرها وكبيرها، دقيقها ولطيفها؛ ليحذر الناس علمه فيهم، فيسبحوا من الله حقَّ الحياء، ويتقوه حق تقواه، ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه، فإنه تعالى يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة، ويعلم ما تنطوي عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر.

وقوله: (وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ) أي: يحكم بالعدل.

وقوله: (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ) أي: من الأصنام والأوثان والأنداد، (لَا يَقْضُونَ شَيْئًا) أي: لا يملكون شيئاً ولا يحكمون بشيء (إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) ﴿٢٠﴾ أي: سميع لأقوال خلقه، بصير بهم، فيهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وهو الحاكم العادل في جميع ذلك.

وقال الشنقيطي رحمه الله:

(وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ) أي: يوم القيامة القريب مجيؤها ووقوعها. وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من اقتراب قيام الساعة، جاء موضحاً في

التسهيل لتأويل التنزيل

آيات أخر كقوله تعالى: (أَزَفَتِ الْأَزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾) [النجم: ٥٧-٥٨]، وقوله تعالى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ [القمر: ١] الآية . وقوله تعالى: (أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ) [الأنبياء: ١] الآية . وقوله تعالى في الأحزاب: (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿١٣﴾) [الأحزاب: ٦٣]، وقوله تعالى في الشورى: (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾) [الشورى: ١٧] .

وقال الشافعي رحمه الله:

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ) الظاهر فيه ، أن إذ ، بدل من يوم ، وعليه فهو من قبيل المفعول به ، لا المفعول فيه ، كما بينا آنفاً .

والقلوب : جمع قلب وهو معروف .

ولدى : ظرف بمعنى عند .

والحناجر : جمع حنجرة وهي معروفة .

ومعنى كون القلوب لدى الحناجر ، في ذلك الوقت فيه لعلماء التفسير وجهان معروفان .

أحدهما : ما قاله قتادة وغيره ، من أن قلوبهم يومئذ ، ترتفع من أماكنها في الصدور حتى تلتصق بالحلوق ، فتكون لدى الحناجر ، فلا هي تخرج من أفواههم فيموتوا ، ولا هي ترجع إلى أماكنها في الصدور فيتنفسوا . وهذا القول هو ظاهر القرآن .

والوجه الثاني : هو أن المراد بكون القلوب ، لدى الحناجر ، بيان شدة الهول ، وفظاعة الأمر ، وعليه فالآية كقوله تعالى: (وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ

تفسير سورة فصلت

٢٤٥

وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ [الأحزاب : ١٠-١١] وهو زلزال خوف وفزع لا زلزال حركة الأرض .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : (كَظَمِينَ) معناه مكروبين ممتلئين خوفاً وغماً وحرزاً .

والكظم : تردد الخوف والغيط والحزن في القلب حتى يمتلئ منه ، ويضيق به .

والعرب تقول : كظمت السماء إذا ملأته ماء ، وشددته عليه .

وقول بعضهم كاظمين ، أي ساكتين ، لا ينافي ما ذكرنا ، لأن الخوف والغم الذي ملأ قلوبهم يمنعهم من الكلام ، فلا يقدرّون عليه ، ومن إطلاق الكظم على السكوت قول العجاج :

وربّ أسراب حجيح كظّم **عمن الأنعام رفث التكلم**

ويرجع إلى هذا القول معنى قول من قال : كاظمين أي لا يتكلمون إلا من أذن له الله ، وقال الصواب ، كما قال تعالى : (لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا) ﴿٣٨﴾ [النبا : ٣٨] .

وقوله : (كَظَمِينَ) حال من أصحاب القلوب على المعنى . والتقدير إن القلوب لدى الحناجر أي إذ قلوبهم لدى حناجرهم في حال كونهم كاظمين ، أي ممتلئين خوفاً وغماً وحرزاً ، ولا يبعد أن يكون حالاً من نفس القلوب ، لأنها وصفت بالكظم الذي هو صفة أصحابها .

ونظير ذلك في القرآن : (إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كُوكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي

التسهيل لتأويل التنزيل

سَجِدِينَ ﴿٤﴾ [يوسف : ٤] فإنه أطلق في هذه الآية الكريمة ، على الكواكب والشمس والقمر صفة العقلاء في قوله تعالى : (رَأَيْتُهُمْ لِي سَجِدِينَ ﴿٤﴾) والمسوغ لذلك وصفه الكواكب والشمس والقمر بصفة العقلاء التي هي السجود .

ونظير ذلك أيضاً قوله تعالى : (إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَفُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾) [الشعراء : ٤] وقوله تعالى : (قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾) .

[فصلت : ١١] .



س: وضح معنى قوله تعالى : (وَلَوْ لَمْ يَمْسِرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَذَابُهُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ أَسْوَاقُ لَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٣٢﴾) .

ج: المعنى، والله أعلم، أو لم يسر هؤلاء المكذبون بالبعث الجاحدون وحادانية الله، المشركون به، الطغاة الظالمون، أو لم يسيروا في الأرض وينظروا في جوانبها ونواحيها وطرقها فهناك الظالمون الذين أبادهم الله ﷻ وأفناهم كانوا أشد قوة من هؤلاء وأكثر جمعاً وقد تركوا من الأثان ما يدل على قوتهم وشدة بطشهم، ولكن أين هم الآن، لقد أبادهم الله وأفناهم وأخذهم أخذة عزيز مقتدر فلم يكن لهم واق يقيهم عذاب الله، ولا مدافع يدفعه عنهم، وذلك الأخذ سببه تكذيبهم لرسول الله الكرام وجحدهم لوحدانية الله، كان ذلك سبباً في أخذهم والانتقام منهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: أو لم يسر هؤلاء المقيمون على شركهم بالله، المكذبون رسوله من قريش، في البلاد، (فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ) يقول: فيروا ما الذي كان خاتمة أمم الذين كانوا من قبلهم من الأمم الذين سلكوا سبيلهم، في الكفر بالله، وتكذيب رسله (كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً) يقول: كانت تلك الأمم الذين كانوا من قبلهم أشد منهم بطشا، وأبقى في الأرض أثارا، فلم تنفعهم شدة قواهم، وعظم أجسامهم، إذ جاءهم أمر الله، وأخذهم بما أجزموا من معاصيه، واكتسبوا من الآثام، ولكنه أباد جمعهم، وصارت مساكنهم خاوية منهم بما ظلموا (وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاكِ) ﴿٢١﴾ يقول: وما كان لهم من عذاب الله إذ جاءهم، من واد يقيهم، فيدفعه عنهم.

وقال رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعلت بهؤلاء الأمم الذين من قبل مشركي قريش من إهلاكناهم بذنوبهم فعلنا بهم بأنهم كانت تأتيهم رسل الله إليهم بالبينات، يعني بالآيات الدالات على حقيقة ما تدعوهم إليه من توحيد الله، والانتهاى إلى طاعته ﴿فَكَفَرُوا﴾ يقول: فأنكروا رسالتها، وجحدوا نوحيد الله، وأبوا أن يطيعوا الله ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ يقول: فأخذهم الله بعذابه فأهلكهم (إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ) ﴿٢٢﴾ يقول: إن الله ذو قوة لا يقهره شيء، ولا يغلبه، ولا يعجزه شيء أراده، شديد عقابه من عاقب من خلقه، وهذا وعيد من الله مشركي قريش، المكذبين رسوله محمداً ﷺ يقول لهم جل ثناؤه:

التسهيل لتأويل التنزيل

٢٤٨

فاحذروا أيها القوم أن تسلكوا سبيلهم في تكذيب محمد □ وجحود توحيد الله، ومخالفة أمره ونهيه فيسلك بكم في تعجيل الهلاك لكم مسلكهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى: أو لم يسر هؤلاء المكذبون برسالتك يا محمد ﴿فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَذَابُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: من الأمم المكذبة بالأنبياء، ما حل بهم من العذاب والنكال مع أنهم كانوا أشد من هؤلاء قوة (وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ) أي: أثروا في الأرض من البنايات والمعالم والديارات، ما لا يقدر عليه هؤلاء، كما قال: (وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِيْمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ) [الأحقاف: ٢٦]، وقال (وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا) [الروم: ٩] أي: ومع هذه القوة العظيمة والبأس الشديد، أخذهم الله بذنوبهم، وهي كفرهم برسلمهم، (وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ) (٢٣) أي: وما دفع عنهم عذاب الله أحد، ولا رده عنهم راد، ولا وقاهم واق.

ثم ذكر علة أخذه إياهم وذنوبهم التي ارتكبوها واحترموها، فقال: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) أي: بالدلائل الواضحات والبراهين القاطعات، (فَكَفَرُوا) أي: مع هذا البيان والبرهان كفروا وجحدوا، (فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ) أي: أهلكهم ودمر عليهم وللكاشرين أمثالها، (لَهُمْ

قال الله تعالى:

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمَزَنَ وَقَدَرُونَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ

الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ، وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾
وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ
فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ
بِیَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ
رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ
كَذِبُهُ، وَإِنْ يَكُ حَقًّا قَدْ صَبَّبَكُمْ بِغَضَبِ اللَّهِ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَقَوْمُ لَكُمْ أَلَيْسَ الْيَوْمَ ظَهْرُ يَوْمٍ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَضُرُّنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ
جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا لَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي
ءَامَنَ يَقَوْمُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ
وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلَمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ يَقَوْمُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّادِ ﴿٣٢﴾
يَوْمَ تُؤْلَوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ
جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ
قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ
﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كُفْرًا مِمَّا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ
الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَكُنْ ابْنِ
لِي صَرَخًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوْكِنٍ وَفِي
لَأُطْنُهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ
فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ [غافر: ٢٣-٣٧]

س: اذكر معنى ما يلي:

(بَيَّيْنَتَنَا - وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ - وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ - كَيْدُ الْكَافِرِينَ - فِي ضَلَالٍ - ذُرُوعٍ - عُدَّتْ - مُسْرِفٌ - ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ - بَأْسَ اللَّهِ - وَمَا آهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ - يَوْمَ الْأَحْزَابِ - دَابٍ - يَوْمَ النَّادِ - تُولُونَ مُدْبِرِينَ - عَاصِمٌ - هَلَاكَ - مُرْتَابٌ - صَرَحًا - الْأَسْبَدِ - أَتَجِدُ السَّمَاءَ تَبَابٍ).

ج:

الكلمة	معناها
(بَيَّيْنَتَنَا)	بحججنا الدالة على وحدانيتنا والدالة على نبوة موسى (عليه السلام)
﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾	حجة مظهر لمن تأملها أن موسى (عليه السلام) صادق
﴿وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾	استبقوا نساءهم للخدمة والامتهان اتركوا نساءهم أحياء
﴿كَيْدُ﴾	مكر الكافرين - احتيال الكافرين - تدبير الكافرين
(فِي ضَلَالٍ)	ضياع - زهاب - بطلان - عدم فائدة - حيود عن طريق الحق
(ذُرُوعٍ)	دعوني - اتركوني
(عُدَّتْ)	لجأت إلى ربي مستنجداً به
(مُسْرِفٌ)	مشارك - مكث من الكبائر والقتل والإجرام
﴿ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ﴾	ممكنون في الأرض، لكم الغلبة فيها على غيركم

تفسير سورة فصلت

٢٥١

عذاب الله	(بِأَسِنَّةِ اللَّهِ)
ما أرشدكم إلا إلى طريق الحق	(وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ)
اليوم الذي أحلَّ الله فيه بالأحزاب عذابه ونقمته والأحزاب هم الذين تخربوا على أنبيائهم لحربهم	(يَوْمَ الْأَحْزَابِ)
عادة - شأن	(دَابِّ)
يوم القيامة - ينادي الخلق بعضهم بعضاً	(يَوْمَ النَّادِ)
تنصرفون هاربين	(تَوَلُّونَ مُدْبِرِينَ)
مانع يمنعكم من العذاب	(عَاصِيٍّ)
مات	(هَلَاكَ)
شاك	(مُرْتَابٍ)
قصرًا عاليًا شاهقًا منيعًا	(صَرْحًا)
الطرق - الأبواب - ما يتوصل به إلى الأشياء	(الْأَسْبَبِ)
الطرق المؤدية إلى السموات وأبوابها	(أَسْبَبِ السَّمَوَاتِ)
خسار - بطلان - ضلال	(تَبَابٍ)



س: ما وجه التذكير بقصة موسى عليه السلام؟

ج: ذلك، والله أعلم، لتصبير النبي ﷺ ولمواساته على ما يلقي من أذى

قومه.

س: ما هذه الآيات التي ذكرها الله في قوله: (أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا

وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ)؟

ج: هي الآيات التسع التي ذكرها الله ﷻ إذ قال: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَعَلَ فِيهَا إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾) [الإسراء: ١٠١]، وأعظمها العصى التي تتحول بإذن الله إلى حية تسعى، واليد التي تخرج بيضاء من غير سوء.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ

﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَقُرُونٍ فَقَالُوا سَدَجٌ كَذَابٌ ﴿٢٤﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، ولقد أرسلنا يا رسولنا من قبلك موسى ﷺ إلى فرعون الذي ادعى الربوبية والإلهية فقال: (مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي) [الفصل: ٣٨]، وقال: (أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى) ﴿٢٤﴾ [النازل على: ١١٤]، وكذا إلى وزيره وزير سوء هامن، وإلى الذي أطغاه ماله وجاهه وهو قارون الإسرائيلي الطاغي الباغي.

أرسلنا موسى ﷺ لهؤلاء بحججنا الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا، والدالة على صدق رسولنا فما كان منهم، وبعد رؤيتهم للآيات إلا تكذيب موسى ﷺ، ووصفه بالسحر، وهكذا شأن الأمم السابقة لأمتك يا رسول الله، قال تعالى: (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنٌّ ﴿٥٢﴾)

[الذاريات: ٥٢]، فلا تجزع يا رسول الله ولا تحزن إذا وصفك قومك بالسحر، فقد وُصف من قبلك بمثل هذا.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره مسلماً نبيه محمد ﷺ، عما كان يلقي من مشركي قومه من فريش، بإعلامه ما لقي موسى ممن أرسل إليه من التكذيب، ومخيرته أنه عليه عليهم، وجاعل دائرة السوء على من حاده وشاقه، كسنته في موسى صلوات الله عليه، إذ أعلاه، وأهلك عدوه فرعون (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا): يعني بأدلته ﴿وَسُلْطَنٍ مُّبِينٍ﴾ (٢٣).

وقال:

يقول: وحججه المبينة لمن يراها أنها حجة محققة ما يدعو إليه موسى (إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَنَ وَقَتْرُونَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ) ﴿٢٤﴾ يقول: فقال هؤلاء الذين أرسل إليهم موسى لموسى: هو ساحر يسحر العصا، فيرى الناظر إليها أنها حية تسعى.

(كَذَّابٌ) ﴿٢٤﴾ يقول: يكذب على الله، ويزعم أنه أرسله إلى الناس رسولا.

وقال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى مسلماً لنبيه ﷺ في تكذيب من كذبه من قومه، ومبشراً له بأن العقوبة والنصرة له في الدنيا والآخرة، كما جرى لموسى بن عمران، فإن الله تعالى أرسله بالآيات البينات، والدلائل الواضحات؛ ولهذا قال: (بِآيَاتِنَا وَسُلْطَنٍ مُّبِينٍ) ﴿٢٣﴾ والسلطان هو: الحجة والبرهان.

التسهيل لتأويل التنزيل

(إِلَى فِرْعَوْنَ) هو: ملك القبط بالديار المصرية، (وَهَمَنْ) وهو: وزيره في مملكته (وَقُرُونًا) وكان أكثر الناس في زمانه مالا وتجارة (فَقَالُوا سَحَرُّ كَذَّابٍ ﴿٢٤﴾) أي: كذبه وجعلوه ساحرًا مُمَخَّرَقًا مموهاً كذاباً في أن الله أرسله. وهذه كقولـه: (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنٌّ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْنَهُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ ﴿٥٣﴾) [الذاريات ٥٢-٥٣].



س: كيف وجه الأمر بقتل الأبناء لما جاءهم موسى بالبينات، ومعلوم أن قتل الأبناء كان قديماً في العالم الذي ولد فيه موسى ﷺ؟
 ج: قال بعض أهل العلم: إن الأمر بقتل الأبناء تكرر وشُدَّ فيه مرة ثانية بعد مجيء موسى ﷺ ولذا قال قوم موسى لموسى ﷺ: (أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا...) ﴿١٢٤﴾ [الأعراف: ١٢٤] والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: (فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾).
 ج: المعنى، والله أعلم، وما كان جواب فرعون على ما دعاه إليه موسى ﷺ إلا التكذيب والتهديد بالقتل بل الأمر بقتل الأبناء الصغار واستبقاء النساء لإذلال أهاليهن وأزواجهن ولاستخدامهن وامتهانهن، ولكن كل ذلك لن يكن بضائر أهل الإيمان شيئاً فمكر الكافرين في ضياع وذهاب وبطلان، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

قال الطبري رحمه الله:

تفسير سورة فصلت

٢٥٥

يقول تعالى ذكره: فلما جاء موسى هؤلاء الذين أرسله الله إليهم بالحق من عندنا، وذلك مجيئه إياهم بتوحيد الله، والعمل بطاعته، مع إقامة الحجة عليهم، بأن الله ابتعثه إليهم بالدعاء إلى ذلك (قَالُوا أَقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ مَعَهُ) من بني إسرائيل (وَأَسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ) يقول: واستبقوا نساءهم للخدمة.

فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ، وَأَسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾ ، وإنما كان قتل فرعون الولدان من بني إسرائيل حذار المولود الذي كان أخبر أنه على رأسه ذهاب ملكه، وهلاك قومه، وذلك كان فيما يقال قبل أن يبعث الله موسى نبياً؟ قيل: إن هذا الأمر بقتل أبناء الذين آمنوا مع موسى، واستحياء نساءهم، كان أمراً من فرعون وملئه من بعد الأمر الأول الذي كان من فرعون قبل مولد موسى.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال: (فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ، وَأَسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ) قال: هذا قتل غير القتل الأول الذي كان.

وقال رحمه الله:

وقوله: (وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) يقول: وما احتيال أهل الكفر لأهل الإيمان بالله إلا في جور عن سبيل الحق، وصد عن قصد المحجة، وأخذ على غير هدى.

وقال ابن كثير رحمه الله:

التسهيل لتأويل التنزيل

(فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا) أي: بالبرهان القاطع الدال على أن الله تعالى أرسله إليهم، (قَالُوا أَقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ، وَاسْتَخْرِجُوا نِسَاءَهُمْ) وهذا أمر ثان من فرعون بقتل ذكور بني إسرائيل. أما الأول: فكان لأجل الاحتراز من وجود موسى، أو لإذلال هذا الشعب وتقليل عددهم، أو لمجموع الأمرين. وأما الأمر الثاني: فللعلة الثانية، لإهانة هذا الشعب، ولكي يتشاعروا بموسى، **عليه السلام**؛ ولهذا قالوا: (أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلَفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٣٨))

[الأعراف: ١٢٩]

قال قتادة: هذا أمر بعد أمر.

قال الله تعالى: (وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٢٥)) أي: وما مكرهم وقصدهم الذي هو تقليل عدد بني إسرائيل لئلا يُصمروا عليهم، إلا ذاهب وهالك في ضلال.

وقال القرطبي **رحمته الله**:

قوله تعالى: (فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا) وهي المعجزة الظاهرة (قَالُوا أَقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ) قال قتادة: هذا قتل غير القتل الأول لأن فرعون كان قد أمسك عن قتل الولدان بعد ولادة موسى فلما بعث الله موسى أعاد القتل على بني إسرائيل عقوبة لهم فيمتنع الإنسان من الإيمان ولئلا يكثر جمعهم فيعتضدوا بالذكور من أولادهم، فشغلهم الله عن ذلك بما أنزل عليهم من أنواع العذاب كالضفادع والقمل والدم والطوفان إلى

تفسير سورة فصلت

٢٥٧

أن خرجوا من مصر فأغرقهم الله وهذا معنى قوله تعالى : (وَمَا كَيْدُ
الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾) أي في حسران وهلاك وإن الناس لا يمتنعون
من الإيمان وإن فعل بهم مثل هذا فكيد يذهب باطلاً.



س: بل إنهم قتل: (وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾) ولم يقل: (وما
كيدهم إلا في ضلال)؟

ج: ذلك، والله أعلم، للخروج بالقصة إلى حيز العموم؛ لبيان أن كل
كافر كيد في ضلال.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي «تيسير الكريم الرحمن»:

(وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾)، حيث لم يتم لهم ما قصدوا، بل
أصابهم ضد ما قصدوا، أهلكهم الله وأبادهم عن آخرهم.

قاعدة

وتدبر هذه النكتة التي يكثر مرورها بكتاب الله تعالى: إذا كان السياق
في قصة معينة أو على شيء معين، وأراد الله أن يحكم على ذلك المعين
بحكم، لا يختص به ذكر الحكم، وعلقه على الوصف العام ليكون أعم،
وتتدرج فيه الصورة التي سيق الكلام لأجلها، وليندفع الإيهام بالخصائص
الحكم بذلك المعين.

فلهذا لم يقل: (وما كيدهم إلا في ضلال). بل قال: (وَمَا كَيْدُ

الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾).



التسهيل لتأويل التنزيل

س: في قوله: (يُظْهِرُ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٣٦﴾) قراءتان. وضحهما.

ج: الأولى: (يُظْهِرُ) بضم الياء، وبفتح الدال في قوله: (الْفَسَادَ ﴿٣٦﴾).

والثانية: (يظهر) بفتح الياء، وضم الدال من قوله: (الفساد).



س: بوضع معنى قوله: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٣٦﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، أن فرعون يقول لقومه لما جاءه موسى بالبينات، وعجز فرعون عن مواجهة الحجة بالحجة، فما كان منه إلا أن لوح بالبطش والقتل وهدد به فقال لقومه: دعوني أقتل موسى وليدع ربه أن ينجيه مني، دعوني أقتله فإنني أخاف أن ينشر الفساد في الأرض، وهكذا ادعى عدو الله فرعون على نبي الله وكليمه موسى أنه يريد أن يظهر الفساد في الأرض، فغريب ومستكر صنيع أهل الإجماع.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ) لملئه: (ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ) الذي يزعم أنه أرسله إلينا فيمنعه منا (إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ) يقول: إني أخاف أن يغير دينكم الذي أنتم عليه بسحره.

واختلفت القراء في قراءة قوله: (أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٣٦﴾) فقرأ

ذلك عامة قراء المدينة والشام والبصرة: ﴿وَأَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ بغير ألف، وكذلك ذلك في مصاحف أهل المدينة، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة: (أَوْ أَنْ) بالألف، وكذلك ذلك في مصاحفهم ﴿يُظْهِرَ فِي

الأرض ﴿بفتح الياء ورفع الفساد.﴾

والصواب من القول في ذلك عندنا: أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار متقاربتا المعنى، وذلك أن الفساد إذا أظهره مظهرًا كان ظاهرًا، وإذا ظهر فبإظهار مظهره يظهر، ففي القراءة بإحدى القراءتين في ذلك دليل واضح على صحة معنى الأخرى. وأما القراءة في: (أَوْ أَنَّ يُظْهَر) بالألف وبجذفها، فإنهما أيضا متقاربتا المعنى، وذلك أن الشيء إذا بدل إلى خلافه فلا شك أن خلافه المبدل إليه الأول هو الظاهر دون المبدل، فسواء عطف على خبره عن خوفه من موسى أن يبدل دينهم بالواو أو بأو، لأن تبديل دينهم كان عنده هو ظهور الفساد، وظهور الفساد كان عنده هو تبديل الدين.

فتأويل الكلام إذن: إني أخاف من موسى أن يغير دينكم الذي أنتم عليه، أو أن يظهر في أرضكم أرض مصر، عبادة ربه الذي يدعوكم إلى عبادته، وذلك كان عنده هو الفساد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

وأورد بإسناد حسن: عن قتادة: (إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ): أي أمركم الذي أنتم عليه (أَوْ أَنَّ يُظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ) ﴿٢٦﴾ والفساد عنده أن يعمل بطاعة الله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ وهذا عزم من فرعون - لعنه الله - على قتل موسى، **رَحِمَهُ اللهُ**، أي: قال لقومه: دعوني حتى أقتل لكم

التسهيل لتأويل التنزيل

٢٦٠

هذا، (وَلْيَدْعُ رَبَّهُ) أي: لا أبالي منه. وهذا في غاية الجحد والتجهرم والعناد.

وقوله -قبحه الله-: (إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ) (٢٦) يعني: موسى، يخشى فرعون أن يُضِلَّ موسى الناس ويغير رسومهم وعاداتهم. وهذا كما يقال في المثل: «صار فرعون مُدْكَرًا» يعني: واعظًا يشفق على الناس من موسى، عليه السلام.

وقرأ الأكثرون: ﴿أَنْ يَبْدِلَ دِينَكُمْ وَأَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ وقرأ آخرون: ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (٢٦) وقرأ بعضهم: ﴿يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ بالضم.

وقال موسى: (إِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ) أي: لما بلغه قول فرعون: (ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى) قال موسى: استجرت بالله وعُدْتُ به من شره وشر أمثاله؛ ولهذا قال: (إِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ) أيها المخاطبون (مَنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ) أي: عن الحق، مجرم، (لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ).

س: وضع معنى قول موسى عليه السلام: (إِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ) (٢٧).

ج: هذا، والله أعلم، معناه أن موسى لما هُدد من فرعون، ما كان أمامه إلا أن يلجأ إلى الله مستنجداً به مستجيراً به فقال: إني استجرت بربي ﷻ فهو ربي وربكم من كل متعال على الحق مستكبر في الأرض لا يقر ببعث ولا يؤمن بثواب ولا عقاب.

قال الطبري رحمته الله:

تفسير سورة فصلت

٢٦١

يقول تعالى ذكره: وقال موسى لفرعون وملئه: إني استجرت أيها القوم بربي وربكم، من كل متكبر عليه، تكبر عن توحيده، والإقرار بألوهيته وطاعته، لا يؤمن بيوم يحاسب الله فيه خلقه، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بما أساء؛ وإنما خص موسى صلوات الله وسلامه عليه، الاستعانة بالله ممن لا يؤمن بيوم الحساب، لأن من لم يؤمن بيوم الحساب مصدقاً، لم يكن للثواب على الإحسان راجياً، ولا للعقاب على الإساءة، وقبيح ما يأتي من الأفعال خائفاً، ولذلك كان استجارته من هذا الصنف من الناس خاصة.

وقال الشنقيطي رحمه الله:

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن نبيه موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، عاذ بربه، أي اعتصم به، وتمنع من كل متكبر، أي متصف بالكبر، لا يؤمن بيوم الحساب، أي لا يصدق بالبعث والجزاء. وسبب عياد موسى بربه المذكور، أن فرعون قال لقومه: (ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ) (٢٦).

[الحاشية: ٢٦]

فعياد موسى المذكور بالله إنما هو في الحقيقة من فرعون، وإن كانت العبارة أعم من خصوص فرعون، لأن فرعون لا شك أنه متكبر، لا يؤمن بيوم الحساب فهو داخل في الكلام دخولاً أولياً، وهو المقصود بالكلام.



التسهيل لتأويل التنزيل

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) (٢٨).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وقال رجل مؤمن من قوم فرعون، واحدٌ يُسرُّ بالإيمان ويخفيه ولا يظهره: كيف تقتلون رجلاً لا لشيء إلا لكونه قال ربي الله، وقد جاءكم بالحجج الدالة على صدقه في دعواه النبوة وإن يك كاذباً فإثمه على نفسه، وإن يك صادقاً ما حذروا فقد يحل بكم ما وعدكم به وما دعا عليكم به إن الله لا يوفق للطاعة من هو مشرك مسرف على نفسه بالكبائر والشركيات وظلم العباد.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ) اختلف أهل العلم في هذا الرجل المؤمن، فقال بعضهم: كان من قوم فرعون، غير أنه كان قد آمن بموسى، وكان يسر إيمانه من فرعون وقومه خوفاً على نفسه.

وقوله: (أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ) يقول: أتقتلون أيها القوم موسى لأن يقول ربي الله؟ فإن في موضع نصب لما وصفت. (وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) يقول: وقد جاءكم بالآيات الواضحات على حقيقة ما يقول من ذلك. وتلك البينات من الآيات يده وعصاه.

وقوله: (وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ) يقول: وإن يك موسى كاذباً في قوله: إن الله أرسله إليكم يأمركم بعبادته، وترك دينكم الذي أنتم عليه، فإنما

تفسير سورة فصلت

٢٦٣

إثم كذبه عليه دونكم (وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ) يقول: وإن يك صادقاً في قبيله ذلك، أصابكم الذي وعدكم من العقوبة على مقامكم على الدين الذي أنتم عليه مقيمون، فلا حاجة بكم إلى قتله، فتزيدوا ربكم بذلك إلى سخطه عليكم بكفركم سخطاً (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) (٢٨) يقول: إن الله لا يوفق للحق من هو متعد إلى فعل ما ليس له فعله، كذاب عليه يكذب، ويقول عليه الباطل وغير الحق.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى الإسراف الذي ذكره المؤمن في هذا الموضع، فقال بعضهم: عني به الشرك، وأراد: إن الله لا يهدي من هو مشرك به مفتر عليه.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) (٢٨): مشرك أسرف على نفسه بالشرك.

وقال آخرون: عني به من هو قتال سفك الدماء بغير حق.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن هذا المؤمن أنه عم بقوله: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) (٢٨) والشرك من الإسراف، وسفك الدم بغير حق من الإسراف، وقد كان مجتمعا في فرعون الأمران كلاهما، فالحق أن يعم ذلك كما أخبر جل ثناؤه عن قائله، أنه عم القول بذلك.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: (وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ) أي: كيف تقتلون رجلاً لكونه يقول: ﴿رَبِّيَ اللَّهُ﴾، وقد أقام لكم البرهان على صدق ما جاءكم به من

التسهيل لتأويل التنزيل

الحق؟ ثم تنزل معهم في المخاطبة فقال: (وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ، وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ) يعني: إذا لم يظهر لكم صحة ما جاءكم به، فمن العقل والرأي التام والحزم أن تتركوه ونفسه، فلا تؤذوه، فإن يك كاذبا فإن الله سيجازيه على كذبه بالعقوبة في الدنيا والآخرة، وإن يك صادقا وقد آذيتموه يصيبكم بعض الذي يعدكم، فإنه يتوعدكم إن خالفتموه بعذاب في الدنيا والآخرة، فمن الجائز عندكم أن يكون صادقا، فينبغي على هذا ألا تتعرضوا له، بل اتركوه وقومه يدعوهم ويتبعونه.

وهكذا أخبر الله عن موسى، عليه السلام، أنه طلب من فرعون وقومه المودعة في قوله: (وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۚ أَنْ أَذْأُوا إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِيَّيَ لَكُمْ رَسُولُ أَمِينٌ ۚ ۝١٧ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ ۚ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ ۝١٨ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ۝١٩ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِالْفَاعِلِ فَاغْلُظْ ۝٢٠) **[السجدة: ١٧- ٢١]**، وهكذا قال رسول الله ﷺ لقريش أن يتركوه يدعوا إلى الله عباد الله، ولا يمسوه بسوء، وأن يصلوا ما بينه وبينهم من القرابة في ترك أذيتهم، قال الله تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ) **[الشورى: ٢٣]** أي: إلا أن لا تؤذوني فيما بيني وبينكم من القرابة، فلا تؤذوني وتتركوا بيني وبين الناس. وعلى هذا وقعت الهدنة يوم الحديبية، وكان فتحا مبينا.

وقوله: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) ٢٨ أي: لو كان هذا الذي يزعم أن الله أرسله إليكم كاذبا كما تزعمون، لكان أمره بينا، يظهر لكل أحد في أقواله وأفعاله، كانت تكون في غاية الاختلاف والاضطراب، وهذا نرى أمره سديدا ومنهجه مستقيما، ولو كان من المسرفين الكذابين

لما هداه الله، وأرشده إلى ما ترون من انتظام أمره وفعله .

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي «تيسير الكريم الرحمن»:

فقال ذلك الرجل المؤمن الموفق العاقل الحازم، مقبلاً فعل قومه، وشناعة ما عزموا عليه: (أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ) أي: كيف تستحلون قتله، وهذا ذنبه وجرمه، أنه يقول ربي الله، ولم يكن أيضاً قولاً مجرداً عن البيّنات، ولهذا قال: (وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ) لأن بيّنته اشتهرت عندهم اشتهاراً علم به الصغير والكبير، أي: فهذا لا يوجب قتله. فهلا أبطلتم قبل ذلك ما جاء به من الحق، وقابلتم البرهان ببرهان يرده، ثم بعد ذلك نظرتم هل يحل قتله إذا ظهرت عليه بالحجة أم لا؟ فأما وقد ظهرت حجته، واستعلى برهانه، فبينكم وبين حل قتله مفاوز تنقطع بها أعناق المطي.

ثم قال لهم مقالة عقلية تقنع كل عاقل، بأي حالة قدرت، فقال: (وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ، وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ).

أي: موسى بين أمرين، إما كاذب في دعواه أو صادق فيها، فإن كان كاذباً فكذبه عليه، وضرره مختص به، وليس عليكم في ذلك ضرر حيث امتنعتم من إجابته وتصديقه، وإن كان صادقاً وقد جاءكم بالبيّنات، وأخبركم أنكم إن لم تجيبوه عذبكم الله عذاباً في الدنيا وعذاباً في الآخرة، فإنه لا بد أن يصيبكم بعض الذي يعدكم، وهو عذاب الدنيا.

وهذا من حسن عقله، ولطف دفعه عن موسى، حيث أتى بهذا الجواب الذي لا تشويش فيه عليهم، وجعل الأمر دائراً بين تينك الحالتين، وعلى

كل تقدير فقتله سفه وجهل منكم.

ثم انتقل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه وغفر له ورحمه - إلى أمر أعلى من ذلك، وبيان قرب موسى من الحق فقال: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ) أي: متجاوز الحد بترك الحق والإقبال على الباطل. (كَذَّابٌ ۝٢٨) بنسبته ما أسرف فيه إلى الله، فهذا لا يهديه الله إلى طريق الصواب، لا في مدلوله ولا في دليله، ولا يوفق للصراط المستقيم، أي: وقد رأيت ما دعا موسى إليه من الحق، وما هداه الله إلى بيانه من البراهين العقلية والخوارق السماوية، فالذي اهتدى هذا الهدى لا يمكن أن يكون مسرفاً ولا كاذباً، وهذا دليل على كمال علمه وعقله ومعرفته بربه.

ثم حذر قومه ونصحهم، وخوفهم عذاب الآخرة، ونهاهم عن الاغترار بالملك الظاهر، فقال: (يَقَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ) أي: في الدنيا (ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ) على رعيتكم، تنفذون فيهم ما شئتم من التدبير، فهبكم حصل لكم ذلك وتم، ولن يتم، (فَمَنْ يَضُرُّنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ) أي: عذابه (إِنْ جَاءَنَا)؟ وهذا من حسن دعوته، حيث جعل الأمر مشتركاً بينه وبينهم بقوله: (فَمَنْ يَضُرُّنَا) وقوله: (إِنْ جَاءَنَا) ليفهمهم أنه ينصح لهم كما ينصح لنفسه، ويرضى لهم ما يرضى لنفسه.



س: ذكر بعض العلماء منقبة للصدیق ابي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند تفسير الآية

الكریمة: (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ...) وضحها.

ج: هذه المنقبة حاصلها أن أبا بكر جهر بإيمانه ودافع عن رسوله ﷺ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

ولا أعظم من هذه الكلمة عند فرعون وهي قوله: (أَنقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ؟) ^(١) اللهم إلا ما رواه البخاري ^(١) في صحيحه حيث قال: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعي، حدثني يحيى بن أبي كثير، حدثني محمد بن إبراهيم التيمي، حدثني عروة بن الزبير قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد شيء مما صنعه المشركون برسول الله ﷺ قال: بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عُقبة بن أبي مُعَيْطٍ فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فأخذ بمنكبه ودفع عن النبي ﷺ ثم قال: (أَنقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ).



س: لماذا قَدَّمَ مؤمن آل فرعون احتمالية الكذب على احتمالية الصدق في قوله: ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ، وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ مِنْهُ أَلَذَىٰ يَعِدُّكُمْ؟﴾ وهل لذلك نظائر في القرآن؟

ج: ذلك، والله أعلم، لدفع الشبهة والريبة حتى لا يظن أنه ممالي ومجامل لموسى ﷺ.

ومن نظائر هذا في القرآن: (إِنْ كَانَتْ قِيمَتُهُ، قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ

(١) البخاري (٤٨١٥).

التسهيل لتأويل التنزيل

٢٦٨

الْكَذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ فَمِصُّهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبْتَ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ [يوسف: ٢٦-٢٧].

قوله: (وَإِنَّا أَوْلِيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٦﴾)، والله أعلم.



س: وضح معنى قوله: (يَقَوْمُ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَضُرُّنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، أن مؤمن آل فرعون استمر مُذكرًا بقوله: يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض، أي أنكم ممكنون في الأرض غالبون لمن ناوأكم وخالفكم فمن الذي يمنعنا من عذاب الله إذا حلَّ بنا ونزل، قال فرعون: ما أريكم إلا ما أرى أي أن الذي أشير به عليكم هو رأيي ونصيحتي لكم وما أريد لكم إلا النصح والهداية لطريق الحق.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل المؤمن من آل فرعون لهم عون

وملئه: (يَقَوْمُ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ) يعني: أرض مصر، يقول: لكم السلطان اليوم والملك ظاهرين أنتم على بني إسرائيل في أرض مصر (فَمَنْ يَضُرُّنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ) يقول: فمن يدفع عنا بأس الله وسطوته إن حلَّ بنا، وعقوبته إن جاءتنا، قال فرعون (مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ) يقول: قال فرعون مجيباً لهذا المؤمن الناهي عن قتل موسى: ما أريكم أيها الناس من الرأي

تفسير سورة فصلت

٢٦٩

والنصيحة إلا ما أرى لنفسي ولكم صلاحا وصوابا، وما أهديكم إلا سبيل الرشاد. يقول: وما أدعوكم إلا إلى طريق الحق والصواب في أمر موسى وقتله، فإنكم إن لم تقتلوه بدل دينكم، وأظهر في أرضكم الفساد.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

أي: قد أنعم الله عليكم بهذا الملك والظهور في الأرض بالكلمة النافذة والجاه العريض، فراعوا هذه النعمة بشكر الله، وتصديق رسوله □، واحذروا نقمة الله إن كذبتم رسوله، (فَمَنْ يَصُرْنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا) أي: لا تغني عنكم هذه الجنود وهذه العساكر، ولا ترد عنا شيئا من بأس الله إن أرادنا بسوء.

(قَالَ فِرْعَوْنُ) لقومه، رادًا على ما أشار به هذا الرجل الصالح البار الراشد الذي كان أحق بالملك من فرعون: (مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى) أي: ما أقول لكم وأشير عليكم إلا ما أراه لنفسي وقد كذب فرعون، فإنه كان يتحقق صدق موسى فيما جاءه به من الرسالة ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ لَآئِلَآءِ رَبِّكَ أَلَسَمَوْتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وقال الله تعالى: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا) [النمل: ١٤].

فقوله: (مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى) كذب فيه وافتري، وخان الله ورسوله ورعيته، فغشهم وما نصحهم وكذا قوله: (وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ) أي: وما أدعوكم إلا إلى طريق الحق والصدق والرشد وقد كذب أيضا في ذلك، وإن كان قومه قد أطاعوه واتبعوه، قال الله تعالى: (فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿١٧﴾) [هود: ٩٧]، وقال تعالى: (وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى

التسهيل لتأويل التنزيل

٢٧٠

(٧٩) [طه: ٧٩]، وفي الحديث ^(١): «ما من إمام يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام».

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

(قَالَ فِرْعَوْنُ) معارضا له في ذلك، ومغررا لقومه أن يتبعوا موسى: (مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ) (٢٩) وصدق في قوله: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾ ولكن ما الذي رأى؟

رأى أن يستخف قومه فيتابعوه، ليقم بهم رياسته، ولم ير الحق معه، بل رأى الحق مع موسى، وجحد به مستيقنا له.

وكذب في قوله: (وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ) (٢٩) فإن هذا قلب للحق، فلو أمرهم باتباعه اتباعا مجردا على كفره وضلاله، لكان الشر أهون، ولكنه أمرهم باتباعه، وزعم أن في اتباعه اتباع الحق وفي اتباع الحق، اتباع الضلال.



س: وضح معنى قوله: (يَقَوْمُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ) (٢٥) **مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ) (٢٦).**

ج: هذا، والله أعلم، تحذير من مؤمن آل فرعون لقومه، يقول لهم: ويا قوم إنني أخلف عليكم إن كذبتُم موسى ﷺ ورددتم ما جاءكم به وتوعدتموه، أن يحل بكم ما حل بالأمم من قبلكم بالأحزاب الذين تحزبوا

(١) البخاري (٧١٥٠)، ومسلم (١٤٢).

على أنبيائهم وكفروا بربهم فانتقم الله منهم، أخاف عليكم أن يحل بكم مثل ما حلَّ بهم، مثل الصنيع الذي حل بقوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لما كذبوا أنبياءهم، فربنا سبحانه وتعالى لا يريد ظلمكم بل يرسل إليكم رسلاً يحذرونكم وينذرونكم ما قبلوا ما جاءكم به موسى عليه السلام.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وقال المؤمن من آل فرعون وملئه: يا قوم إني أخاف عليكم بقتلكم موسى إن قتلتموه مثل يوم الأحزاب الذين تحزبوا على رسل الله نوح وهود وصالح، فأهلكهم الله بتجرئهم عليه، فيهلككم كما أهلكهم.

وقوله: (مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ) يقول: يفعل ذلك بكم فيهلككم مثل سنته في قوم نوح وعاد وثمود وفعله بهم.

وقوله: (وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ) يعني قوم إبراهيم، وقوم لوط، وهم أيضا من الأحزاب.

وقوله: (وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه: وما أهلك الله هذه الأحزاب من هذه الأمم ظلما منه لهم بغير جرم اجترموه بينهم وبينه، لأنه لا يريد ظلم عباده، ولا يشاؤه، ولكنه أهلكهم بإجرامهم وكفرهم به، وخلافهم أمره.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

هذا إخبار من الله، ﷻ، عن هذا الرجل الصالح، مؤمن آل فرعون: أنه حذر قومه بأس الله في الدنيا والآخرة فقال: (يَقَوْمُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ

التسهيل لتأويل التنزيل

يَوْمَ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ أي: الذين كذبوا رسل الله في قديم الدهر، كقوم نوح وعاد وثمود، والذين من بعدهم من الأمم المكذبة، كيف حل بهم بأس الله، وما رده عنهم راد، ولا صده عنهم صاد.

(وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾) أي: إنما أهلكهم الله بذنوبهم، وتكذيبهم رسله، ومخالفتهم أمره. فأنفذ فيهم قدره.



س: ما المراد بيوم التناد؟ ولماذا أطلق عليه يوم التناد؟

ج: المراد بيوم التناد يوم القيامة، وأطلق عليه يوم التناد لنداء الناس بعضهم بعضاً فأحياناً ينادي أهل النار أهل الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أم مما رزقكم الله، وأحياناً ينادي أهل الجنة أهل النار (أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا) [الأعراف: ٤٠]، وأحياناً ينادي الشخص أباه أو أخاه أو قريبه أو حميمه، إلى غير ذلك من صور النداءات التي تحمل توبيخاً أحياناً وتحمل تبكيتاً أحياناً آخر وتحمل لوماً واستغاثة إلى غير ذلك، والله أعلم.



س: وضح معنى قوله: (وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُؤَلَّفُ الْأُمَمُ لِسِينَ مَالِكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِّنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُّضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ لَهُ مِّنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾).

ج: هذا، والله أعلم، تحذير من مؤمن آل فرعون لقومه فيقول لهم مُحذراً يا قوم إني أخاف عليكم عذاب يوم التناد - يوم القيامة - يوم ينادي بعض الخلق بعضاً مستغيثين صارخين، أو معاتبين لائمين أو غير ذلك من أسباب النداءات.

تفسير سورة فصلت

٢٧٣

يوم تولون مدبرين، يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه، يوم تولون هاربين تظنون أنكم ستجدون ملجأً أو محيصاً أو مهرباً فلا ملجأ ولا محيص ولا مهرب.

ومن يصرف الله عن طريق الهداية في الدنيا، فلن تجد له هادياً يهديه.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَا زَلَّمْتُمْ فِي شَيْءٍ مِمَّا جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٍ) (٣٦).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن مؤمن آل فرعون يعظم قومه ويذكر قومه فيقول لهم: ولقد جاء يوسف عليه السلام إلى أسلافكم وأجدادكم يا أهل مصر، جاءهم بالحجج الواضحات الدالة على نبوته وصدقه والتي فيها تأويله للرؤيا، والتي فيها ما ذكره في السجن إذ قال: (لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُزْقَانِ بِهِ إِلَّا نَبَأُ ثَكْمَاتٍ أُولَئِكَ قَبْلُ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ..) [يوسف: ٣٧]، إلى غير ذلك من الآيات، فما زال أسلافكم في تشكك من أمره ومن أمر رسالته حتى إذا مات يوسف عليه السلام قالوا: لن يبعث الله رسولاً، واطمئنوا إلى دوام مملكتهم فقد كانوا يتوقعون زوال مملكتهم على يد يوسف عليه السلام، قال تعالى: (كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ) (٣٦) أي: كذلك، وكما أضل الله أولئك، فيضل من هو مكثر من المعاصي والشرك والكبائر متشكك في أمر الله ووحدانيته.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ولقد جاءكم يوسف بن يعقوب يا قوم من قبل موسى

التسهيل لتأويل التنزيل

بالواضحات من حجج الله.

وقوله: (فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُمْ بِهِ) يقول: فلم تزالوا مرتابين فيما أتاكم به يوسف من عند ربكم غير موقني القلوب بحقيقته (حَقٌّ إِذَا هَلَكَ) يقول: حتى إذا مات يوسف قلتم أيها القوم: لن يبعث الله من بعد يوسف إليكم رسولاً بالدعاء إلى الحق (كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ) ﴿٣٤﴾ يقول: هكذا يصد الله عن إصابة الحق وقصد السبيل من هو كافر به مرتاب، شك في حقيقة أخبار رسله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: (وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ) يعني: أهل مصر، قد بعث الله فيهم رسولاً من قبل موسى، وهو يوسف، عَلَيْهِ السَّلَام، كان عزيز أهل مصر، وكان رسولاً يدعو إلى الله أمته القبط، فما أطاعوه تلك الطاعة إلا لمجرد الوزارة والجاه الدنيوي؛ ولهذا قال: (فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُمْ بِهِ) حَقٌّ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا (أَي: يَبْعَثُ فَمَنْ قُلْتُمْ طَامِعِينَ: لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا) وذلك لكفرهم وتكذيبهم (كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ) ﴿٣٤﴾ أي: كحالكم هذا يكون حال من يضلله الله لإسرافه في أفعاله وارتباب قلبه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

(فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُمْ بِهِ) أي أسلافكم كانوا في شك (حَقٌّ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا) أي من يدعي الرسالة (كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ) أي مثل ذلك الضلال (يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ) مشرك (مُرْتَابٌ) ﴿٣٤﴾

شاك في وحدانية الله تعالى.



س: وضح معنى قوله تعالى: (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كَبْرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ۝٣٥)

ج: المعنى: والله تعالى أعلم، هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله، يخاصمون فيها ويدفعونها بالباطل وبدون حجة أتتهم من عند الله، كبر جدالهم مقتًا عند الله، استجلب لهم جدالهم هذا بالباطل المقت الشديد والبغض الشديد والذم الشديد من ربهم ﷻ، وكذا استجلب لهم مقت أهل الإيمان، فهكذا يختم الله على قلب كل متكبر على عبادة الله ﷻ، متعاضم على اتباع الحق، مسرف على نفسه بقتل العباد وأذاهم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل المؤمن من آله فرعون: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ﴾ فقلوه: ﴿الَّذِينَ﴾ مردود على (مَنْ) في قوله: (مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ) . وتأويل الكلام: كذلك يضل الله أهل الإسراف والغلو في ضلالهم بكفرهم بالله، واجترائهم على معاصيه، المرتابين في أخبار رسله، الذين يخاصمون في حججه التي أتتهم بها رسله ليدحضوها بالباطل من الحجج (بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ) يقول: بغير حجة أتتهم من عند ربهم يدفعون بها حقيقة الحجج التي أتتهم بها الرسل؛ و (الَّذِينَ) إذا كان معنى الكلام ما ذكرنا في موضع نصب ردًا على (مَنْ).

التسهيل لتأويل التنزيل

وقوله: (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ) يقول: كبر ذلك الجدل الذي يجادلونه في آيات الله مقتًا عند الله، (وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا) بالله؛ وإنما نصب قوله: (مَقْتًا) لما في قوله: (كَبُرَ) من ضمير الجدل، وهو نظير قوله: (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) [الكهف: ٥]، فنصب كلمة من نصبها، لأنه جعل في قوله: (كَبُرَتْ) ضمير قولهم: ﴿أَتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [الكهف: ٤] وأما من لم يضمّر ذلك فإنه رفع الكلمة.

وقوله: (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ) يقول: كما طبع الله على قلوب المسرفين الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان آتاهم، كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر على الله أن يوحدّه، ويصدق رسله. جبار: يعني متعظم عن اتباع الحق.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال: (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ) أي: الذين يدفعون الحق بالباطل، ويجادلون الحجج بغير دليل وحجة معهم من الله، فإن الله يمقت على ذلك أشد المقت؛ ولهذا قال تعالى: (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا) أي: والمؤمنون أيضا يُبغضون من تكون هذه صفته، فإن من كانت هذه صفته، يطبع الله على قلبه، فلا يعرف بعد ذلك معروفاً، ولا ينكر منكراً؛ ولهذا قال: (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ) أي: على اتباع الحق ﴿جَبَّارٌ﴾.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَخًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنُ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، أن فرعون، وبعد استماعه إلى موعظة المؤمن من آلهم أدى في غيّه وضلاله فقال لوزيره وزير السوء هامان: ﴿يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَخًا﴾ قصرًا عاليًا شاهقًا لعلّي أسلك الأسباب والطرق التي توصلني إلى إله موسى الذي يدعي أنه له إله مع ظني القطعي وتأكدي أن موسى كاذب في دعواه، وهكذا زين الشيطان لفرعون عمله وحسنه في عينه وقلبه وصرف عن طريق الحق إلى طريق الباطل، ودبر وتآمر وما تدبيره وما كيده إلا في ضياع وخسران.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وقال فرعون لما وعظه المؤمن من آلهم بما وعظه به وزجره عن قتل موسى نبي الله وحذره من بأس الله على قيله: أقتله ما حذره لوزيره وزير السوء هامان: (يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَخًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾) يعني بناء. وقد بينا معنى الصرح فيما مضى بشواهد بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

(لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾) اختلف أهل التأويل في معنى الأسباب في هذا

الموضع، فقال بعضهم: أسباب السموات: طرقها.

وقال آخرون: عني بأسباب السموات: أبواب السموات.

وقال آخرون: بل عني به منزل السماء.

التسهيل لتأويل التنزيل

فأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يقال: معناه لعلني أبلغ من أسباب السموات أسبابا أتسبب بها إلى رؤية إله موسى، طرقًا كانت تلك الأسباب منها، أو أبوابا، أو منازل، أو غير ذلك.

وقوله: (فَاطْلِعْ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ) اختلف القراء في قراءة قوله: (فَاطْلِعْ) فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار: ﴿فَاطْلِعْ﴾ بضم العين: ردًا على قوله: (أَبْلُغْ الْأَسْبَابَ) ﴿وَعَطَّقَا بِهِ عَلَيْهِ﴾ وذكر عن حميد الأعرج أنه قرأ (فَاطْلِعْ) نصبًا جوابًا لـ (لعلني)، وقد ذكر الفراء أن بعض العرب أنشده:

عَلَّ صُرُوفَ الدَّهْرِ أَوْ دُولَاتِهَا

يُلَنِّدُ الْكَمَّةَ مِنْ لَمَاتِهَا

فَتُسْتَرِيحُ الشَّمْسُ مِنْ زَفَرَاتِهَا

فنصب فتستريح على أنها جواب للعل.

والقراءة التي لا أستجيز غيرها الرفع في ذلك، لإجماع الحجة من القراء عليه.

وقوله: (وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا) يقول: وإني لأظن موسى كاذبًا فيما يقول ويدّعي من أن له في السماء ربا أرسله إلينا.

وقوله: (وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ) يقول الله تعالى ذكره: وهكذا زين الله لفرعون حين عتا عليه وتمرد، قبيح عمله، حتى سولت له نفسه بلوغ أسباب السموات، ليطلع إلى إله موسى.

وقوله: (وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ) اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة: (وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ) بضم الصاد، على وجه ما لم يسم

فاعله.

وقوله: (وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾) يقول تعالى ذكره: وما احتيال فرعون الذي يحتال للاطلاع إلى إله موسى، إلا في خسار وذهاب مال وغبن، لأنه ذهبت نفقته التي أنفقها على الصرح باطلاً ولم ينل بما أنفق شيئاً مما أراد، فذلك هو الخسار والتباب.

وقال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى مخبراً عن فرعون، وعتوه، وتمرده، وافترائه في تكذيبه موسى، عليه السلام، أنه أمر وزيره هامان أن يبني له صرحاً، وهو: القصر العالي المنيف الشاهق. وكان الخافض من الأجر المضروب من الطين المشوي، كما قال: (فَأَوْقَدَ لِي يَهْمَنَّ عَلَى الْطِينِ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا) [القصص: ٣٨]، ولهذا قال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون البناء بالأجر، وأن يجعلوه في قبورهم. رواه ابن أبي حاتم.

وقوله: (لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ) قال سعيد بن جبير، وأبو صالح: أبواب السموات. وقيل: طرق السموات (فَأَطَاعَ إِلَهُهُ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا)، وهذا من كفره وتمرده، أنه كذب موسى في أن الله، سبحانه، أرسله إليه، قال الله تعالى: (وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ) أي: بصنيعه هذا الذي أراد أن يوهم به الرعية أنه يعمل شيئاً يتوصل به إلى تكذيب موسى، عليه السلام؛ ولهذا قال تعالى: (وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾) قال ابن عباس، ومجاهد: يعني إلا في خسار.

وقال القرطبي رحمه الله في قوله: (وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا) أي وإني لأظن

التسهيل لتأويل التنزيل

٢٨٠

موسى كاذبا في ادعائه إلهًا دوني وإنما أفعل ما أفعل لإزاحة العلة وهذا
يوجب شك فرعون في أمر الله وقيل : إن الظن بمعنى اليقين أي وأنا
أتيقن أنه كاذب وإنما أقول ما أقوله لإزالة الشبهة عن لا أتيقن ما أتيقنه.



mostafaaladwy.com

قال الله تعالى:

﴿ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَتَقَوَّمُ أَتَّبِعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ۝٣٨ ﴾
يَتَقَوَّمُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا مَتَّعُ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ۝٣٩
مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ
أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٤٠
﴿ وَيَتَقَوَّمُ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجَوُّعِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ۝٤١ ﴾
تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى
الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ۝٤٢ لَا حَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي
الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَلَّكَ الْمُضْرِبِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۝٤٣
فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوضُ أُمُورِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ
بِالْعِبَادِ ۝٤٤ فَوَقَّعَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَكَرُوا وَكَرَّوْا فَخَقَّ قَوْلُ فِرْعَوْنَ سُوءُ
الْعَذَابِ ۝٤٥ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا
ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ۝٤٦ ﴾

[غافر: ٣٨-٤٦]

س: وضع معنى ما يلي:

(أَهْدِكُمْ - سَبِيلَ الرَّشَادِ - مَتَّعُ - دَارُ الْقَرَارِ - لَا جَرَمَ - لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ -
مَرَدَّنَا - الْمُسْرِفِينَ - وَأَفْوِضْ أَمْرِي - فَوْقَهُ - سَيِّئَاتِ مَا مَكُرُوا - وَحَاقَ - عُذْوًا -
وَعَشِيًّا).

ج:

الكلمة	معناها
(أَهْدِكُمْ)	أرشدكم - أدلكم
(سَبِيلَ الرَّشَادِ)	طريق الحق والصواب - الطريق الموصل إلى
(مَتَّعُ)	ما يستمتع به ثم يزول
(دَارُ الْقَرَارِ)	دار الاستقرار وعدم الزوال وعدم الانتقال
(لَا جَرَمَ)	حقًا
(لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ)	ليس له دعاء - لا يدعو
(مَرَدَّنَا)	مرجعنا - حسابنا يوم الحساب
(الْمُسْرِفِينَ)	المشركون - مرتكبو الكبائر والمعاصي والآثام
(وَأَفْوِضْ أَمْرِي)	أسلم أمري - أستعين بالله على أموري
(فَوْقَهُ)	فصرف عنه
(سَيِّئَاتِ مَا مَكُرُوا)	المكر السيئ الذي مكروهه - التدبير السيئ الذي
(عُذْوًا)	دبروه له
(وَحَاقَ)	حلّ - نزل
(عُذْوًا)	صباحًا



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَنْقُومُ آتِيْعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ٣٨) يَنْقُومُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا مَتَّعُ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَفَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ٤٠) .

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن مؤمن آل فرعون الذي كان يكتُم إيمانه وجَّه النصح صريحًا إلى قومه قائلًا لهم: يا قوم اتبعون فيما دعوتكم إليه من الحق، فأنا أدلكم على طريق الحق والصواب الموصل إلى جنة الله ﷻ إلى مرضاته ليس كما يقول فرعون إذ قال: (مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ٣٩) ، ثم يواصل مؤمن آل فرعون تذكيره بقوله: (يَنْقُومُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا مَتَّعُ) أي: ما هي إلا متاع يسمتع به زمنًا قصيرًا ثم تزول ويزول متاعها، أما الآخرة ففيها الاستقرار والخلود وعدم الخروج، والمراد بالآخرة هنا الجنة أو النار.

وقوله: (مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا)، حاصله: من عمل بالمعاصي في الدنيا فيجأزى بالسيئة سيئة أما الشرك فإنه يحبط الأعمال. (وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَفَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ٤٠) أي: يرزقون فيها بلا تحديد أي كيفما شاءوا رزقوا. وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رحمه الله:

التسهيل لتأويل التنزيل

يقول تعالى ذكره مخبراً عن المؤمن بالله من آل فرعون: (وَقَالَ الَّذِي
ءَامَرَ) من قوم فرعون لقومه: (بِقَوْمٍ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ)
يقول: إن اتبعتموني فقبلتم مني ما أقول لكم، بينت لكم طريق الصواب
الذي ترشدون إذا أخذتم فيه وسلكتموه وذلك هو دين الله الذي ابتعث به
موسى. يقول: (إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتْعٌ) يقول لقومه: ما هذه الحياة
الدنيا العاجلة التي عجلت لكم في هذه الدار إلا متاع تستمتعون بها إلى
أجل أنتم بالغوه، ثم تموتون وتزول عنكم (وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ)
يقول: وإن الدار الآخرة، وهي دار القرار التي تستقرون فيها فلا تموتون
ولا تزول عنكم، يقول: فلها فاعملوا، وإياها فاطلبوا.

وقال رحمه الله:

القول في تأويل قوله تعالى: (مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ
صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْفَعُونَ فِيهَا بِغَيْرِ
حِسَابٍ)

يقول: من عمل بمعصية الله في هذه الحياة الدنيا، فلا يجزيه الله في
الآخرة إلا سيئة مثلها، وذلك أن يعاقبه بها؛ (وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ
أَنَّىٰ) يقول: ومن عمل بطاعة الله في الدنيا، وانتصر لأمره، والنهي فيها
عما نهاه عنه من رجل أو امرأة، وهو مؤمن بالله (فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ)
يقول: فالذين يعملون ذلك من عباد الله يدخلون في الآخرة الجنة.

وقال ابن كثير رحمه الله:

يقول المؤمن لقومه ممن تمرد وطغى وأثر الحياة الدنيا، ونسي الجبار

تفسير سورة فصلت

٢٨٥

الأعلى، فقال لهم: (يَقَوْمُ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾) لا كما كذب فرعون في قوله: (وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٩﴾).

ثم زهدهم في الدنيا التي آثروها على الأخرى، وصدتهم عن التصديق برسول الله موسى، فقال: (يَقَوْمُ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَّعٌ) أي: قليلة زائلة فانية عن قريب تذهب وتضمحل، (وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾) أي: الدار التي لا روال لها، ولا انتقال منها ولا ظعن عنها إلى غيرها، بل إما نعيم وإما جحيم، ولهذا قال ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ أي: واحدة مثلها (وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنفَوْا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾) أي: لا يتقصر بجزاء بل يشييه الله، ثوابًا كثيرًا لا انقضاء له ولا نفاد.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (يَقَوْمُ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَّعٌ) أي: يمتنع بها قليلا ثم تنقطع وتزول (وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾) أي: الاستقرار والخلود ومراده بالدار الآخرة الجنة والنار لأنهما لا يفنيان بين ذلك بقوله: (مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً) يعني الشرك (فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا) وهو العذاب (وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا) قال ابن عباس: يعني لا إله إلا الله (وَهُوَ مُؤْمِنٌ) مصلى بقلبه لله وللأنبياء (فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ) بضم الياء على ما لم يسم فاعله، وهي قراءة ابن كثير وابن محيصن وأبي عمرو ويعقوب وأبي بكر عن عاصم يدل عليه (يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾) الباقيون ﴿يَدْخُلُونَ﴾ بفتح الياء.



س: وضع معنى قوله: ﴿يَقَوْمُ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى﴾

التسهيل لتأويل التنزيل

النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ، مَا لَيْسَ لِي بِهِ، عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾.

ج: قال الطبري في معناها:

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هذا المؤمن لقومه من الكفرة: (مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى) من عذاب الله وعقوبته بالإيمان به، واتباع رسوله موسى، وتصديقه فيما جاءكم به من عند ربه (وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾) يقول: وتدعونني إلى عمل أهل النار.

وقوله: (تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ، مَا لَيْسَ لِي بِهِ، عِلْمٌ) يقول: وأشرك بالله في عبادته أو ثناء، ست أعلم أنه يصلح لي عبادتها وإشراكها في عبادة الله، لأن الله لم يأذن لي في ذلك بخبر ولا عقل.

وقوله: (وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾) يقول: وأنا أدعوكم إلى عبادة العزيز في انتقامه ممن كفر به، الذي لا يمنعه إذا انتقم من عدو له شيء، الغفار لمن تاب إليه بعد معصيته إياه، لعفوه عنه، فلا يضره شيء مع عفوه عنه، يقول: فهذا الذي هذه الصفة صفته فاعبدوا، لا ما لا ضر عنده ولا نفع.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول لهم المؤمن: ما بالي أدعوكم إلى النجاة، وهي عبادة الله وحده لا شريك له وتصديق رسوله الذي بعثه (وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾) تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ، مَا لَيْسَ لِي بِهِ، عِلْمٌ أي: على جهل بلا دليل (وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾) أي: هو في عزته وكبريائه يغفر ذنب من

تاب إليه.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَيَقَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى﴾ أي إلى طريق الإيمان الموصل إلى الجنان ﴿وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ ﴿٤١﴾ بين أن ما قال فرعون من قوله ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ ﴿٣٩﴾ سبيل الغي عاقبته النار وكانوا دعوه إلى اتباعه ولهذا قال: ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ﴾ ما ليس لي به علم وهو فرعون ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَرِ﴾ ﴿٤٢﴾.

قال السعدي رحمه الله:

قوله: ﴿وَيَقَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى﴾ بما قلت لكم ﴿وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ ﴿٤١﴾ بترك اتباع نبي الله موسى عليه السلام. **ثم فسر ذلك فقال:** ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ﴾ ما ليس لي به علم أنه يستحق أن يعبد من دون الله، والقول على الله بلا علم من أكبر الذنوب وأقبحها، ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ﴾ الذي له القوة كلها، وغيره ليس بيده من الأمر شيء. ﴿الْغَفَرِ﴾ ﴿٤٢﴾ الذي يسرف العباد على أنفسهم ويتجرؤون على مساخطه ثم إذا تابوا وأنابوا إليه، كفر عنهم السيئات والذنوب، ودفع موجباتها من العقوبات الدنيوية والأخروية.

(لَا جَرَمَ) أي: حقاً يقيناً (أَنَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ) أي: لا يستحق من الدعوة إليه، والحث على اللجوء إليه، في الدنيا ولا في الآخرة، لعجزه ونقصه، وأنه لا يملك نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياة، ولا نشوراً.

التسهيل لتأويل التنزيل

(وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ) تعالى فسيجازي كل عامل بعمله. (وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾) وهم الذين أسرفوا على أنفسهم بالتجرؤ على ربهم بمعاصيه والكفر به، دون غيرهم.

فلما نصحهم وحذرهم وأنذرهم ولم يطيعوه ولا وافقوه قال لهم: (فَسَدِّكُوا بُرُوجَكُمْ مِمَّا آفَقُولُ لَكُمْ ﴿٤٤﴾) من هذه النصيحة، وسترون مغبة عدم قبولها حين يحل بكم العقاب، وتحرمون جزيل الثواب.

س: وضع معنى قوله: (لَا جُزْأَنَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، حقاً فهذه الأصنام والأوثان التي تدعونني إلى عبادتها ليس لها دعاء أصلاً فهي لا تدعو لكونها جمادات لا تفهم ولا تعي ولا تتكلم فمن ثم لا تدعو لعابديها لا في دنيا ولا في آخرة، وقوله: (وَأَنَّ مَرَدَّنَا) مرجعنا إلى الله، وأن الذين أسرفوا على أنفسهم بكنزهم على الله وبشركهم بالله وباقترافهم المعاصي هم أهل النار حقاً.

قال الطبري رحمه الله:

يقول: حقاً أن الذي تدعونني إليه من الأوثان، ليس له دعاء في الدنيا ولا في الآخرة، لأنه جماد لا ينطق، ولا يفهم شيئاً.

وقوله: (وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ) يقول: وأن مرجعنا ومنقلبنا بعد مماتنا إلى الله ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾﴾ يقول: وإن المشركين بالله المتعدين حدوده، القتلة النفوس التي حرم الله قتلها، هم أصحاب نار جهنم عند

مرجعنا إلى الله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في معنى المسرفين في هذا الموضع، فقال بعضهم: هم سفاكو الدماء بغير حقها. وقال آخرون: هم المشركون.

قال الطبري رحمه الله:

وإنما اخترنا في تأويل ذلك في هذا الموضع ما اخترنا، لأن قائل هذا القول لفرعون وقومه، إنما قصد فرعون به لكفره، وما كان همّ به من قتل موسى، وكان فرعون عالياً عالياً في كفره. سفاكا للدماء التي كان محرماً عليه سفكها، وكل ذلك من الإسراف، فلذلك اخترنا ما اخترنا من التأويل في ذلك.

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: (لَا جَرَمَ) يقول: بلى، إن الذي تدعونني إليه من الأصنام والأنداد (لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ). قال مجاهد: الوثن ليس بشيء.

وقال قتادة: يعني الوثن لا ينفع ولا يضر.

وقال السدي: لا يجيب داعيه، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وهذا كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ

الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٥-٦]، (إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ) [فاطر: ١٤].

التسهيل لتأويل التنزيل

٢٩٠

وقوله: (وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ) أي: في الدار الآخرة، فيجازي كلنا بعمله؛ ولهذا قال: ﴿وَأَرْبَ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ (٤٣) أي: خالدين فيها بإسرافهم، وهو شركهم بالله.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (لَا جَرَمَ) تقدم الكلام فيه ومعناه حقاً (أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) (ما) بمعنى الذي (لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ) قال الزجاج: ليس له استجابة دعوة تنفع وقال غيره: ليس له دعوة توجب له الألوهية (فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ) وقال الكلبي: ليس له شفاععة في الدنيا ولا في الآخرة وكان فرعون أولاً يدعو الناس إلى عبادة الأصنام ثم دعاهم إلى عبادة البقر فكانت تعبد ما كانت شابة فإذا هرمت أمر بذبحها ثم دعا بأخري لتعبد ثم لما طال عليه الزمان قال: أنا ربكم الأعلى (وَأَرْبَ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) (٤٣) قال قتادة و ابن سيرين: يعني المشركين وقال مجاهد والشعبي: هم السفهاء والسفاكون للدماء بغير حقها وقال عكرمة: الجبارون والمتكبرون وقيل: هم الذين تعدوا حدود الله وهذا جامع لما ذكر.



س: وضح معنى قوله: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾
إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤) **فَقَوْلُهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكُرُوا وَحَاقَ بِئَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ** (٤٥).

ج: هذا تذكير من مؤمن آل فرعون لقومه، فبعد أن ذكرهم بالذي ذكرهم به وبين لهم ما ينتظرهم في آخرتهم قال لهم: (فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ

لَكُمْ) أي: سيأتي يوم تتحققون فيه من صدق مقولتي وصدق تذكرتي، وهو يوم القيامة أما في دنياي فإني قد أسلمت أمري لله وَجَلَّ وتركت أمري له يقضي فيه، والله ليس بغافل عما يصنعه العباد، فسلمه الله وحفظه من كيدهم وتديبرهم ونزل بآل فرعون ما ساءهم من عذاب الله.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل المؤمن من آل فرعون لفرعون

وقومه: فستذكرون أيها القوم إذا عاينتم عقاب الله قد حل بكم، ولقيتم ما لقيتموه صدق ما أقول، وحقيقة ما أخبركم به من أن المسرفين هم أصحاب النار.

وقوله: (وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ) يقول: وأسلم أمري إلى الله، وأجعله إليه وأتوكل عليه، فإنه الكافي من توكل عليه.

وقوله: (إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) يقول: إن الله عالم بأمور عباده، ومن المطيع منهم، والعاصي له، والمستحق جميل الثواب، والمستوجب سيئ العقاب.

وقوله: (فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا) يقول تعالى ذكره: فدفع الله عن هذا المؤمن من آل فرعون بإيمانه وتصديق رسوله موسى، مكروه ما كان فرعون ينال به أهل الخلاف عليه من العذاب والبلاء، فنجاه منه.

وقوله: (وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ) يقول: وحل بآل فرعون ووجب عليهم؛ وعني بآل فرعون في هذا الموضع أتباعه وأهل طاعته من قومه.

وعني بقوله: (سُوءُ الْعَذَابِ) : ما ساءهم من عذاب الله، وذلك نار

جهنم .

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

(فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ) أي: سوف تعلمون صدق ما أمرتكم به ونهيتكم عنه، ونصحتكم ووضحت لكم، وتذكرونه، وتندمون حيث لا ينفعكم الندم، (وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ) أي: وأتوكل على الله وأستعينه، وأقاطعكم وأباعدكم، (إِنَّ اللَّهَ بِصِيرُكُمْ بِالْعَبَادِ) (٤٤) أي: هو بصير بهم، فيهدي من يستحق الهداية، ويضل من يستحق الإضلال، وله الحجة البالغة، والحكمة التامة، والقدر النافذ.

وقوله: (فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا) أي: في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فنجاه الله مع موسى، **عليه السلام**، وأما في الآخرة فبالجنة (وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ) (٤٥) وهو: الغرق في اليم، ثم النقلة منه إلى الجحيم.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

(وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ) أي: ألجأ إليه وأعتصم، وألقي أموري كلها لديه، وأتوكل عليه في مصالحه ودفع الضرر الذي يصيبني منكم أو من غيركم. (إِنَّ اللَّهَ بِصِيرُكُمْ بِالْعَبَادِ) (٤٤) يعلم أحوالهم وما يستحقون، يعلم حالي وضعفي فيمنعني منكم ويكفيني شركم، ويعلم أحوالكم فلا تتصرفون إلا بإرادته ومشيئته، فإن سلطكم عليّ، فبحكمة منه تعالى، وعن إرادته ومشيئته صدر ذلك.

(فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا) أي: وقى الله القوي، ذلك الرجل المؤمن الموفق، عقوبات ما مكر فرعون وآله له، ومن إرادة إهلاكه

تفسير سورة فصلت

٢٩٣

وإتلافه، لأنه بادأهم بما يكرهون، وأظهر لهم الموافقة التامة لموسى عليه السلام، ودعاهم إلى ما دعاهم إليه موسى، وهذا أمر لا يحتملونه وهم الذين لهم القدرة إذ ذاك، وقد أغضبهم واشتد حنقهم عليه، فأرادوا به كيداً فحفظه الله من كيدهم ومكرهم وانقلب كيدهم ومكرهم، على أنفسهم، (وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾) أغرقهم الله تعالى في صبيحة واحدة عن آخرهم.

وفي البرزخ (الْأَنْفُسُ يُرْضَوْنَ عَلَيْهَا عَذْوًا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾) فهذه العقوبات الشنيعة، التي تحل بالمكذبين لرسول الله، المعاندين لأمره.



س: وضح معنى قوله تعالى: (الْأَنْفُسُ يُرْضَوْنَ عَلَيْهَا عَذْوًا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ

السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾).

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن أرواح آل فرعون في أجواف طير سودا تعدو وتروح على النار، وذلك عرضها.

الثاني: أنهم يرون مقاعدهم من النار صباحاً ومساءً، يقال لهم: هذه منازلكم توبيحاً ونقمة وصغاراً لهم.

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحدكم إذا مات

عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار؛ فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله -

التسهيل لتأويل التنزيل

ﷺ - إليه يوم القيامة»^(١). أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك به.

قال ابن كثير رحمه الله:

فإن أرواحهم تعرض على النار صباحا ومساءً إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار؛ ولهذا قال: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) ﴿٤٦﴾ أي: أشده ألما وأعظمه نكالا. وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور، وهي قوله: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا).



س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في إثبات عذاب القبر.

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري^(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها؛ أن يهودية دخلت عليها فقالت: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر؟ فقال: «نعم، عذاب القبر حق». قالت عائشة: فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر. وما أخرجه مسلم وأحمد^(٣) من حديث عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ دخل عليها وعندها امرأة من اليهود، وهي تقول: أشعرت أنكم تفتنون في قبوركم؟ فارتاع رسول الله ﷺ وقال: «إنما يفتن يهود». قالت عائشة: فلبثنا ليالي، ثم قال رسول الله ﷺ: «أشعرت أنه أوحى إلي أنكم تفتنون في

(١) البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦).

(٢) البخاري (١٣٧٢).

(٣) مسلم (١٢٣).

تفسير سورة فصلت

٢٩٥

القبور؟»، وقالت عائشة: سمعت رسول الله ﷺ بعد يستعيز من عذاب القبر.

وعند البخاري ^(١) من حديث أنس رضي الله عنه.. وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه - وإنه يسمع قرع نعالهم - أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال: لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين».

وأخرج مسلم ^(٢) في صحيحه من حديث زيد بن ثابت قال: إن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه».



س: كيف الجمع بين قوله تعالى: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ٤٦) وبين ما ورد من قوله تعالى في شأن الكافرين بعد نزول المائدة: (قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا)

(١) البخاري (١٣٧٤).

(٢) مسلم (٢٨٦٧).

التسهيل لتأويل التنزيل

٢٩٦

مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ [المائدة: ١١٥]، وكذا قول النبي ﷺ: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون» ونحوها من الآيات.

ج: هناك للعلماء أقوال في مثل هذا:

أحدها: أن كل المذكورين في الدرجة العليا من الظلم.

الثاني: أن ينزل ذلك منزلة الاختصاص فيكون قوله: (لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾) في زمانهم، وهكذا، والله أعلم.

mostafaaladwy.com

قال الله تعالى:

﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَابُونَ عَنَا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ۖ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ۖ ﴿٤٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ۖ ﴿٤٨﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۖ ﴿٤٩﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَوْمِ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ۖ ﴿٥٠﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ النَّارِ ۖ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ۖ ﴿٥٢﴾ هَذِهِ وَدِكْرَىٰ لِلَّذِينَ الْأَلْبَابِ ۖ ﴿٥٣﴾ فَأَصْبِرْ إِنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ۖ ﴿٥٤﴾﴾ [غافر: ٤٧-٥٥]

س: وضع معنى ما يلي:

- (يَتَحَاجُّونَ) - تَبَعًا - نَصِيبًا - فِي ضَلَالٍ - الْأَشْهَدُ - مَعْذِرَتُهُمْ - سُوءُ الدَّارِ -
الْهُدَى - الْكِتَابَ - هُدًى - وَذِكْرَى - لِأُولَى الْأَلْبَابِ - وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ -
وَسَيِّحٌ بِحَمْدِ رَبِّكَ - بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ).

ج:

الكلمة	معناها
(يَتَحَاجُّونَ)	يتخاصمون
(تَبَعًا)	أتباعًا
(نَصِيبًا)	جزءًا
(فِي ضَلَالٍ)	في ضياع وبطلان وذهاب وعدم فائدة
(الْأَشْهَدُ)	جمع شهيد، وهو الذي يشهد يوم القيامة ومنهم الملائكة والنبيون والمؤمنون والجوارح...
(مَعْذِرَتُهُمْ)	اعتذارهم
(اللَّعْنَةُ)	الطرد والإبعاد من رحمة الله
(سُوءُ الدَّارِ)	الجزاء الذي يُسيئهم في الآخرة وهو النار
(الْهُدًى)	البيان للحق والصواب
(الْكِتَابَ)	التوراة
(هُدًى)	بيانًا للحق وإرشادًا
(وَذِكْرَى)	عظة - تذكيرًا

تفسير سورة فصلت

٢٩٩

لأصحاب العقول النيرة الرشيدة	(لأُولِي الْأَلْبَابِ)
اطلب من الله المغفرة لذنبك	﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ﴾
صل لربك	﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾
قيل: العشي: آخر النهار، والإبكار: أوله وقيل: العشي من الظهر إلى غروب الشمس والإبكار بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس وقيل: المراد الصلاتان الفجر والعصر (وذلك قيل فرطن الصلوات الخمس)	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ﴿وَالْإِبْرَاقِ﴾

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مُخْتَلِفُونَ عَنَّا أَمْ يَمِيزُ الْبَاطِلُ أَلْوَانًا) (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْإِبْرَاقِ (٤٨).

ج: المعنى، والله أعلم، وذُكر يا رسول الله أهل الكفر بوقت يتخاصمون فيه وهم في نار جهنم فيقول: الذين كانوا في الدنيا ضعفاء وأتباعاً لأهل الإجمام المستكبرين، يقول لهم: إنا كنا لكم أتباعاً نحكم ونوالكم ونناصركم، فهل أنتم مخفون عنا شيئاً من العذاب، عذاب النار، فيجيب أهل الإجمام الذين كانوا في الدنيا أهل كبر وأئمة ضلال قائلين: نحن وأنتم كلنا في النار فإن الله قد فصل بين عباده، وأدخل السعداء الجنة، وها نحن وأنتم الأشقياء مألنا النار، فقد قضى الأمر.

قال الطبري رحمه الله:

التسهيل لتأويل التنزيل

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ ﴿١٨﴾ [غافر: ١٨]) (وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ) يقول: وإذ يتخاصمون في النار. وعنى بذلك: إذ يتخاصم الذين أمر رسول الله ﷺ بإنذارهم من مشركي قومه في النار، فيقول الضعفاء منهم وهم المتبعون على الشرك بالله (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ بَعْيًا) يقولون لرؤسائهم الذين اتبعوهم على الضلالة: إنا كنا لكم في الدنيا تبعاً على الكفر بالله (فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْنُونَ) اليوم (عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾) يعنون خطأ فتخففوه عنا، فقد كنا نسارع في محبتكم في الدنيا، ومن قبلكم أتينا؛ لولا أنكم لكنا في الدنيا مؤمنين، فلم يصبنا اليوم هذا البلاء؛ والتبع يكون واحداً وجماعة في قول بعض نحويي البصرة، وفي قول بعض نحويي الكوفة جمع لا واحد له، لأنه كالمصدر. قال: وإن شئت كان واحده تابعاً، فيكون مثل خائل وخول، وغائب وغيب.

والصواب من القول في ذلك عندي أنه جمع واحد. تابع، وقد يجوز أن يكون واحداً فيكون جمعه أتباع. فأجابهم المتبوعون بما أخبر الله عنهم؛ قال الذين استكبروا، وهم الرؤساء المتبوعون على الضلالة في الدنيا: إنا أيها القوم وأنتم كلنا في هذه النار مخلصون، لا خلاص لنا منها إلا بحسب الله قدَّ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ بفصل قضائه، فأسكن أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فلا نحن مما نحن فيه من البلاء خارجون، ولا هم مما فيه من النعيم منتقلون، ورفع قوله: (كُلُّ) بقوله: ﴿فِيهَا﴾ ولم ينصب على النعت.

وقال ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالى عن تحاج أهل النار في النار، وتخاصمهم، وفرعون

تفسير سورة فصلت

٣٠١

وقومه من جملتهم (فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ) وهم: الأتباع (لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) وهم: القادة والسادة والكبراء: (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا) أي: أطعناكم فيما دعوتمونا إليه في الدنيا من الكفر والضلال، (فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ) أي: قسطًا تتحملونه عنا.

(قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا) أي: لا نتحمل عنكم شيئًا، كفى بنا ما عندنا، وما حملنا من العذاب والنكال. (إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَّمَ بَيْنَ الْعِبَادِ) أي: يقسم بيننا العذاب بقدر ما يستحقه كل منا، كما قال تعالى: (قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَّا نَعْلَمُونَ) (الأعراف: ٣٨).

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ) أي يختصموت فيها (فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) عن الانقياد للأنبياء (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا) فيما دعوتمونا إليه من الشرك في الدنيا (فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ) أي متحملون (عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ) أي جزاءً من العذاب.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ) (٤٩) **قالوا أولم تكن تأتيكم رسلكم بالبينات فكنوا بلى قالوا فادعوا وما دعوا الكافرين إلا في ضلالٍ) (٥٠).**

ج: الظاهر، والله أعلم، من معنى الآية الكريمة أن أهل الكفر لما يؤسوا من إجابة بعضهم لبعض ومن إغاثة بعضهم لبعض سألوا القائمين على أمر النار، وهم خزنة النار الموكلون بها قائلين لهم: اسألوا ربكم أن

التسهيل لتأويل التنزيل

يخفف عنا يوماً من العذاب، فيجيبونهم أو لم تك تأتيكم رسلكم بالحجج الواضحات والدلالات البينات على صدق رسلنا وعلى وحدانيتنا؟! قالوا: بلى أي قد جاءتنا، قالوا: فادعوا أنتم ربكم ولكن لن يستجاب لكم دعاء، فدعواؤكم مردود غير مقبول.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وقال أهل جهنم لخزنتها وقوامها، استغاثة بهم من عظيم ما هم فيه من البلاء، ورجاء أن يجدوا من عندهم فرجاً (أَدْعُوا رَبَّكُمْ) ﴿لَنَا﴾ (يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا) واحداً، يعني قدر يوم واحد من أيام الدنيا (مِنَ الْعَذَابِ) الذي نحن فيه. وإنما قلنا: معنى ذلك: قدر يوم من أيام الدنيا، لأن الآخرة يوم لا ليل فيه، فيقال: يخفف عنهم يوماً واحداً.

وقوله: (قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) يقول تعالى ذكره: قالت خزنة جهنم لهم: أو لم تك تأتيكم في الدنيا رسلكم بالبينات من الحجج على توحيد الله، فتوحدوه وتؤمنوا به، وتتبرعوا مما دونه من الآلهة؟ قالوا: بلى، قد أتتنا رسلنا بذلك.

وقوله: (قَالُوا فَادْعُوا) يقول جل ثناؤه: قالت الخزنة لهم: فادعوا إذن ربكم الذي أتتكم الرسل بالدعاء إلى الإيمان به.

وقوله: (وَمَا دُعُوا إِلَّا فِي ضَلَالٍ) ﴿٥٠﴾ يقول: قد دعوا وما دعواؤهم إلا في ضلال، لأنه دعاء لا ينفعهم، ولا يستجاب لهم، بل يقال لهم: (أَخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونِ) ﴿١٠٨﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

وقال ابن كثير رحمه الله:

(وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾)
لما علموا أن الله، سبحانه، لا يستجيب منهم ولا يستمع لدعائهم، بل قد
قال: (اَخْسَوْا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُوْنَ) ﴿١٠٨﴾ [المؤمنون: ١٠٨] سألوا الخزنة - وهم
كالبوابين لأهل النار- أن يدعوا لهم الله أن يخفف عن الكافرين ولو يوما
واحدا من العذاب، فقالت لهم الخزنة رادين عليهم: (أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ
رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) أي: أوما قامت عليكم الحجج في الدنيا على السنة
الرسلى؟ (قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوهُ) أي: أنتم لأنفسكم، فنحن لا ندعو لكم ولا
نسمع منكم ولا نود خلاصكم، ونحن منكم برآء، ثم نخبركم أنه سواء
دعوتهم أو لم تدعوا لا يستجاب لكم ولا يخفف عنكم؛ ولهذا قالوا: (وَمَا دَعَوْا
الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) ﴿٥٠﴾ أي: إلا في دهاب، لا يتقبل ولا يستجاب.

وقال الشنقيطي رحمه الله:

ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة، أن أهل النار طلبوا من خزنة
جهنم أن يدعوا لهم الله أن يخفف عنهم من شدة عذاب النار.
وقد بين في سورة «الزخرف» أنهم نادوا مالكا خاطبة، من خزنة أهل
النار، ليقضي الله عليهم، أي: ليميتهم فيستريحوا بالموت من عذاب النار.
وقد أوضح جلّ وعلا في آيات من كتابه، أنهم لا يجابون في واحد من
الأمرين، فلا يخفف عنهم العذاب، الذي سألوا تخفيفه، في سورة
«المؤمن» هذه، ولا يحصل لهم الموت الذي سألوه في سورة «الزخرف»،
فقال تعالى في عدم تخفيف العذاب عنهم في هذه الآية: (قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ
تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوهُ وَمَا دَعَوْا إِلَّا فِي ضَلَالٍ)

التسهيل لتأويل التنزيل

﴿٥٠﴾، وقال تعالى: (وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾) [فاطر: ٣٦]، وقال تعالى: (فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾) [النبا: ٣٠]، وقال تعالى: (لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾) [الفرقان: ٦٥]، وقال تعالى: (إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾) [الفرقان: ٦٥]، وقال تعالى: (فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾) [الفرقان: ٧٧]، وقال تعالى: (لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿١١٢﴾) [البقرة: ١٦٢]، وقال تعالى: (وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾) [المائدة: ٣٧].

وقال تعالى في عدم موتهم في النار: (لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا) [فاطر: ٣٦]. وقال تعالى: (وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ) [إبراهيم: ١٧]، وقال تعالى: (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ) [النساء: ٥٦]. وقال تعالى: (إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جُذُومًا لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾) [طه: ٧٤]. وقال تعالى: (وَيَنْجَنِيهَا الْأَشْفَىٰ ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾) [الزخرف: ٧٧]، ولما قالوا: (لَيَقْضَىٰ عَلَيْنَا رَبُّكَ) ، أجابهم بقوله: (قَالَ إِنَّكُمْ مَعَكُوتٌ) [الزخرف: ٧٧].



س: ما المراد بقوله تعالى: (وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾)؟

ج: المعنى، والله أعلم، يوم يقوم الشهود للإدلاء بشهادتهم، وذلك يوم القيامة، وهؤلاء الشهود فهم الملائكة والأنبياء والجوارح وغير ذلك، والله أعلم.



س: ما توجيه قوله تعالى: (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) (٥١) وقد قُتل عددٌ من الأنبياء؟

ج: من العلماء من أجاب على ذلك بقوله: إن نصرهم على عدوهم

يكون بالحجة والبيان.

ومنهم من قال: إن الله ينتصر لأوليائه إذا آذاهم أعداؤهم.

وقد طرح الطبري هذا السؤال على نفسه وأجاب عليه فقال:

يقول القائل: وما معنى: (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

وقد علمنا أن منهم من قتله أعداؤه، ومثلوا به، كشعيا و يحيى بن زكريا

وأشباهما. ومنهم من هم بقتله قومه، فكان أحسن أحواله أن يخلص منهم

حتى فارقهم ناجيا بنفسه، كإبراهيم الذي هاجر إلى الشام من أرضه

مفارقا لقومه، وعيسى الذي رفع إلى السماء إذ أراد قومه قتله، فأين

النصرة التي أخبرنا أنه ينصرها رسله، والمؤمنين به في الحياة الدنيا،

وهؤلاء أنبياءه قد نالهم من قومهم ما قد علمت، وما نصرنا على من نالهم

بما نالهم به؟ قيل: إن لقوله: (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) ﴿٥١﴾

وجهين كلاهما صحيح معناه. أحدهما أن يكون معناه: إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا

والذين آمنوا في الحياة الدنيا إما بإعلانناهم على من كذبنا وإظهارنا بهم،

حتى يقهروهم غلبة، ويذلّوهم بالظفر ذلة، كالذي فعل من ذلك بـداود

وسليمان، فأعطاهما من الملك والسلطان ما قهرا به كل كافر، وكالذي

فعل بمحمد ﷺ بإظهاره على من كذبه من قومه، وإما بانتقامنا ممن حادهم

وشاقهم بإهلاكهم وإنجاء الرسل ممن كذبهم وعاداهم، كالذي فعل تعالى

التسهيل لتأويل التنزيل

ذكره بنوح وقومه، من تغريق قومه وإنجائه منهم، وكالذي فعل بموسى وفرعون وقومه، إذ أهلكهم غرقاً، ونجى موسى ومن آمن به من بني إسرائيل وغيرهم ونحو ذلك، أو بانتقامنا في الحياة الدنيا من مكذبيهم بعد وفاة رسولنا من بعد مهلكهم، كالذي فعلنا من نصرتنا شعياء بعد مهلكه، بتسليطنا على قتله من سلطنا حتى انتصرنا بهم من قتلته، وكفعلنا بقتله يحيى، من تسليطنا بختنصر عليهم حتى انتصرنا به من قتلته له وكانتصارنا لعيسى من مريدي قتله بالروم حتى أهلكناهم بهم، فهذا أحد وجهيه. وقد كان بعض أهل التأويل يوجه معنى ذلك إلى هذا الوجه.

وقال:

بقوله: (وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾) يوم يقوم الأشهاد من الملائكة والأنبياء والمؤمنين على الأمم المكذبة رسلها بالشهادة بأن الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم، وأن الأمم كذبتهم. والأشهاد جمع شهود، كما الأشراف: جمع شريف.

وقال:

وقوله: (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ) يقول تعالى ذكره: ذلك يوم لا ينفع أهل الشرك اعتذارهم لأنهم لا يعتذرون إن اعتذروا إلا بباطل، وذلك أن الله قد أعذر إليهم في الدنيا، وتابع عليهم الحجج فيها فلا حجة لهم في الآخرة إلا الاعتصام بالكذب بأن يقولوا: (وَاللَّوْزَيْنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٢﴾) [الأنعام: ٢٣].

وقوله: (وَلَهُمُ الْعَذَابُ) يقول: وللظالمين اللعنة، وهي البعد من رحمة

الله ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ يقول: ولهم مع اللعنة من الله شر ما في الدار الآخرة، وهو العذاب الأليم.



س: ما فائدة التذكير بنبي الله موسى ﷺ؟

ج: فائدة ذلك تصبير النبي □ وتثبيته وبيان أن العاقبة للتقوى، فإن الشخص إذا رأى من سبقوه قد صبروا فأكرمهم الله، فيحملهم هذا على الصبر هم الآخرون. والله أعلم.



س: ما المراد بالهدى الذي أوتاه موسى ﷺ؟

ج: المراد به الحق الذي أرسل الله ﷻ به نبيه موسى ﷺ وجعله هداية للناس وإرشاداً لهم فيدخل في ذلك الألواح والتوراة وصحف موسى (عند من قال بالتفريق بين هذه الثلاث وجعلها ثلاثاً)، ويدخل فيه كذلك الآيات البينات التي أيّد الله ﷻ بها موسى ﷺ. ويدخل في ذلك عموم ما جاء به هذا النبي الكريم ﷺ.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا

بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٥٥﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، ولقد مننا على نبينا موسى □ وعلى قومه بأن

التسهيل لتأويل التنزيل

آتيناها ما فيه هداية وإرشاد وفيه بيان لطرائق الحق والصواب وجعلنا بني إسرائيل يتوارثون الكتاب الذي أنزلناه عليه وهو التوراة التي فيها تذكيرٌ وهدايةٌ لأصحاب العقول النيرة الرشيدة وكانت لهم العاقبة، وأغرق الله عدوه وعدوهم وهو فرعون وقومه.

فاصبر يا رسول الله على ما يصيبك من أذى قومك فإن العاقبة للتقوى وسينصرك ربك ﷻ، فاستعن بالصبر وأكثر من الاستغفار فإن الأعداء كثيراً ما يتسلطون على الشخص بسبب ذنوبٍ وأكثر من التسبيح والصلاة أواخر النهار وأوائله وقيل: قيل في العشي إنه من بعد الظهر إلى غروب الشمس، وفي الإبكار من بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس.

وقيل: إن المراد بالعشي أواخر النهار والإبكار أوائله.

وقيل: المراد صلاتي الصبح والعصر.

وهما اللتان كانتا قبل فرض الصلوات، والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْبَيَانَ لِلْحَقِّ الَّذِي بَعَثْنَا بِهِ كَمَا آتَيْنَا ذَلِكَ مُحَمَّدًا فَكَذَّبَ بِهِ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ، كَمَا كَذَّبَتْ قُرَيْشٌ مُحَمَّدًا (وَأَوْثَنَابِيَّ إِسْرَءِيلَ أَلْكَتَبَ ﴿٥٣﴾) يقول: وأورثنا بني إسرائيل التوراة، فعلمناهموها، وأنزلناها إليهم ﴿هُدًى﴾ يعني بياناً لأمر دينهم، وما ألزمناهم من فرائضها، (وَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾) يقول: وتذكيراً منا لأهل الحجا والعقول منهم بها.

وقوله: (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ:

فاصبر يا محمد لأمر ربك، وانفذ لما أرسلك به من الرسالة، وبلغ قومك

ومن أمرت بإبلاغه ما أنزل إليك، وأيقن بحقيقة وعد الله الذي وعدك من نصرتك، ونصرة من صدقك وآمن بك، على من كذبك، وأنكر ما جئته به من عند ربك، إن وعد الله حق لا خلف له وهو منجز له (وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ) يقول: وسله غفران ذنوبك وعفوه لك عنه (وَسَيِّحُ بِحَمْدِ رَبِّكَ) يقول: وصل بالشكر منك لربك (بِالْعَشِيِّ) وذلك من زوال الشمس إلى الليل (وَالْإِبْكَارِ) وذلك من طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس. وقد وجه قوم الإبكار إلى أنه من طلوع الشمس إلى ارتفاع الضحى، وخروج وقت الضحى، والمعروف عند العرب القول الأول.

واختلف أهل العربية في وجه عطف الإبكار والباء غير حسن دخولها فيه على العشي، والباء تحسن فيه، فقال بعض نحويي البصرة: معنى ذلك: وسبح بحمد ربك بالعشي وفي الإبكار. وقال: قد يقال: بالدار زيد، يراد: في الدار زيد، وقال غيره: إنما قيل ذلك كذلك، لأن معنى الكلام: صل بالحمد بهذين الوقتين وفي هذين الوقتين، فإدخال الباء في واحد فيهما.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى) وهو ما بعثه الله به من الهدى والنور، ﴿وَأَوْثَقْنَا بِإِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ أي: جعلنا لهم العاقبة، وأورثناهم بلاد فرعون وأمواله وحواصله وأرضه، بما صبروا على طاعة الله واتباع رسوله موسى، **عليه السلام**، وفي الكتاب الذي أورثوه -وهو التوراة- (هُدًى وَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ) وهي: العقول الصحيحة السليمة.

وقوله: (فَاصْبِرْ) أي: يا محمد، (إِنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا) أي: وعدناك أنا

التسهيل لتأويل التنزيل

٣١٠

سنعلي كلمتك، ونجعل العاقبة لك ولمن اتبعك، والله لا يخلف الميعاد.
وهذا الذي أخبرناك به حق لا مرية فيه ولا شك.

وقوله: (وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ) ﴿ هذا تهيبج للأمة على الاستغفار، (وَسَيِّحُ
بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ) ﴿ أي: في أواخر النهار وأوائل الليل، (وَالْأَبْكِرِ) ﴿
وهي أوائل النهار وأواخر الليل .



mostafaaladwy.com

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَدِّثُونَ فِي عَايَاكَ اللَّهُ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلِغِيهِ فَاَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا نَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُوا إِلَيْنَا إِنَّا سَتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٥٦-٦٠]

س: وضع معنى ما يلي:

﴿يُجَادِلُونَ - يَغْيِرُ سُلْطَانٍ - الْمُسَوِّءُ - قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ - لَا رَيْبَ فِيهَا - لَا يُؤْمِنُونَ - ادْعُونِي - يَسْتَكَبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي - دَاخِرِينَ﴾.

ج:

معناها	الكلمة
يخاصمون - يحاولون إبطال الآيات - يردون عليها	(يُجَادِلُونَ)
بغير حجة ولا برهان ولا كتاب أنزل إليهم من عند	(يَغْيِرُ سُلْطَانٍ)
المشرك - المسرف على نفسه بالكبائر والمعاصي	(الْمُسَوِّءُ)
قلّ اتعاضكم وتذكركم - قلّ منكم من يتعظ ويعتبر	(قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ)
لا شك في وقوعها ومجيئها	(لَا رَيْبَ فِيهَا)
لا يصدقون	(لَا يُؤْمِنُونَ)
اعبدوني - اسألوني	(ادْعُونِي)
يتعاضمون عليّ فلا يتواضعون لعبادتي ولا يفرون باستحقاقي للعبادة وحدي لا شريك لي بل يشركون معي غيري. يتعاضمون عن مسألتني فلا يسألونني	(يَسْتَكَبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي)
صاغرين - أذلاء	(دَاخِرِينَ)



س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّكَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، إن الذي يخاصمونا في آيات الله المنزلة عليك ويجتهدون لدفعها بالباطل وبغير حجة ولا وجه حق، ولا برهان من الله ﷻ هوؤلاء ما يحملهم على مجادلتك وخصومتك إلا أن صدورهم ملئت كبراً ونفوسهم متطلعة إلى أن تكون في مراكز عليّة كبيرة يظنون أنهم لن يحققوا ما رغبهم إذا اتبعوك، بل ستقلّ مراتبهم إذا اتبعوك فمن ثمّ يعاندونك كي يصلوا إلى ما في نفوسهم من المناصب الكبيرة التي يتمنونها، وهيئات هيئات أن يصلوا لذلك مع عنادهم لك ومع مخالفتهم للحق.

فاستعذ بالله يا رسول الله، اطلب من الله أن يعيدك، ويُجيرك منهم، ويحفظك من شرهم وكذا استعذ بالله أن يتسرب إلى قلبك كبرٌ كالذي تسرب إلى قلوبهم.

إنه هو السميع بأقوالك وأقوالهم والسميع لكل شيء البصير بك وبهم وبكل شيء ونحنو هذا قال كثيرٌ من أهل التأويل.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: إن الذين يخاصمونا يا محمد فيما أتيتهم به من عند ربك من الآيات (بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ) يقول: بغير حجة جاءتهم من عند الله

التسهيل لتأويل التنزيل

بمخاصمتك فيها (إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ) يقول: ما في صدورهم إلا كبر يتكبرون من أجله عن اتباعك، وقبول الحق الذي أتيتهم به حسدا منهم على الفضل الذي آتاك الله، والكرامة التي أكرمك بها من النبوة (مَّا هُمْ بِبَلِغِيهِ) يقول: الذي حسدوك عليه أمر ليسوا بمدركيه ولا نائلية، لأن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وليس بالأمر الذي يدرك بالأمانى؛ وقد قيل: إن معناه: إن في صدورهم إلا عظمة ما هم ببالغي تلك العظمة لأن الله مذلهم.

وقوله: (فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّكَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) ﴿٥٦﴾ يقول تعالى ذكره: فاستجر بالله يا محمد من شر هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان، ومن الكبر أن يعرض في قلبك منه شيء (إِنَّكَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) ﴿٥٦﴾ يقول: إن الله هو السميع لما يقول هؤلاء المجادلون في آيات الله وغيرهم من قول البصير بما تعمله جوارحهم، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ) أي: يدفعون الحق بالباطل، ويردون الحجج الصحيحة بالشبه الفاسدة بلا برهان ولا حجة من الله، (إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلِغِيهِ) ﴿٥٦﴾ أي: ما في صدورهم إلا كبر على اتباع الحق، واحتقار لمن جاءهم به، وليس ما يرومونه من إخمال الحق وإعلاء الباطل بحاصل لهم، بل الحق هو المرفوع، وقولهم وقصدهم هو الموضوع، ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ ﴿٥٦﴾ أي: من حال

تفسير سورة فصلت

٣١٥

مثل هؤلاء، (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾) أو من شر مثل هؤلاء المجادلين في آيات الله بغير سلطان. هذا تفسير ابن جرير.

وقال كعب وأبو العالية: نزلت هذه الآية في اليهود: (إِنَّ الَّذِينَ

يُحَدِّثُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بغير سُلْطَانٍ أَنَّهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ ﴿٥٦﴾ قال أبو العالية: وذلك أنهم ادعوا أن الدجال منهم، وأنهم يملكون به الأرض. فقال الله لنبيه ﷺ أمرا له أن يستعيز من فتنة الدجال، ولهذا قال: (فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾).

وهذا قول غريب، وفيه تعسف بعيد، وإن كان قد رواه ابن أبي حاتم في كتابه، والله أعلم.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُحَدِّثُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بغير

سُلْطَانٍ ﴿٥٦﴾ أي حجة ﴿أَنَّهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ قال الزجاج: المعنى ما في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغي إن ادتهم فيه قدره على الحذف وقال غيره: المعنى ما هم ببالغي الكبر على غير حذف لأن هؤلاء قوم رأوا أنهم إن اتبعوا النبي ﷺ قل ارتفاعهم ونقصت أحوالهم وأنهم يرتفعون إذا لم يكونوا تبعاً فأعلم الله عز وجل أنهم لا يبلغون الارتفاع الذي أملوه بالتكذيب والمراد المشركون وقيل: اليهود فالآية مدنية على هذا كما تقدم أول السورة والمعنى: إن تعظموا عن اتباع محمد ﷺ وقالوا إن الدجال سيخرج عن قريب فيرد الملك إلينا وتسير معه الأنهار وهو آية من آيات الله فذلك كبر لا يبلغونه فنزلت الآية فيهم قال

التسهيل لتأويل التنزيل

أبو العالية وغيره وقد تقدم في (آل عمران) أنه يخرج ويطأ البلاد كلها إلا مكة والمدينة وقد ذكرنا خبره مستوفى في كتاب التذكرة وهو يهودي اسمه صاف ويكنى أبا يوسف وقيل : كل من كفر بالنبي □ وهذا حسن لأنه يعم وقال مجاهد : معناه في صدورهم عظمة ما هم بباليغها والمعنى واحد وقيل : المراد بالكبر الأمر الكبير أي يطلبون النبوة أو أمراً كبيراً يصلون به إليك من القتل ونحوه ولا يبلغون ذلك أو يتمنون موتك قبل أن يتم دينك ولا يبلغونه.

س: ما وجه التذكير بقوله تعالى (لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) وما معنى الآية الكريمة؟

ج: وجه ذلك التنبيه على قدرة الله عز وجل على البعث وعلى حساب خلقه. أما عن معنى الآية الكريمة فهو واضح وبلي فإذا كنا قد خلقنا السموات في ارتفاعها واتساعها وما حوته، وخلقنا الأرض بفجاجها وسهولها وجبالها وبحارها وأنهارها وما بنتنا فيها من نواب إلى غير ذلك فأعادتنا الخلق أحياء بعد إيمانهم أيسر علينا وأهون كما قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) [الروم: ٢٧]، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك ولا يقرون به.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: لا ابتداع السموات والأرض وإنشائها من غير شيء أعظم أيها الناس عندكم إن كنتم مستعظمي خلق الناس، وإنشائهم من غير

شيء من خلق الناس، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن خلق جميع ذلك هين على الله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى منبها على أنه يعيد الخلق يوم القيامة، وأن ذلك سهل عليه، يسير لديه -بأنه خلق السموات والأرض، وخلقهما أكبر من خلق الناس بدءاً وإعادة، فمن قدر على ذلك فهو قادر على ما دونه بطريق الأولى والأخرى، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَدْرِ عَلَى أَنْ يُخْلِقَ الْمَوْتَ بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٣) [الأحقاف: ٣٣]. وقال هاهنا: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٧)؛ فلهذا لا يتدهنون هذه الحجة ولا يتأملونها، كما كان كثير من العرب يعترفون بأن الله خلق السموات والأرض، وينكرون المعاد، استبعادا وكفراً وعناداً، وقد اعترفوا بما هو أولى مما أنكروا.



س: **وضح معنى قوله تعالى: (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسَوِّءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) (٥٨).**

ج: **المعنى، والله أعلم، أنه لا يستوي عند الله من أعماه الله عن الحق فلم يبصر آيات الله التي حوله ولم يستدل بها على قدرة الله ووحدانيته لا يستوي من هذا شأنه مع الذي رزقه الله البصيرة والفهم، فينظر إلى ما حوله ويأخذ منه العبر والعظات ويعلم منه أن الله على كل شيء قدير، وأنه سبحانه قادر على البعث وسيبعث الناس ويحاسب كلًا على عمله.**

التسهيل لتأويل التنزيل

وكذلك لا يستوي من امتثل أمر ربّه ﷻ فعمل بطاعته واجتنب معصيته، لا يستوي هذا مع من أسرف على نفسه وأضرّ بها بشركه بالله ﷻ واقتراه الكبائر والآثام أما قوله: (قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) ﴿٥٨﴾ أي أن اتعاظكم معشر البشر قليل فلا يكاد يتعظ منكم متعظ ولا يعتبر منكم معتبر إلا من رحم الله، وكذلك فمن اتعظ منكم فاتعظه قليل.

قال الطبري رحمه الله:

وما يستوي الأعمى الذي لا يبصر شيئاً، وهو مثل الكافر الذي لا يتأمل حجج الله بعينه، فيتنبه بها ويعتبر بها، فيعلم وحدانيته وقدرته على خلق ما شاء من شيء، ويؤمن به ويصدق. والبصير الذي يرى بعينه ما شخص لهما ويبصره، وذلك مثل المؤمن الذي يرى بعينه حجج الله، فيتفكر فيها ويتعظ، ويعلم ما دلت عليه من توحيد صانعه، وعظيم سلطانه وقدرته على خلق ما يشاء؛ ولا يستوي أيضاً الكافر والمؤمن. (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يقول جل ثناؤه: ولا يستوي أيضاً كذلك المؤمنون بالله ورسوله، المطيعون لربهم، ولا المسيء، وهو الكافر بربه، العاصي له، المخالف أمره (قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) ﴿٥٨﴾ يقول جل ثناؤه: قليلاً ما تتذكرون أيها الناس حجج الله، فتعتبرون وتتعظون؛ يقول: لو تذكروتم آياته واعتبرتم، لعرفتم خطأ ما أنتم عليه مقيمون من إنكاركم قدرة الله على إحيائه من فني من خلقه من بعد الفناء، وإعادتهم لحياتهم من بعد وفاتهم، وعلمتم قبح شرككم من تشركون في عبادة ربكم.

واختلفت القراء في قراءة قوله: (تَذَكَّرُونَ) ﴿٥٨﴾ فقرأت ذلك عامة

قراء المدينة والبصرة: ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ بالياء على وجه الخبر، وقرأته عامة قراء الكوفة: ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ بالتاء على وجه الخطاب، والقول في ذلك أن القراءة بهما صواب.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

ثم قال: (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ) أي كما لا يستوي الأعمى الذي لا يبصر شيئاً، والبصير الذي يرى ما انتهى إليه بصره، بل بينهما فرق عظيم، كذلك لا يستوي المؤمنون الأبرار والكفرة الفجار، (فَلْيَلَا مَا تَتَذَكَّرُونَ) ﴿٥٨﴾ أي: ما أقل ما يتذكر كثير من الناس.



mostafaaladwy.com

التسهيل لتأويل التنزيل

٣٢٠

س: كثيراً ما ينبه على أن المسلم لا يستوي مع المشرك وأن الصالح لا يستوي مع الطالح. اذكر بعض الآيات في هذا الصدد.

ج: من الآيات الواردة في هذا الصدد ما يلي:

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ (١٨) [السجدة:

١٨].

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ

﴾ (٢٠) [الحشر: ٢٠].

وقوله تعالى: (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وَلَا الْمُسَوِّءُ) (غافر: ٥٨]

وقوله تعالى: (أَفَجَعَلُ الْمُشْرِكِينَ كَالْمُؤْمِنِينَ) (القلم: ٣٥].

وقوله تعالى: (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ

نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) (ص: ٢٨] ... إلى غير ذلك من الآيات.



س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ

النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) (٥٩).

ج: إن القيامة لآتية، وبعث الناس من قبورهم أحياء بعد موتهم ومجازاتهم بأعمالهم، وما وعد الله أنه سيكون يوم القيامة لا بُدَّ وأن يكون كما أخبر الله سبحانه وتعالى، ولكن أكثر الناس لا يصدقون بذلك.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: إن الساعة التي يحيي الله فيها الموتى للثواب

والعقاب لجائية أيها الناس لا شك في مجيئها؛ يقول: فأيقنوا بمجيئها، وأنكم مبعوثون من بعد مماتكم، ومجازون بأعمالكم، فتوبوا إلى ربكم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٩) يقول: ولكن أكثر قريش لا يصدقون بمجيئها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

ثم قال: (إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّهُ) أي لكائنة وواقعة ﴿لَارِيبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٩) أي: لا يصدقون بها، بل يكذبون بوجودها.

س: **وضح معنى قوله تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ تَلْفُيفًا)** (٦٠).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وقال ربكم: اعبدوني - وحدي لا شريك لي - أفردوني بالعبادة بصلاتكم - بصيامكم - بحجكم - بنسككم - بكل عباداتكم - لا تشركوا معي غيري، فالذين يستكبرون عن عبادتي وحدي سيدخلون جهنم أذلاء صاغرين.

ويدخل في معنى الآية الكريمة أيضاً:

وقال ربكم اسألوني واطلبوا مني حاجاتكم وما تريدون أجيئكم إلى ما سألتكم وأعطيتكم ما أردتم، ولا تمتنعوا من سؤالي مستكبرين مستعنين علي فإن الذين يستكبرون عن سؤالي ويستغنون عني سيدخلون جهنم أذلاء صاغرين.

هذا، وقد صح من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال: إن الدعاء هو العبادة ثم قرأ: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ

التسهيل لتأويل التنزيل

الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾^(١)
وفي بعض ألفاظ هذا الحديث.. إن عبادتي دعائي ثم تلا الآية.
وهذا الحديث ينتظم المعنيين المذكورين معًا.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَدْعُوكُمْ أَسْتَجِبْ لَكُمْ) يقول تعالى ذكره: ويقول ربكم أيها الناس لكم ادعوني: يقول: اعبدوني وأخلصوا لي العبادة دون من تعبدون من دوني من الأوثان والأصنام وغير ذلك (أَسْتَجِبْ لَكُمْ) يقول: أجب دعاءكم فأعفو عنكم وأرحمكم.

وقوله: (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي) يقول: إن الذين يتعظمون عن إفرادي بالعبادة، وإفراد الألوهية لي (سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) ﴿٦٠﴾ بمعنى: صاغرين. وقد دللنا فيما مضى قبل على معنى الدخر بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقد قيل: إن معنى قوله: (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي) : إن الذين يستكبرون عن دعائي.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

هذا من فضله، تبارك وتعالى، وكرمه أنه ندب عباده إلى دعائه، وتكفل لهم بالإجابة، كما كان سفيان الثوري يقول: يا مَنْ أَحَبُّ عباده إليه مَنْ سَأَلَهُ فَأَكْثَرَ سَوَّالِهِ، ويا مَنْ أَبْغَضَ عباده إِلَيْهِ مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ، وليس كذلك غيرك يا رب.

(١) أخرجه أحمد (٢٧١/٤)، والترمذي (٢٩٦٩)، والطبري في تفسير الآية الكريمة.

أما الحديث بلفظ: «الدعاء مخ العبادة»، فلا يصح بهذا اللفظ.

رواه ابن أبي حاتم.

وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

الله يَعْضَبُ إنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ وَبُنِيَ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَعْضَبُ



س: اذكر بعض الوارد في الحث على الدعاء.

ج: تقدم شيء من ذلك في تفسير سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى:

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) [البقرة: ١٨٦].

ومن ذلك أيضاً.

قوله تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) ﴿٦٠﴾

وقوله تعالى: (هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) [غافر: ٦٥].

وقوله □: «الدعاء هو العبادة»^(١).

وقوله □: «ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم

إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخر له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها»^(٢).



(١) الترمذي وأحمد وغيرهما، وقد تقدم، وهو صحيح.

(٢) أحمد (١٨/٣) بسند حسن.

mostafaaladwy.com

قال الله تعالى:

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاَن تَوَفَّوْا فَاَن تَوَفَّوْا ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُم فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادُّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أُعْبَدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُوَفِّي مِنْ قَبْلِ وَلَيُتْلَعُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرُ فَاَلَمَّا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾ [غافر: ٦١-٦٨]

س: اذكر معنى ما يلي:

(لِتَسْكُنُوا فِيهِ - مُبْصِرًا - تُؤَفِّكُونَ - يُؤَفِّكُ - يَجْحَدُونَ - قَرَارًا - بِنَاءً - فَادْعُوهُ
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ - أَلْبَيَّنْتُ - أُسْلِمَ - أَجَلًا مُّسَمًّى).

ج:

الكلمة	معناها
(لِتَسْكُنُوا فِيهِ)	لَتَسْتَقِرُّوا فِيهِ - لَتَنَامُوا فِيهِ
(مُبْصِرًا)	مُضِيًّا
(تُؤَفِّكُونَ)	تَصْرِفُونَ (عن الحق إلى الباطل)
(يُؤَفِّكُ)	يُصْرِفُ
(يَجْحَدُونَ)	يَكْذِبُونَ - يَنْكُرُونَ
(قَرَارًا)	مُسْتَقَرَّةً تَسْتَقِرُّونَ عَلَيْهَا
(بِنَاءً)	سَقْفًا
(فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ)	فَاعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
(أَلْبَيَّنْتُ)	دَلَّائِلَ التَّوْحِيدِ - الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ
(أُسْلِمَ)	أَسْتَسْلِمَ - أَخْضَعَ
(أَجَلًا مُّسَمًّى)	وَقْتًا قَدْ حَدَّدَهُ اللَّهُ وَسَمَاهُ - تَنْتَهِي عِنْدَهُ أَجَالُكُمْ



س: **وضح معنى قوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّكَ اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) (١١).**

ج: المعنى، والله أعلم، الله الذي يستحق أن تعبدوه وتوحدوه ولا تشركوا به شيئاً هو الذي من رحمته بكم: جعل لكم الليل لتستريحوا فيه وتنامون فيه كما قال: (وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا) ﴿١١﴾ أي: راحة لكم ولأبدانكم وجعل لكم النهار مضيقاً لقضاء معاشكم واحتياجاتكم فيه إن الله لصاحب فضل على الناس كلهم، ولكن الناس لا يقدمون لذلك شكراً.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: الله الذي لا تصلح الألوهة إلا له، ولا تنبغي العبادة لغيره، الذي صفته أنه جعل لكم أيها الناس الليل سكناً لتسكنوا فيه، فتهدؤوا من التصرف والاضطراب للمعاش، والأسباب التي كنتم تنصرفون فيها في نهاركم (وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا) يقول: وجعل النهار مبصراً من اضطرب فيه لمعاشه، وطلب حاجاته، نعمة منه بذلك عليكم (إِنَّكَ اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) يقول: إن الله لمتفضل عليكم أيها الناس بما لا كفاء له من الفضل (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) ﴿١١﴾ يقول: ولكن أكثرهم لا يشكرونه بالطاعة له، وإخلاص الألوهة والعبادة له، ولا يد تقدمت له عنده استوجب بها منه الشكر عليها.

وقال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى ممتناً على خلقه، بما جعل لهم من الليل الذي يسكنون فيه

التسهيل لتأويل التنزيل

ويستريحون من حركات تردد هم في المعاش بالنهار، وجعل النهار مبصرًا، أي: مضيئًا، ليتصرفوا فيه بالأسفار، وقطع الأقطار، والتمكن من الصناعات، (إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَر النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿١١﴾) أي: لا يقومون بشكر نعم الله عليهم.



س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا).

ج: في معناها ما يلي:

قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١٢﴾) [النبا: ١١-١٢].

وقوله تعالى: (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَةً لِلَّذِينَ فَمَحْنًا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ

مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ) [الإسراء: ١٢].

وقوله تعالى: (وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾) [القصص: ٧٣].



س: وضح معنى قوله: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا إِلَٰهًا ۚ لَا هُوَ

فَأَن تَتُفَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ كَذَٰلِكَ يُفَكِّرُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، ذلكم الذي فعل ما ذكر في الآيات السابقة، الذي

جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرًا... إلى آخره، هو الله خالقنا ورازقنا

والمفضل علينا بنعمه، هو خالق كل شيء فلا يستحق العبادة أحدٌ سواه فمن

تفسير سورة فصلت

٣٢٩

أي وجه تُصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره، فهكذا، وكما صُرف هؤلاء عن الحق، فكذلك يُصرف كل جاحد مكذب، يصرفه الله عن الحق.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: الذي فعل هذه الأفعال، وأنعم عليكم هذه النعم أيها الناس، الله مالكم ومصلح أموركم، وهو خالقكم وخالق كل شيء (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) يقول: لا معبود تصلح له العبادة غيره، (فَأَن تَتُفَكَّرَ) يقول: فأني وجه تأخذون، وإلى أين تذهبون عنه، فتعبدون سواه؟

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُفَكِّرُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (١٦) يقول: كذاهبكم عنه أيها القوم، وانصرفكم عن الحق إلى الباطل، والرشد إلى الضلال، ذهب عنه الذين كانوا من قبلكم من الأمم بآيات الله، يعني: بحجج الله وأدلته يكذبون فلا يؤمنون ويقول: فسلكتم أنتم معشر قريش مسلكهم، وركبتم محجتهم في الضلال.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ثم قال: (ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا إِلَهَ الْإِسْلَامِ) أي: الذي فعل هذه الأشياء هو الله الواحد الأحد، خالق الأشياء، الذي لا اله غيره، ولا رب سواه، ﴿فَأَن تَتُفَكَّرَ﴾ (١٦) أي: فكيف تعبدون غيره من الأصنام التي لا تخلق شيئا، بل هي مخلوقة منحوتة.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُفَكِّرُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (١٦) أي: كما ضل هؤلاء بعبادة غير الله، كذلك أفك الذين من قبلهم، فعبدوا غيره بلا دليل ولا برهان بل بمجرد الجهل والهوى، وجحدوا حجج الله وآياته.



**س: وضع معنى الآيات المباركات: (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا
وَالسَّمَاءَ بِنَاءً....) الآية.**

ج: المعنى، الذي يستحق أن يعبد ويوحد ولا يشرك معه أحد هو الله الذي جعل الأرض مستقرة حتى يستطيع أهلها المعيشة عليها وجعل السماء فوقها سقفا محفوظا بغير عمدٍ نراها وخلقنا في أحسن الصور وأحسن تقويم وتفصيل علينا بأن يسر لنا الحلال الطيب فهذا هو ربنا المنعم علينا والمتفضل تكاتر الخير الوارد منه والنازل لعباده وتعاضم ربنا وتمجد.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (اللَّهُ) الذي له الألوهة خالصة أيها الناس (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ) التي أنتم على ظهرها سكن (قَرَارًا) تستقرون عليها، وتسكنون فوقها، (وَالسَّمَاءَ بِنَاءً) : بناها فرفعها فوقكم بغير عمد ترونها لمصالحكم، وقوام دنياكم إلى بلوغ آجالكم وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ يقول: وخلقكم فأحسن خلقكم (وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) يقول: ورزقكم من حلال الرزق، ولذيذات المطاعم والمشارب. وقوله: (ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ) يقول تعالى ذكره: فالذي فعل هذه الأفعال، وأنعم عليكم أيها الناس هذه النعم، هو الله الذي لا تتبغي الألوهة إلا له، وربكم الذي لا تصلح الربوبية لغيره، لا الذي لا ينفع ولا يضر، ولا يخلق ولا يرزق (فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) يقول: فتبارك الله مالك جميع الخلق

جنهم وإنسهم، وسائر أجناس الخلق غيرهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا) أي: جعلها مستقرا لكم، بساطا مهادا تعيشون عليها، وتتصرفون فيها، وتمشون في مناكبها، وأرساها بالجبال لئلا تميد بكم، (وَالسَّمَاءَ بَنَاءً) أي: سقفا للعالم محفوظا، (وَصَوَّرَكُمُ وَأَحْكَمَ صُورَكُمْ) أي: فخلقكم في أحسن الأشكال، ومنحكم أكمل الصور في أحسن تقويم، (وَرَزَقَكُمُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) أي: من المأكول والمشارب في الدنيا! فذكر أنه خلق الدار، والسكان، والأرزاق -فهو الخالق الرازق، كما قال في سورة البقرة: (يَأْتِيهَا النَّاسُ عِبْدًا وَأَرْبَابًا) الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢٧﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَحْجِلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ [البقرة: ٢٠-٢١] وقال هاهنا بعد خلق هذه الأشياء: (ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) ﴿٦٤﴾ أي: فتعالى وتقدس وتنزه رب العالمين كلهم.



س: وضع معنى قوله تعالى: (هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ﴿٦٥﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، أن الله ﷻ هو الحي الذي لا يموت، وسائر خلقه يموتون، هو الله لا إله إلا هو، لا معبود سواه ولا رب غيره، فادعوه مخلصين له في دعائكم، عابدين مخلصين في عبادتكم، فله الحمد إذ هو

رب العالمين.

قال الطبري رحمه الله:

(هُوَ الْحَيُّ) يقول: هو الحي الذي لا يموت، الدائم الحياة، وكل شيء سواه فمنقطع الحياة غير دائمها (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) يقول: لا معبود بحق تجوز عبادته، وتصلح الألوهة له إلا الله الذي هذه الصفات صفاته، فادعوه أيها الناس مخلصين له الدين، مخلصين له الطاعة، مفردين له الألوهة، لا تشركوا في عبادته شيئاً سواه، من وثن وصنم، ولا تجعلوا له ندّاً ولا عدلاً (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ﴿٦٥﴾ يقول: الشكر لله الذي هو مالك جميع أجناس الخلق، من ملك وجن وإنس وغيرهم، لا للآلهة والأوثان التي لا تملك شيئاً، ولا تقدر على ضر ولا نفع، بل هو مملوك، إن ناله نائل بسوء لم يقدر له عن نفسه دفعاً.

وكان جماعة من أهل العلم يأمرّون من قال لا إله إلا الله، أن يتبع ذلك: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ تأوّلوا منهم هذه الآية، بأنّها أمر من الله بقليل ذلك.

وقال ابن كثير رحمه الله:

ثم قال: (هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) أي: هو الحي أزلاً وأبداً، لم يزل ولا يزال، وهو الأول والآخر، والظاهر والباطن، (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) أي: لا نظير له ولا عدل له، (فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) أي: موحدين له مقرّين بأنّه لا إله إلا هو (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ﴿٦٥﴾

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦).

ج: المعنى، والله أعلم، قل يا رسول الله لهؤلاء الذين يدعونك إلى عبادة أوثانهم التي يعبدونها من دون الله لما جاءني دلائل التوحيد وعرفتها ونزل عليّ القرآن وأمرت أن أكون مسلماً مُستسلماً خاضعاً لله رب العالمين لا لأحدٍ سواه.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره تنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك من قريش (إِنِّي نُهَيْتُ) أيها القوم (أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) من الآلهة والأوثان (لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي) يقول: لما جاءني الآيات الواضحات من عند ربي، وذلك آيات كتاب الله الذي أنزل به (وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) (١٦). يقول: وأمرني ربي أن أذل لرب كل شيء، ومالك كل خلق بالخضوع، وأخضع له بالطاعة دون غيره من الأشياء.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ﴾ أي قل يا محمد: نهاني الله الذي هو الحي القيوم ولا إله غيره (أَنْ أَعْبُدَ) غيره (لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي) أي دلائل توحيده (وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ) أذل وأخضع (لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) (١٦) وكانوا يدعوهم إلى دين آبائهم فأمر أن يقول هذا.



التسهيل لتأويل التنزيل

س: وضح معنى قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكَوُنُوا شِيُوخًا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُنَوِّقُ مِنْ قَبْلُ وَلِيَبْلُغُوا أَجَلَ مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾

ج: المعنى، والله أعلم، وأمرت أن أسلم لرب العالمين الذي خلق أباكم آدم عليه السلام من تراب ثم خلقكم أنتم يا بني آدم من نطفة من مني يُمْنى ثم تحولت هذه النطفة إلى علقة ثم أخرجتم بعد ذلك أطفالاً من بطون الأمهات ثم بلغت أقصى قواكم ثم صرتم شيوخاً ومنكم من استوفى أجله قبل أن يصل شيخاً فمات قبل الشيخوخة، وعشتم في هذه الدنيا إلى أجلكم الذي أجلكم الله إليه، كل ذلك لعلمكم تتفكرون في أنفسكم وتعلمون حجج الله وآياته فيقودكم ذلك إلى الإيمان والتوحيد.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره أمراً نبيه محمداً عليه السلام **يُنْتِيبُهُ** مشركي قومه على حجه عليهم في وحدانيته: قل يا محمد لقومك: أمرت أن أسلم لرب العالمين الذي صفته هذه الصفات. وهي أنه خلق أباكم آدم (مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ) خلقكم (مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ) بعد أن كنتم نطفة (ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً) من بطون أمهاتكم صغاراً، (ثُمَّ لِيََبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ) ، فتتكمّل قواكم، ويتنمّون شبابكم، وتتم خلقكم شيوخاً (وَمِنْكُمْ مَّنْ يُنَوِّقُ مِنْ قَبْلُ) أن يبلغ الشيخوخة (وَلِيَبْلُغُوا أَجَلَ مُّسَمًّى) يقول: ولتبلغوا ميقاتاً مؤقتاً لحياتكم، وأجلاً محدوداً لا تجاوزونه، ولا تتقدمون قبله (وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) ﴿١٧﴾ يقول: وكي تعلموا حجج الله عليكم بذلك، وتتدبروا آياته فتعرفوا بها أنه لا إله غيره فعل

ذلك.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: إن الله ينهى أن يُعبد أحد سواه من الأصنام والأنداد والأوثان. وقد بين تعالى أنه لا يستحق العبادة أحد سواه، في قوله: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا) أي: هو الذي يخلقكم في هذه الأطوار كلها، وحده لا شريك له، وعن أمره وتدبيره وتقديره يكون ذلك كله، (وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ) أي: من قبل أن يوجد ويخرج إلى هذا العالم، بل تسقطه أمه سقطاً، ومنهم من يتوفى صغيراً، وشاباً، وكهلاً قبل الشيخوخة، كقوله: ﴿لَنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [الحج: ٥]، وقال هاهنا: (وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) قال ابن جريج، تتذكرون البعث.



س: وضح معنى قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ) فَضْلًا أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ (٥١).

ج: المعنى، والله أعلم، وأمرت أن أسلم لرب العالمين الذي هو حيي من أراد أن يحييه بعد موته، ويميت من هو حي، وكذلك يخرج من الأصلاب ما كان مستقراً فيها، ويميت من انتهى أجله. وأي أمر يريد أن يقضيه بكلمة كن فيكون كما أراد الله رَحِمَهُ اللهُ.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

التسهيل لتأويل التنزيل

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: قل لهم يا محمد: (هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ) يقول قل لهم: ومن صفته جل ثناؤه أنه هو الذي يحيي من يشاء بعد مماته، ويميت من يشاء من الأحياء بعد حياته و(فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا) يقول: وإذا قضى كون أمر من الأمور التي يريد تكوينها (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ) يعني للذي يريد تكوينه كن، فيكون ما أراد تكوينه موجودًا بغير معاناة، ولا كلفة مؤنة.

وقال ابن كثير رحمه الله:

ثم قال: (هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ) أي: هو المتفرد بذلك، لا يقدر على ذلك أحد سواه، (فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (٦٨) أي: لا يخالف ولا يمانع، بل ما شاء كان.



قال الله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَاجِدُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنْ يَصْرِفُونَهُ ۖ الَّذِينَ كَذَبُوا
بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۖ ﴾ (٦٩) إِذِ الْأَغْلُلُ فِي
أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ۖ (٧٠) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ
فِيهَا ۖ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ۖ ﴾ (٧١) مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّْا بَلْ
لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ۖ ﴾ (٧٢) ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ
تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ۖ ﴾ (٧٣) أَدْخُلُوا أَبْوَاعَ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَيْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ۖ ﴾ (٧٤) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَأَمَّا
نُزِيرَتُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوبُكَ فَإِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۖ ﴾ (٧٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا
مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ
لِرُسُولٍ أَنْ يَأْتِيَكَ بِشَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فَخِصْ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ
هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ۖ ﴾ (٧٦) [غافر: ٦٩-٧٨]

س: وضع معنى ما يلي:

(أَنَّهُ يُصْرَفُونَ - الْأَغْلَلُ - أَعْنَقِهِمْ - الْحَمِيمِ - يُسْجَرُونَ - ضَلُّوا عَنَّا - تَمَرَحُونَ - مَثْوًى - بَيَاطٍ - أَمْرُ اللَّهِ - الْمُبْطِلُونَ).

ج:

معناها	الكلمة
من أي وجه يُصرفون عن الحق إلى الباطل - كيف يُصرفون؟ كيف يتبعون الباطل كي ينصرفوا عن	(أَنَّهُ يُصْرَفُونَ)
جمع غل وهو طوق من حديد أو جلد يجعل في عنق الأسير أو يده.	(الْأَغْلَلُ)
والمراد هنا حلقة من حديد توضع فيه الأيدي مضمومة إلى الرقبة أي أنه يحيط باليد والرقبة معاً.	(أَعْنَقِهِمْ)
الرقاب	(الْحَمِيمِ)
الماء الذي بلغ أعلى درجات حرارته	(يُسْجَرُونَ)
يقذفون في النار - يحترقون	(ضَلُّوا عَنَّا)
غابوا عنا وذهبوا عنا	(تَمَرَحُونَ)
تبتطرون - تأشرون (البطر: بطر الحق جحدته والتكذيب به)، وقيل: المرح: الفرح بفعل المحرم،	(مَثْوًى)
مقام - مسكن - منزل - مأوى	(بَيَاطٍ)
بمعجزة - بشيء خارق للعادات	

تفسير سورة فصلت

٣٣٩

أمر الله بتعذيب هؤلاء أمر الله بقيام الساعة وإدخال أهل النار النار	(أَمْرُ اللَّهِ)
الذين حاولوا إبطال الحق بشركهم بالله وقولهم الباطل على الله.	(الْمُبْطِلُونَ)



س: **وضح معنى قوله تعالى:** ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى

يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ .

ج: المعنى، والله أعلم، ألم تر يا رسول الله هؤلاء الكفار أهل الشرك
المجادلين في آيات الله الذين يريدون دفعها بالباطل، ألم تر إليهم من أي وجه
ينصرفون عن الحق إلى الباطل؟!

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ يقول لنبيه
محمد ﷺ ألم تر يا محمد هؤلاء المشركين من قومك، الذين يخاصمونك
في حجج الله وآياته ﴿ أَنَّى يُصْرَفُونَ ﴾ ﴿٦٩﴾ يقول: أي وجه يصرفون عن
الحق، ويعدلون عن الرشد.

وقال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: ألا تعجب يا محمد من هؤلاء المكذبين بآيات الله،
ويجادلون في الحق بالباطل، كيف تُصرف عقولهم عن الهدى إلى
الضلال.



س: **وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَصْرَفُونَ﴾ (٦١) الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾**.

ج: هذا، والله أعلم، وصف للذين يصرفون عن آيات الله وبيان من هم، إنهم أهل الشرك المكذبون بالقرآن المنزل على النبي ﷺ المكذبون بالآيات التي جاءت على أيدي المرسلين.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ألم تن إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون الذين كذبوا بكتاب الله وهو هذا القرآن؛ و (الَّذِينَ) الثانية في موضع خفض رداً لها على ﴿الَّذِينَ﴾ الأولى على وجه النعت (وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا) يقول: وكذبوا أيضاً مع تكذيبهم بكتاب الله بما أرسلنا به رسلنا من إخلاص العبادة لله، والبراءة مما يعبدونه من الآلهة والأنداد، والإقرار بالبعث بعد الممات للثواب والعقاب.

وقال ابن كثير رحمه الله:

(الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا) أي: من الهدى والبيان، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٠) هذا تهديد شديد، ووعد أكيد، من الرب ﷻ، لهؤلاء، كما قال تعالى: (وَلِيُؤْمِدَ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾) [المرسلات: ١٥].



س: **وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنْتُمْ تَشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ**

تفسير سورة فصلت

٣٤١

اللَّهُ قَالَ اضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئَتٍ مِّنْهُنَّ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾

ج: المعنى، والله أعلم، فسوف يعلم هؤلاء الذين كذبوا بالقرآن وبما أرسلت به الرسل من الآيات والأدلة والبراهين على وحدانية الله وعلى البعث وعلى صدق ما جاء في الكتب - سوف يعلم هؤلاء المكذبون بذلك تمام العلم حينما توضع الأغلال وهي أطواق الحديد في رقابهم وقد جمعت أيديهم مع رقابهم وأحاطت بها تلك الأطواق، ثم ربطت الأطواق سلاسل وسُحبوا إلى النار في هذا المشهد الم هول المروع، أيديهم مضمومة إلى أعناقهم تحيط بها أطواق الحديد، تلك الأطواق التي ربطت في سلاسل ويسحبون بتلك السلاسل إلى الحميم، إلى الماء الذي بلغ أعلى درجات غليانه ثم يقذف بهم في النار فتحرقهم ويكون لها وقوداً ثم يُقال لهم على سبيل التوبيخ والتأنيب: أين هذه الآلهة التي عبدتموها من دون الله ﷻ وجعلتموها شريكة له في ملكه؟ أين هي؟ ادعوها كي تستجيب لكم - كي تدفع عنكم العذاب - كي تشفع لكم كما زعمتم؟

فبيحث أهل الكفر أين تلك الآلهة؟ لقد غابت عنهم وذهب فيندمون أشد الندم قائلين، لم نكن ندعو شيئاً له حقيقة، فكل معبودٍ من دون الله قد ذهب عن عابدين وابتعد وتبرأ ممن عبدوه، فضلاً عن تلك الأصنام التي لم تكن تسمع ولا تبصر ولا تغني عن أصحابها شيئاً، وهكذا، وكما أضل الله سبحانه وتعالى الآلهة ممن عبدوها، فهكذا يضل الله الكافرين عن رحمته،

التسهيل لتأويل التنزيل

وهكذا يفعل بكل كافر اتخذ مع الله إلهاً آخر يضل عن إلهه الذي كان يعبد في الدنيا من دون الله ويضل عن إلهه.

ذلكم الذي نفعه بكم يا أهل الكفر سببه فرحكم في الأرض بشرككم وبمعاصيكم وكبائركم وأشركم وبطركم في دنياكم فما هي أبواب جهنم فادخلوها خالدين فيها لا تتحولون عنها ولا تزولون ولا تموتون فيها ولا تحيون، فلبئس المقام مقام أهل الكفر، وبئس المستقر مستقرهم، لبئس المستقر مستقر هؤلاء الذين تكبروا عن الإيمان، ورضوا بالكفر بدلاً عنه، وتعالوا عن توحيد الرحمن سبحانه وبنحو ما ذكر قال أهل التأويل.

قال الطبري رحمته الله:

وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٠) إِذَا الْأَغْلالُ فِي أَعْنَقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ، وهذا تهديد من الله المشركين به؛ يقول جل ثناؤه: فسوف يعلم هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله، المكذبون بالكتاب حقيقة ما تخبرهم به يا محمد، وصحة ما هم به اليوم مكذبون من هذا الكتاب، حين تجعل الأغلال والسلاسل في أعناقهم في جهنم.

وقال أيضاً:

وقوله: ﴿يُسْحَبُونَ﴾ (٧١) يُسْحَبُونَ يقول: يسحب هؤلاء الذين كذبوا في الدنيا بالكتاب زبانية العذاب يوم القيامة في الحميم، وهو ما قد انتهى حره، وبلغ غايته.

وقوله: ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ (٧٢) ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ يقول: ثم في نار جهنم يحرقون، يقول: تسجر به جهنم: أي توقد بهم.

وقوله: (ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَتَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ) يقول: ثم قيل: أين الذين كنتم تشركون بعبادتهم إياها من دون الله من آلهتكم وأوثانكم حتى يغيثوكم فينقذوكم مما أنتم فيه من البلاء والعذاب، فإن المعبود يغيث من عبده وخدمه؛ وإنما يقال هذا لهم توبيخاً وتقريعاً على ما كان منهم في الدنيا من الكفر بالله وطاعة الشيطان، فأجاب المساكين عند ذلك فقالوا: ضلوا عنا: يقول: عدلوا عنا، فأخذوا غير طريقنا، وتركونا في هذا البلاء، بل ما ضلوا عنا، ولكننا لم نكن ندعو من قبل في الدنيا شيئاً: أي لم نكن نعبد شيئاً؛ يقول الله تعالى ذكره: (كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾) يقول: كما أضل هؤلاء الذين ضل عنهم في جهنم ما كانوا يعبدون في الدنيا من دون الله من الآلهة والأوثان آلهتهم وأوثانهم، كذلك يضل الله أهل الكفر به عنه، وعن رحمته وعبادته، فلا يرحمهم فينجيهم من النار، ولا يغيثهم فيخفف عنهم ما هم فيه من البلاء.

وقال: ويعني تعالى ذكره بقوله: (ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) هذا الذي فعلنا اليوم بكم أيها القوم من تعذيبناكم بالعذاب الذي أنتم فيه، بفرحكم الذي كنتم تفرحونه في الدنيا، بغير ما أذن لكم به من الباطل والمعاصي، وبمرحكم فيها، والمرح: هو الأثر والبطر.

وقوله: (ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا) يقول تعالى ذكره لهم: ادخلوا أبواب جهنم السبعة من كل باب منها جزء مفسوم منكم ﴿فَيَسَّ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾ يقول: فبئس منزل المتكبرين في الدنيا على الله أن يوحده، ويؤمنوا برسله اليوم جهنم.

التسهيل لتأويل التنزيل

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (إِذِ الْأَعْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ) أي: متصلة بالأغلال، بأيدي الزبانية يسحبونهم على وجوههم، تارة إلى الحميم وتارة إلى الجحيم؛ ولهذا قال: ﴿يَسْحَبُونَ ٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ٧٢﴾ ، كما قال: (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ٤٢) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ٤٤﴾ (الرحمن: ٤٣-٤٤) . وقال بعد ذكره أكلهم الزقوم وشربهم الحميم: (ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ ٦٨) (الصفات: ٦٨) ، وقال: (وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ٤٢) وَظِلٍّ مِنْ يَحُمُومٍ ٤٣) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ٤٤﴾ إلى أن قال: (ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنتَ الْفَضَّالُونَ الْمُكَذِّبُونَ ٥١) لَا تَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ٥٢) فَأَنْتَ مِنْهَا الْبُطُونُ ٥٣) فَشَرِبُوا مِنْهُ مِنْ الْحَمِيمِ ٥٤) فَشَرِبُوا شَرْبَ أَلِيمٍ ٥٥) هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ٥٦) (الواقعة: ٤١-٥٦) . وقال: (إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ ٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ ٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ٤٥) كَعَلَى الْحَمِيمِ ٤٦) خَذُّوه فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ٤٧) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ٤٩) إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ٥٠) (الدخان: ٤٣-٥٠) ، أي: يقال لهم ذلك على وجه التقرير والتوبيخ، والتحقير والتصغير، والتهكم والاستهزاء بهم.

وقوله: (ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنْتَ مَا كُنْتُمْ تَشْرِكُونَ ٧٣) مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي: قبل لهم: أين الأصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله؟ هل ينصرونكم اليوم؟ (فَقَالُوا ضَلُّوا عَنَّا) أي: ذهبوا فلم ينفعونا، (بَلْ لَمْ تَكُنْ تَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا) أي: جحدوا عبادتهم، كقوله تعالى: (ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَّهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ٢٣) (الأنعام: ٢٣) ؛ ولهذا قال: (كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ٧٤) .

وقوله: (ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ٧٥) .

تفسير سورة فصلت

٣٤٥

أي: تقول لهم الملائكة: هذا الذي أنتم فيه جزاء على فرحكم في الدنيا بغير الحق، ومرحكم وأشركم وبطركم، ﴿أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٧٦) أي: فبئس المنزل والمقيل الذي فيه الهوان والعذاب الشديد، لمن استكبر عن آيات الله، واتباع دلائله وحججه.

وقال القرطبي رحمه الله:

(ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنْ مَّا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ) وهذا تقرير وتوبيخ (قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا) أي: هلكوا وذهبوا عنا وتركونا في العذاب من ضل الماء في اللبن أي: خفي وقيل: أي صاروا بحيث لا نجدهم (بَلْ لَّمْ تَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا) أي: شيئاً لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وليس هذا إنكار لعبادة الأصنام بل هو اعتراف بأن عبادتهم الأصنام كانت باطلة قال الله تعالى: (كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾) أي كما فعل بهؤلاء الإضلال يفعل بكل كافر.

قوله تعالى: (ذَلِكُمْ) أي ذلكم العذاب (بِمَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ) بالمعاصي يقال لهم ذلك توبيخاً أي نالكم هذا بما كنتم تظهرون في الدنيا من السرور بالمعصية وكثرة المال والأتباع والصحة وقيل: إن فرحهم بها عندهم أنهم قالوا للرسول: نحن نعلم أنا لا نبعث ولا نعذب.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْمَٰنُ رَبِّكَ بَعْضُ

الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَوَفِّيكَ فَاِلَيْنَا يَرْجِعُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

ج: هذا، والله أعلم، تصبير للنبي □ وتسليته له، فالمعنى اصبر يا

التسهيل لتأويل التنزيل

رسول الله فسيحقق ما وعد الله به من إحلال العقوبة بهؤلاء الذين كذبوك وعاندوك وخالفوا أمرك فإن الله لا يخلف وعده رسوله.

هذا، وقد تحلُّ هؤلاء المكذبين عقوبتنا في الدنيا وتراهم يعاقبون وأنت حي وقد تموت قبل أن يحل بهم عقابنا، كما قال تعالى: (فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ) ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْتَهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾

[الزخرف: ١-٤٢].

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فاصبر يا محمد على ما يجادلُك به هؤلاء المشركون في آيات الله التي أنزلناها عليك، وعلى تكذيبهم إياك، فإن الله منجز لك فيهم ما وعدك من الظفر عليهم، والعلو عليهم، وإحلال العقاب بهم، كسنتنا في موسى بن عمران ومن كذبه (فَكَاثُرِينَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ) يقول جل ثناؤه: فإما نرينك يا محمد في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين من العذاب والنقمة أن يحل بهم (أَوْ نَوَفِّيَنَّكَ) قبل أن يحل ذلك بهم (فَإِنَّا يُرْجَعُونَ) ﴿٧٧﴾ يقول: فإلينا مصيرك ومصيرهم، فنحكم عند ذلك بينك وبينهم بالحق بتخليدناهم في النار، وإكرامناك بجوارنا في جنات النعيم.

وقال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى أمراً رسوله، صلوات الله وسلامه عليه، بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه؛ فإن الله سينجز لك ما وعدك من النصر والظفر على قومك، وجعل العاقبة لك ولمن اتبعك في الدنيا والآخرة، (فَكَاثُرِينَكَ

بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ) أي: في الدنيا. وكذلك وقع، فإن الله أقر أعينهم من كبرائهم وعظمائهم، أبيدوا في يوم بدر. ثم فتح الله عليه مكة وسائر جزيرة العرب في أيام حياته □.

وقوله: (أَوْتَوْفَيْتَكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ ﴿٧٧﴾) أي: فنذيقهم العذاب الشديد في الآخرة.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقُصُّ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُقِضَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْبَاطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك يا رسول الله، منهم من ذكرناك به وتلونا عليك سيرته وقصته مع قومه، ومنه من لم نخبرك بشيء من أمره، وما كان لرسول من هؤلاء الرسل الذين أرسلهم الله إلى البشر أن يأتي بمعجزة من تلقاء نفسه، ولا أن يأتي بأمر يكون فاصلاً بينه وبين قومه وقاطعاً للحجة ولا أن يأتي بخارقة من خوارق العادات إلا بإذن الله.

فإذا جاء أمر الله الذي يريده بتعذيب قوم ورحمة آخرين أو بقبول الساعة أو غير ذلك، فحينئذ يفصل بين العباد بالحق، فيرحم الله من يشاء ويقضي لصاحب الحق بحقه وعلى المبطل ببطلانه، فحينئذ يخسر هؤلاء المبطلون الذين حاولوا جاهدين إبطال الحق وإزهاقه، بما يقذفونه من شبه الباطل، والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا) يا محمد (رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ) إلى أممها (مِنْهُمْ مَّنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ) يقول: من أولئك الذين أرسلنا إلى أممهم من قصصنا عليك نبأهم (وَمِنْهُمْ مَّنْ لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) نبأهم.

وقوله: (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) يقول تعالى ذكره: وما جعلنا لرسول ممن أرسلناه من قبلك الذين قصصناهم عليك، والذين لم نقصصهم عليك إلى أممها أن يأتي قومه بآية فاصلة بينه وبينهم، إلا بإذن الله له بذلك، فيأتيهم بها؟ يقول جل ثناؤه لنبيه: فلذلك لم يجعل لك أن تأتي قومك بما يسألونك من الآيات دون إئنا لك بذلك، كما لم نجعل لمن قبلك من رسلنا إلا أن نأذن له به (فَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ اللَّهِ فَخُذْ بِالْحَقِّ) يعني بالعدل، وهو أن ينجي رسله والذين آمنوا معهم (وَيُخْسِرْ هَٰؤُلَاءِ الْمُبْطِلُونَ) يقول: وهلك هنالك الذين أبطلوا في قيلهم الكذب، واقترائهم على الله وادعائهم له شريكاً.

وقال ابن كثير رحمه الله:

ثم قال مسلياً له: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) كما قال في (سورة النساء) سواء، أي: منهم من أوحينا إليك خبرهم وقصصهم مع قومهم كيف كذبوهم ثم كانت للرسول العاقبة والنصرة، ومنهم من لم نقصص عليك وهم أكثر ممن ذكر بأضعاف أضعاف، كما تقدم التنبيه على ذلك في سورة النساء، والله الحمد والمنة.

وقوله: (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَكَ بِتَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) ❦ أي: ولم يكن لواحد من الرسل أن يأتي قومه بخارق للعادات، إلا أن يأذن الله له في ذلك، فيدل ذلك على صدقه فيما جاءهم به، (فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ) وهو عذابه ونكاله المحيط بالمكذبين (قُضِيَ بِالْحَقِّ) ❦ فينجو المؤمنون، ويهلك الكافرون؛ ولهذا قال: ❦ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ❦ (٧٨).

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ) ❦ عزاه أيضاً بما لقيت الرسل من قبله (مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ) أي أنبأناك بأخبارهم وما لقوا من قومهم (وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) ❦ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَكَ بِتَايَةٍ (أي من قبل نفسه) ❦ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ (أي إذا جاء الوقت المسمى لعذابهم أهلكهم الله وإنما التأخير لإسلام مَن علم الله إسلامه منهم ولمن في أصلابهم من المؤمنين وقيل: أشار بهذا إلى القتل بيد (قُضِيَ بِالْحَقِّ) ❦ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ❦ (٧٨) أي الذين يتبعون الباطل والشرك.



قال الله تعالى:

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾
وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى
الْأَفْلاكِ مُمْسِكُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾
أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا
أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾
فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ
بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ
وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا
سُئِلَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هَٰؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

[غافر: ٧٩-٨٥]

س: وضع معنى ما يلي:

(الْأَنْعَامَ - الْفُلُكِ - وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ - وَحَاقَ بِهِمْ - بَأْسَنَا - سُنَّتَ اللَّهُ - خَلَّتْ).

ج:

الكلمة	معناها
(الْأَنْعَامَ)	قيل: المراد هنا الإبل خاصة وقيل: الأنعام الثمانية (الإبل - البقر - الغنم - الماعز) (الجمال والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والجدى والحمر)
(الْفُلُكِ)	السفن العظيمة
(وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ)	آثارهم الباقية بعد هلاكهم - العلامات الدالة عليهم بعد هلاكهم (منازل - قبور، ونحو ذلك)
(وَحَاقَ بِهِمْ)	حلَّ بهم - نزل بهم
(بَأْسَنَا)	عذابنا
(سُنَّتَ اللَّهُ)	طريقة الله ﷻ - صنيعه في الأمم
(خَلَّتْ)	مضت - انقضت وذهبت



التسهيل لتأويل التنزيل

س: **وضح معنى قول الله ﷻ: (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَلَاحِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُزِيكُمُ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾)**.

ج: المعنى، والله أعلم، الله الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، هو الله الذي جعل لكم الأنعام (الإبل - البقر - الغنم - الماعز) منها ما تركبوه، وهي الإبل ومنها جميعاً تأكلون، ولكم فيها منافع غير الأكل والركوب كالانتفاع بأصوافها وأوبارها وأشعارها كما قال تعالى: (وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَثًا وَمتَّعًا إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾) **الاحزاب: ٨٠**.

وكذا سخرت لتبلغوا عليها حاجة في صدوركم أي: السفر إلى البلاد التي تريدون قضاء حوائجكم فيها ومنها، وعلى الإبل التي هي من الأنعام وعلى ﴿الْفَلَاحِ﴾ وهي السفن العظيمة لحملكم في أسفاركم كما قال تعالى: (وَتَحْمِلُ أُنْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِلَاحِهِ إِلَّا بِسِقِ الْأَنْفُسِ) **الاحزاب: ١٧**، ويطلعكم الله على آياته الدالة على قدرته ووحدانيته، فأى هذه الآيات الدالة على قدرة الله، فأى هذه الآيات تنكرونها.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ) الذي لا تصلح الألوهة إلا له أيها المشركون به من قريش (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ) من الإبل والبقر والغنم والخيول، وغير ذلك من البهائم التي يقتنيها أهل الإسلام لمركب أو لمطعم (لِتَرْكَبُوا مِنْهَا) يعني: الخيل والحمير (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) ﴿٧٩﴾ يعني الإبل والبقر والغنم. وقال: (لِتَرْكَبُوا مِنْهَا) ومعناه: لتركبوا منها بعضاً ومنها بعضاً

تأكلون، فحذف استغناء بدلالة الكلام على ما حذف.

وقوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ وذلك أن جعل لكم من جلودها بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم، ويوم إقامتكم، ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين.

وقوله: ﴿وَعَلَيْهَا﴾ يعني: وعلى هذه الإبل، وما جانسها من الأنعام المركوبة ﴿وَعَلَى الْفَالِكِ﴾ يعني: وعلى السفن ﴿تُحْمَلُونَ﴾ (٨٠) يقول: نحملكم على هذه في البر، وعلى هذه في البحر ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ يقول: ويريكم حججه، ﴿فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ (٨١) يقول: فأني حجج الله التي يريكم أيها الناس في السماء والأرض تنكرون صحتها، فتكذبون من أجل فسادها بتوحيد الله، وتدعون من دونه إليها

وقوله: ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ يقول: ولتبلغوا بالحمولة على بعضها، وذلك الإبل حاجة في صدوركم لم تكونوا بالغيها لولا هي، إلا بشق أنفسكم، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَتَحْمِلُ أَوَافِكُكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّكُمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾ [النحل: ٧].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ممتناً على عباده، بما خلق لهم من الأنعام، وهي الإبل والبقر والغنم ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ (٧٢) [يس: ٧٢]، فالإبل تتركب وتؤكل وتحلب، ويحمل عليها الأثقال في الأسفار والرحال إلى البلاد النائية، والأقطار الشاسعة. والبقر تؤكل، ويشرب لبنها، وتحرب عليها الأرض. والغنم تؤكل، ويشرب لبنها، والجميع تجز أصوافها وأشعارها وأوبارها،

التسهيل لتأويل التنزيل

فيتخذ منها الأثاث والثياب والأمتعة كما فصل وبيّن في أماكن تقدم ذكرها في (سورة الأنعام)، و(سورة النحل)، وغير ذلك؛ ولهذا قال هاهنا: (لَتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾).

وقوله: (وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ) أي: حجه وبراهينه في الآفاق وفي أنفسكم، (فَأَيُّ مَا كَذَّبْتُمْ أَنْ تَتْلُوا مِنْ آيَاتِنَا) أي: لا تقدرون على إنكار شيء من آياته، إلا أن تعاندوا وتكابروا. ❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرِيهِمْ وَشِقَاقِيَّةً وَعَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَجَعُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ الْمَكِيدَةِ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكْ يَنْفَعَهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سَلَّمَ اللَّهُ إِلَيْهِ قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، أفلم يسر هؤلاء المكذبون في الأرض فينظروا مصائر وعواقب الذين كذبوا من قبلهم، فقد كان من كان قبلهم أكثر عدداً منهم وأقوى منهم وتركوا آثاراً عظيمة في الأرض تدل على عظيم قوتهم وشدتهم وبأسهم وغناهم وكثرة أموالهم فما أغنى كل هذا من عذاب الله من شيء، وقد كان من شأنهم لما أتتهم رسلهم بالحجج الواضحات والآيات النيرات الدالة على وحدانية الله ﷻ، وقد رأوا أنهم يعلمون من أمور الدنيا

تفسير سورة فصلت

٣٥٥

علوماً، في حقيقتها زائلة وفانية فرحوا بما عندهم من العلم الدنيوي وفرحوا بما هم فيه من سعة الأرزاق وحسن التدبير في أمور الدنيا، فغرتهم دنياهم وحملتهم على تكذيب المرسلين والسخرية منهم، فحلَّ بهم من أمر الله وعذابه ما حل ونزل بهم جزاؤهم لما استهزؤوا برسول الله الكرام.

فلما رأوا عذاب الله أتى ولا محالة من وقوعه ولا راد له من بعد الله، قالوا حينما عاينوه ورأوه صدقنا بوحداية الله ﷻ وكفرنا بما سواه من الآلهة والأصنام والأنداد، ولكن ما نفعتهم مقولتهم هذه، فقد قالوها عند حلول العذاب، فلم ينفعهم إيمانهم آنذاك كما قال تعالى في كتابه الكريم: (وَلَيْسَ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ

أَلَكُنَ... ﴿النساء: ١٨﴾، وكما قال تعالى في شأن فرعون لما أدركه الغرق: (حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَآمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَآمَنْتُ بِهِ، بَلْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلَكُنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾) [يونس: ٩٠-٩١].

فالحاصل أن إيمانهم لم ينفعهم عند حلول العذاب بهم وعند معاينتهم له، وتلك سنة الله ﷻ وطريقته في الخلق، سنته التي مضت في عباده أنه ينتقم ممن عاندوا رسله وكذبوهم وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، وعدد معاينة العذاب يبادر الكفار بإعلان إيمانهم، وعند وقوع العذاب يخسر هؤلاء الكفار أنفسهم ويخسرون كل ما ينتفع به، والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: أفلم يسر يا محمد هؤلاء المجادلون في آيات الله من

التسهيل لتأويل التنزيل

مشركي قومك في البلاد، فإنهم أهل سفر إلى الشام واليمن، رحلتهم في الشتاء والصيف، فينظروا فيما وطئوا من البلاد إلى وقائعنا بمن أوقعنا به من الأمم قبلهم، ويروا ما أحلنا بهم من بأسنا بتكذيبهم رسلنا، وجحودهم آياتنا، كيف كان عقبي تكذيبهم ﴿كَانُوا أَكْثَرُ مِمَّ﴾ يقول: كان أولئك الذين من قبل هؤلاء المكذبيك من قريش أكثر عددا من هؤلاء وأشد بطشا، وأقوى قوة، وأبقى في الأرض آثارا، لأنهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتا ويتخذون مصانع.

قوله تعالى: (فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٢﴾).

يقول تعالى ذكره: فلما جاءت هؤلاء الأمم الذين من قبل قريش المكذبة رسلها رسلهم الذين أرسلهم الله إليهم بالبينات، يعني: بالواضحات من حجج الله ﷻ ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ يقول: فرحوا جهلا منهم بما عندهم من العلم وقالوا: لن نبعث، ولن يعذبنا الله.

وقوله: (وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٢﴾) يقول: وحاق بهم من عذاب الله ما كانوا يستعجلون رسلهم به استهزاء وسخرية.

وقال في قوله تعالى: (فَلَمَّا رَأَوْا بِأَسْنَانَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾).

يقول تعالى ذكره: فلما رأت هذه الأمم المكذبة رسلها بأسنا، يعني عقاب الله الذي وعدتهم به رسلهم قد حل بهم.

وقوله: (قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ) يقول: قالوا: أقررنا بتوحيد الله، وصدقنا

تفسير سورة فصلت

٣٥٧

أنه لا إله إلا الله (وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾) يقول: وجحدنا الآلهة التي كنا قبل وقتنا هذا نشركها في عبادتنا الله ونعبدوها معه، ونتخذها آلهة، فبرئنا منها.

في تأويل قوله تعالى: (فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بُسَطَ سُنَّتِ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾).

يقول تعالى ذكره: فلم يك ينفعهم تصديقهم في الدنيا بتوحيد الله عند معاينة عقابه قد نزل، وعذابه قد حل، لأنهم صدقوا حين لا ينفع التصديق مصدقاً، إذ كان قد مضى حكم الله في السابق من علمه، أن من تاب بعد نزول العذاب من الله على تكذيبه لم تنفعه توبته.

وقوله: (سُنَّتِ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ) يقول: ترك الله تبارك وتعالى إقبالهم، وقبول التوبة منهم، ومراجعتهم الإيمان بالله، وتصديق رسلهم بعد معاينتهم بأسه، قد نزل بهم سنته التي قد مضت في خلقه، فلذلك لم يقلهم ولم يقبل توبتهم في تلك الحال.

وأورد عن قتادة بإسناد حسن (سُنَّتِ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ) يقول: كذلك كانت سنة الله في الذين خلوا من قبل إذا عاينوا عذاب الله لم ينفعهم إيمانهم عند ذلك.

وقوله: (وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾) يقول: وهلك عند مجيء بأس الله، فغبننت صفقته ووضع في بيعه الآخرة بالدنيا، والمغفرة بالعذاب، والإيمان بالكفر، الكافرون بربهم الجاحدون توحيد خالقهم، المتخذون من دونه آلهة يعبدونهم من دون بارئهم.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

ثم ذكر جرمهم الكبير فقال: (فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) من الكتب الإلهية، والخوارق العظيمة، والعلم النافع المبين، الهادي من الضلال، والحق من الباطل (فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ) المناقض لدين الرسل. ومن المعلوم، أن فرحهم به، يدل على شدة رضاهم به، وتمسكهم، ومعاداة الحق، الذي جاءت به الرسل، وجعل باطلهم حقاً، وهذا عام لجميع العلوم، التي نوقض بها، ما جاءت به الرسل، ومن أحقها بالدخول في هذا، علوم الفلسفة، والمنطق اليوناني، الذي رُدَّتْ به كثير من آيات القرآن، ونقصت قدره في القلوب، وجعلت أدلته اليقينية القاطعة، أدلة لفظية، لا تفيد شيئاً من اليقين، ويقدم عليها عقول أهل السفه والباطل، وهذا من أعظم الإلحاد في آيات الله، والمعارضة لها، والمناقضة، فאלله المستعان.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يخبر تعالى عن الأمم المكذبة بالرسل في قديم الدهر، وما إذا حل بهم من العذاب الشديد، مع شدة قواهم، وما أثروه في الأرض، وجمعوه من الأموال، فما أغنى عنهم ذلك شيئاً، ولا رد عنهم ذرة من بأس الله، وذلك لأنهم لما جاءتهم الرسل بالبينات، والحجج القاطعات، والبراهين الدامغات، لم يلتفتوا إليهم، ولا أقبلوا عليهم، واستغنوا بما عندهم من العلم في زعمهم عما جاءتهم به الرسل.

وقال مجاهد: قالوا: نحن أعلم منهم لن نبعث ولن نعذب.

وقال السدي: فرحوا بما عندهم من العلم بجهالتهم، فأتاهم من بأس الله ما لا قبل لهم به.

(وَحَاقَ بِهِمْ) أي: أحاط بهم (مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾) أي: يكذبون ويستبعدون وقوعه.

(فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا) أي: عاينوا وقوع العذاب بهم، (قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُتَشَكِّينَ ﴿٨٤﴾) أي: وحدوا الله وكفروا بالطاغوت، ولكن حيث لا تُقال العثرات، ولا تنفع المعذرة. وهذا كما قال فرعون حين أدركه الغرق: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يونس: ٩٠]، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ وَقَدَّ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يونس: ٩١] أي: فلم يقبل الله منه؛ لأنه قد استجاب لنبيه موسى دعاءه عليه حين قال: (وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾) [يونس: ٨٨]. وهاهنا قال: (فَلَمْ يَكْ يَنْفَعَهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا مُنْتَالِي قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادَةٍ) أي: هذا حكم الله في جميع مَنْ تاب عند معاينة العذاب: أنه لا يقبل؛ ولهذا جاء في الحديث: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»^(١) أي: فإذا غرغر وبلغت الروح الحنجرة، وعاین الملك، فلا توبة حينئذ؛ ولهذا قال: (وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

(وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾) قال الزجاج وقد كانوا خاسرين من قبل ذلك إلا أنه بين لنا الخسران لما رأوا العذاب وقيل: فيه تقديم وتأخير أي: (فلم

(١) في سنده ضعف: أخرجه أحمد (١٣٢/٢)، والترمذي (٣٥٣٧)، وغيرهما، وفي سنده عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، فيه مقال.

التسهيل لتأويل التنزيل

٣٦٠

يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا) (وَحَسِرُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ كسنتنا في جميع الكافرين ف﴿سُنَّتْ﴾ نصب بنزع الخافض أي كسنة الله في الأمم كلها والله أعلم.



تم بحمد الله تفسير سورة غافر من كتابي
التسهيل لتأويل التنزيل
(تفسير القرآن في سؤال وجواب)

mostafaaladim.com

قال الله تعالى:

تفسير سورة فصلت

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(حم) ١ تَنْزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢ كَذَّبُ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ
قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ
لَا يَسْمَعُونَ ٤ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ فِي
ءَاذَانِنَا وَقَدْ أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْنَا مِحَاطٌ ٥ قُلْ
إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا
إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۖ وَبَلِّغُوا لِلْمُشْرِكِينَ ٦ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ٧ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٨ ([الأحقاف: ١-١٢]

س: - اذكر معنى ما يلي:

(فُصِّلَتْ - أَكِنَّةٌ - وَقُرٌّ - حِجَابٌ - غَيْرُ مَمْنُونٍ).

ج:

معناها	الكلمة
بَيَّنَّتْ - فُسِّرَتْ	(فُصِّلَتْ)
أَغْطِيَةٌ (جمع غطاء)	(أَكِنَّةٌ)
صمم - ثقل	(وَقُرٌّ)
سائر	(حِجَابٌ)
غير مقطوع	(غَيْرُ مَمْنُونٍ)



س: وضح معنى قوله تعالى: (حَمْدٌ ۝١ نَزَلَ مِنَ الرِّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٢)

كَتَبْتُ فُصِّلْتُ ءَايَتُهُ، فُرِّعَ أَنَا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ أَصَحَّحْتُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤)؟

ج: معناه، والله أعلم، أن هذا القرآن نزل من عند الله ﷻ الرحيم، وهذا الذي نزل كتابٌ قد بَيَّنَّتْ آياته بيانا شافيا كافيا ونزل بلسان عربي واضح يعرف وضوحه وفصاحته وصدقته الراسخون في العلم، نزل هذا القرآن بشيرا لمن أطاع الله ورسوله بجنات النعيم وبكل خير ومُحذرا ومنذرا بالنار من عصى الله ورسوله وأشرك بالله ما لم ينزل به سلطانا، ولكن قد أعرض أكثر الناس عنه وما انتفع به إلا أهل الإيمان أما

غيرهم فتركوه ولم يستمعوا إليه ولم يبالوا به بل كذبوه ورفضوه.
* أما قوله: ﴿حَمَّ﴾ فمعناها موكل إلى الله وقد تقدم الكلام على نظيراتها مراراً.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يقول تعالى ذكره: هذا القرآن تنزيل من عبد الرحمن الرحيم نزل على نبيه محمد ﷺ ﴿كَتَبْتُ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ يقول: كتاب بيّن آياته.

وقوله: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ يقول تعالى ذكره: فُصِّلَتْ آياته هكذا.

وقوله: ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يقول: فُصِّلَتْ آيات هذا الكتاب قرآنًا عربيًّا لقوم يعلمون اللسان العربي.

﴿بَشِيرًا﴾ لهم يبشّرهم إن هم آمنوا به، وعملوا بما أنزل فيه من حدود الله وفرائضه بالجنة، ﴿وَنَذِيرًا﴾ يقول ومنذراً من كذب به ولم يعمل بما فيه بأمر الله في عاجل الدنيا، وخلود الأبد في نار جهنم في أجل الآخرة.

وقوله: ﴿فَاعْرُضْ أَكْثَرَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: فاستكبر عن الإصغاء له وتدبر ما فيه من حجج الله، وأعرض عنه أكثر هؤلاء القوم الذين أنزل هذا القرآن بشيراً لهم ونذيراً، وهم قوم رسول الله ﷺ. ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ يقول: فهم لا يصغون له فيسمعوه إعراضاً عنه واستكباراً.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: (حَمَّ ١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) يعني: القرآن منزل من الرحمن الرحيم، كقوله تعالى: (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ)

التسهيل لتأويل التنزيل

[النحل: ١٠٢]، وقوله: (وَأَنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾) [الشعراء: ١٩٢-١٩٤].

وقوله: (كُتِبَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ) أي: بُيِّنَتْ معانيه وأحكامه، (قُرْءَانًا عَرَبِيًّا) أي: في حال كونه لفظاً عربياً، بيئاً واضحاً، فمعانيه مفصلة، وألفاظه واضحة غير مشككة، كقوله: (كُتِبَ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾) [هود: ١] أي: هو معجز من حيث لفظه ومعناه، (لَا يَأْتِيهِ الْاِطْلُاقُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾) [فصلت: ٤٢].

وقوله: (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) أي: إنما يعرف هذا البيان والوضوح العلماء الراسخون، (بَشِيرًا وَنَذِيرًا) أي: تارة يبشّر المؤمنين، وتارة ينذر الكافرين، (فَاعْرِضْ أَكْثَرَهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤٣﴾) أي: أكثر قریش، فهم لا يفهمون منه شيئاً مع بيانه ووضوحه.



س: قوله تعالى: (قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾) هل هو للعالمين يعلمون

فقط؟

ج: ليس كذلك بل هو لعموم الإنس والجن، وإنما خصّ الله ﷻ القوم الذين يعلمون» لكونهم المنتفعون به.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ فِي (أَضْوَاءِ الْبَيَان):

وإنما خصهم بذلك ، لأنهم هم المنتفعون بتفصيله ، كما خصهم بتفصيل الآيات في سورة يونس في قوله تعالى : ﴿ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾

تفسير سورة فصلت

٣٦٥

يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ [يونس : ٥] ، وفي سورة الأنعام في قوله تعالى : ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُوْنَ ﴿١٨﴾ [الأنعام : ٩٧ ، ٩٨] إلى غير ذلك من الآيات .

وقد أوضحنا وجه تخصيص المنتفعين بالأمر المشترك دون غيرهم في سورة فاطر في الكلام على قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا نُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [فاطر : ١٨] وبيننا هناك أن تخصيصهم بالإنذار دون غيرهم ، في آية فاطر هذه ، وفي قوله تعالى في يس : ﴿إِنَّمَا نُنْذِرُ مَنْ أَتْبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾ [يس : ٢١] وقوله في النازعات : ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾ ﴿٤٥﴾ [النازعات : ٤٥] وقوله في الأنعام : ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام : ٥١] الآية . مع أن أصل الإنذار عام شامل للمذكورين وغيرهم كما يدل عليه قوله تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ ﴿١﴾ [الفرقان : ١] .

وإنما خص المذكورين بالإنذار ؛ لأنهم هم المنتفعون به ؛ لأن من لم ينتفع بالإنذار ، ومن لم ينذر أصلاً سواء في عدم الانتفاع ، كما قال الله تعالى : ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٠﴾ [يس : ١٠] .



س : **وضح معنى قوله تعالى : (وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ وَفِي**

ءَاذَانِنَا وَقَرُّ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّنَا عَمِلُونَ ﴿٥﴾) .

التسهيل لتأويل التنزيل

ج: المعنى - والله أعلم - وقال هؤلاء المشركون المكذبون بالقرآن لرسول الله ﷺ لما دعاهم إلى الإيمان والتصديق: قلوبنا في أغطية وأوعية فلا يصل إليه شيء مما تدعوها إليه بل وفي آذاننا صمم وثقل فلا نستطيع أن نسمع ما تقوله، وفضلًا عن ذلك كله فبيننا وبينك حائل يحول وسائر يمنع وصول كلامك إلينا فالقلوب مقفلة والأذن مغلقة والسواتر والحواجر قائمة فلن يصل إلينا منك شيء فاستمر على دينك الذي تعتقده، ونستمر على ديننا الذي نعقده فلن نهتدي بما جئت به.

وبنحو هذا قال أهل التأويل:

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون المعرضون عن آيات الله من مشركي قريش إذ دعاهم محمد نبي الله إلى الإقرار بتوحيد الله وتصديق ما في هذا القرآن من أمر الله ونهيه، وسائر ما أنزل فيه ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ يقول: في أغطية ﴿مِمَّا نَدْعُونَ﴾ يا محمد ﷺ من توحيد الله، وتصديقك فيما جئتنا به، لا نفقه ما تقول ﴿وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ وهو الثقل، لا نسمع ما تدعونا إليه استئقالا لما يدعو إليه وكراهة له. وقوله: ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ يقولون: ومن بيننا وبينك يا محمد سائر لا نجتمع من أجله نحن وأنت، فيرى بعضنا بعضا، وذلك الحجاب هو اختلافهم في الدين، لأن دينهم كان عبادة الأوثان، ودين محمد ﷺ عبادة الله وحده لا شريك له، فذلك هو الحجاب الذي زعموا أنه بينهم وبين نبي الله، وذلك هو خلاف بعضهم بعضا في الدين.

تفسير سورة فصلت

٣٦٧

وقوله: ﴿فَاعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾ يقول: قالوا له ﷺ: فاعمل يا محمد بدينك، وما تقول إنه الحق، إننا عاملون بديننا وما نقول إنه الحق، ودع دعاءنا إلى ما تدعونا إليه من دينك فإننا ندع دعاءك إلى ديننا. وأدخلت «من» في قوله: ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ والمعنى: وبيننا وبينك حجاب، توكيدا للكلام.

وقال ابن كثير رحمه الله:

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ أي: في غلف مغطاة ﴿مِمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ أي: صمم عما جئتكم به، ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ فلا يصل إلينا شيء مما تقول، ﴿فَاعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾ أي: اعمل أنت على طريقتك، ونحن على طريقتنا لا نتابعك.

وقال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾.

ذكر الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة ، أن الكفار صرخوا للنبي □ ، بأنهم لا يستجيبوا له ولا يؤمنون به ، ولا يقبلون منه ما جاءهم به فقالوا له قلوبنا التي نعقل بها ، ونفهم في أكنة ، أي أغطية . والأكنة ، جمع كنان ، وهو الغطاء والغلاف الذي يغطي الشيء ويمنعه من الوصول إليه .

ويعنون أن تلك الأغطية ، مانعة لهم من فهم ما يدعوههم إليه □ ، وقالوا إن في آذانهم التي يسمعون بها وقرا أي : ثقلا وهو الصمم . وأن

التسهيل لتأويل التنزيل

ذلك الصمم مانع لهم من أن يسمعوا من النبي □ شيئاً ومما يقول ، كما قال تعالى عنهم : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ ﴾ [فصلت : ٢٦].

وأن من بينهم وبينه حجاباً ، مانعاً لهم من الاتصال والاتفاق ، لأن ذلك الحجاب يحجب كلا منهما عن الآخر ، ويحول بينهم وبين رؤية ما يبديه □ من الحق .

والله جل و علا ، ذكر عنهم هذا الكلام في معرض الذم ، مع أنه تعالى صرح بأنه جعل على قلوبهم الأكنة ، وفي آذانهم الوقر ، وجعل بينهم وبين رسوله حجاباً ، عند قراءته القرآن ، قال تعالى في سورة بني إسرائيل : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ [الإسراء : ٤٥ ، ٤٦] . وقال تعالى في الأنعام : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾ [الأنعام : ٢٥] وقال تعالى في الكهف : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ نَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف : ٥٧] .

وهذا الإشكال الذي أشرنا إليه في هذه الآيات قوي ، ووجه كونه مشكلاً ظاهر ، لأنه تعالى ذمهم على دعواهم الأكنة والوقر والحجاب في هذه الآية الكريمة من فصلت ، وبين في الآيات الأخرى أن ما ذمهم على ادعائه واقع بهم فعلاً ، وأنه تعالى هو الذي جعله فيهم .

فيقال : فكيف يذمون على قول شيء ، هو حق في نفس الأمر .

والتحقيق في الجواب عن هذا الإشكال ، هو ما ذكرناه مراراً ، من أن الله إنما جعل على قلوبهم الأكنة ، وطبع عليها وختم عليها، وجعل الوقر في آذانهم، ونحو ذلك من الموانع من الهدى ، بسبب أنهم بادروا إلى الكفر ، وتكذيب الرسل طائعين مختارين ، فجزاهم الله على ذلك الذنب الأعظم ، طمس البصيرة ، والعمى عن الهدى ، جزاء وفاقاً .

فالأكنة والوقر والحجاب المذكورة إنما جعلها الله عليهم ، مجازاة لكفرهم الأول .

ومن جزاء السيئة ؛ تمادي صاحبها في الضلال ، والله الحكمة البالغة في ذلك .

والآيات المصروفة بمعنى هذا كثيرة في القرآن ، كقوله تعالى :

﴿ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ [النساء : ١٥٥] .

فقول اليهود في هذه الآية ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ كقول كفار مكة : ﴿ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ ﴾ لأن الغلف ، جمع أغلف وهو الذي عليه غلاف ، والأكنة جمع كنان ، والغلاف والكنان كلاهما بمعنى الغطاء الساتر .

وقد رد الله على اليهود دعواهم ببطل التي هي للإضراب الإبطالي ، في

قوله ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ [النساء : ١٥٥] .

فالباء في قوله : بكفرهم سببية ، وهي دالة على أن سبب الطبع على

قلوبهم هو كفرهم ، والأكنة والوقر والطبع كلها من باب واحد .

وكقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾

[المنافقون : ٣] ، والفاء في قوله : فطبع سببية أي ثم كفروا ، فطبع على

التسهيل لتأويل التنزيل

قلوبهم بسبب ذلك الكفر .

وقد قدمنا مراراً أنه تقرر في الأصول أن الفاء من حروف التعليل ، ومن المعلوم أن العلة الشرعية سبب شرعي .

وكذلك الفاء في قوله : ﴿ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٣) ﴿ [المنافقون : ٣] فهي سببية أيضاً ، أي فطبع على قلوبهم ، فهم بسبب ذلك الطبع لا يفقهون أي لا يفهمون من براهين الله وحججه شيئاً .

وذلك مما يبين أن الطبع والأكنة يؤول معناهما إلى شيء واحد ، وهو ما ينشأ عن كل منهما من عدم الفهم .

لأنه قال في الطبع ﴿ فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٣) ﴿ [المنافقون : ٣] . وقال في الأكنة : ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ﴾ [الأنعام : ٢٥] أي كراهة أن يفقهوه ، أو لأجل ألا يفقهوه ، كما قدمنا إيضاحه .

وكقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصافات : ٢٠] فبين أن زيغهم الأول ، كان سبباً لإزاغة الله قلوبهم ، وتلك الإزاغة قد تكون بالأكنة والطبع والختم على القلوب .

وكقوله تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة : ١٠] وقوله تعالى : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام : ١١٠] الآية . وقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ رَجَسًا إِلَى رَجْسِهِمْ ﴾ [التوبة : ١٢٥] الآية .

وإيضاح هذا الجواب : أن الكفار قالوا للنبي ﷺ ﴿ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ ﴾ وفي آذاننا وقْرٌ ومن بيننا وبينك حجابٌ ﴿ [فصلت : ٥] يقصدون بذلك

تفسير سورة فصلت

٣٧١

إخباره □ بأنهم لا يؤمنون به بوجه ، ولا يتبعونه بحال ، ولا يقرون بالحق الذي هو كون كفرهم هذا هو الجريمة ، والذنب الذي كان سبباً في الأكنة ، والوقر والحجاب .

فدعواهم كاذبة ، لأن الله جعل لهم قلوباً يفهمون بها ، وآذاناً يسمعون بها ، خلافاً لما زعموا ، ولكنه ، سبب لهم الأكنة ، والوقر والحجاب ، بسبب مبادرتهم إلى الكفر ، وتكذيب الرسول □ .

وهذا المعنى أوضحه رده تعالى على اليهود في قوله عنهم : ﴿ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ [النساء : ١٥٥] .

وقد حاول الفخر الرازي في تفسير هذه الآية الكريمة ، الجواب على الإشكال المذكور فقال : فإن قيل إنه تعالى حكى هذا المعنى عن الكفار في معرض الذم ، وذكر أيضاً ما يقرب منه في معرض الذم ، فقال : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾ [البقرة : ٨٨] ثم إنه تعالى ذكر هذه الأشياء الثلاثة بعينها في معنى التقرير والإثبات في سورة الأنعام ، فقال : ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ [الأنعام : ١٠] فكيف الجمع بينهما؟

قلنا : إنه لم يقل ها هنا إنهم كذبوا في ذلك ، إنما الذي ذمهم عليه ، أنهم قالوا إنا إذا كنا كذلك ، لم يجز تكليفنا وتوجيه الأمر والنهي علينا ، وهذا الثاني باطل .

أما الأول : فلأنه ليس في الآية ما يدل على أنهم كذبوا فيه . اهـ منه . والأظهر هو ما ذكرنا .

التسهيل لتأويل التنزيل

قال صاحب الكشاف في تفسير قوله تعالى : ﴿وَمِنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾ .
فإن قلت : هل لزيادة من في قوله : ﴿وَمِنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾ فائدة؟
 قلت : نعم .

لأنه لو قيل : وبيننا وبينك حجاب ، لكان المعنى أن حجاباً حاصل
 وسط الجهتين .

وأما بزيادة « مِنْ » فالمعنى : أن حجاباً ابتدأ منا وابتدأ منك .
 فالمسافة المتوسطة لجهتنا ، وجهتك مستوعبة بالحجاب ، لا فراغ
 فيها . انتهى منه .

واستحسن كلامه هذا الفخر الرازي وتعقبه ابن المنير على
 الزمخشري ، فأوضح سقوطه والحق معه في تعقبه عليه .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿وَمِنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾ | **فصلت :**
 [٥] ، وقد قدمنا تفسيره وإيضاحه بالآيات القرآنية ، في سورة بني
 إسرائيل ، في الكلام على قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ
 الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [الإسراء : ٤٥] .



س : ما مدى صحة ما أورده الحافظ ابن كثير وغيره من قصة مجيء
عتبة بن ربيعة إلى رسول الله ﷺ وكلامه معه وتلاوة الرسول هذه الآيات
﴿حَمْدٌ ١﴾ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢﴾ ... إلى قوله : ﴿مَثَلُ صَٰعِقَةٍ ٣﴾ عَادٍ وَنَمُودَ
١٣﴾ ؟

ج: الإسناد بذلك ضعيف ولا يصح.



س: ما المراد بالزكاة في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن المراد زكاة النفوس من الشرك وذلك بقول لا إله إلا الله، أي: أنهم لا يأتون بكلمة لا إله إلا الله.

الثاني: أن المراد الزكاة المفروضة عليهم سواء زكاة الزروع أو الأموال أو الماشية أو الفطر أو غير ذلك من الزكوات المفروضة.



س: من لم يؤد الزكاة هل يُعتبر مشركاً؟

ج: من لم يؤدها تكاسلاً أو بُخلاً فليس بمشرك وذلك لما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَبُنُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ».

قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِلَيْهِ قَالَ: «وَلَا صَاحِبُ إِبِلٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا وَمَنْ حَقَّهَا حَلَبَهَا يَوْمَ وَرَدَهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بَطِحَ لَهَا بِقَاعٌ قَرَقَرٍ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ لَا يَفْقَدُ مِنْهَا فَصِيلاً وَاحِداً تَطَوُّهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أَخْرَاهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ».

التسهيل لتأويل التنزيل

قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الْبَقَرُ وَالْغَنَمُ قَالَ: «وَلَا صَاحِبُ بَقَرٍ وَلَا غَنَمٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بَطِحَ لَهَا بِقَاعٌ قَرَقَرٌ لَا يَفْقِدُ مِنْهَا شَيْئًا لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءٌ وَلَا جُلَحَاءٌ وَلَا عَضْبَاءٌ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطْوُهُ بِأَظْلَافِهَا كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أَوْ لَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أَخْرَاهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»^(١).

ف قوله: «ثم ينظر مقعده من الجنة أو مقعده من النار» فيه دلالة على أنه ليس بمشرك.

* أما الذي يجحد فرضية الزكاة فهو كافر، والله أعلم.



س: وضع معنى قوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۚ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) (٧).

ج: المعنى، والله أعلم، قل يا رسول الله هؤلاء المكذبين المعرضين عن القرآن المنزل عليك قل لهم ليس أمر هدايتكم وتوفيقكم بموكول إليّ، ولست ملكًا من الملائكة بل بشرٌ يوحي الله ﷻ إليّ أنما إلهكم إله واحد فأطيعوه والزموه شرعه واستقيموا على أمره واطلبوا منه مغفرة ذنوبكم وسترها وعدم المؤاخذه بها أما المعرضون عن توحيد الله وعبادته وطاعته فالويل لهم، لهم وادٍ في جهنم يسيل إلى صديد أهل النار، لهم وعيد بالعذاب الشديد، هؤلاء المشركون الذين من شأنهم عدم تأدية الزكاة

(١) مسلم (حديث ٩٨٧).

المفروضة عليهم، ومن شأنهم إنكار البعث والتكذيب بالآخرة.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المعرضين عن آيات الله من قومك: أيها القوم، ما أنا إلا بشر من بني آدم مثلكم في الجنس والصورة والهيئة.

لست بملك ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ يوحي الله إليّ أن لا معبود لكم تصلح عبادته إلا معبود واحد. ﴿فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ يقول: فاستقيموا إليه بالطاعة، ووجهوا إليه وجوهكم بالرغبة والعبادة دون الآلهة والأوثان.

﴿وَأَسْتَغْفِرُكُمْ﴾ يقول: وسلوه العفو لكم عن ذنوبكم التي سلفت منكم بالتوبة من شرككم، يتب عليكم وينفر لكم.

وقوله: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ۖ ۝٦ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَفَرُونَ ۝٧﴾ يقول تعالى ذكره: وصديد أهل النار، وما يسيل منهم للمدعين لله شريكا العابدين الأوثان دونه الذين لا يؤتون الزكاة.

اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم: معناه: الذين لا يعطون الله الطاعة التي تطهرهم، وتزكي أبدانهم، ولا يوحدونه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: الذين لا يقرّون بزكاة أموالهم التي فرضها الله فيها، ولا يعطونها أهلها.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ۖ ۝٦ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ قال: لا يقرّون بها ولا يؤمنون بها. وكان يقال: إن الزكاة قنطرة الإسلام، فمن قطعها نجا، ومن تخلف عنها هلك؛ وقد كان أهل الردّة بعد

التسهيل لتأويل التنزيل

نبي الله قالوا: أما الصلاة فنصلي، وأما الزكاة فوالله لا تغصب أموالنا؛ قال: فقال أبو بكر: والله لا أفرق بين شيء جمع الله بينه؛ والله لو منعوني عقالا مما فرض الله ورسوله لقاتلناهم عليه.

والصواب من القول: في ذلك ما قاله الذين قالوا: معناه: لا يؤدون زكاة أموالهم؛ وذلك أن ذلك هو الأشهر من معنى الزكاة، وأن في قوله: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَفِرُونَ﴾ (٧) دليلاً على أن ذلك كذلك، لأن الكفار الذين عنوا بهذه الآية كانوا لا يشهدون أن لا إله إلا الله، فلو كان قوله: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ مراداً به الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله لم يكن لقوله: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَفِرُونَ﴾ (٧) معنى؛ لأنه معلوم أن من لا يشهد أن لا إله إلا الله لا يؤمن بالآخرة، وفي اتباع الله قوله: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَفِرُونَ﴾ (٧) قوله: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ ما ينبئ عن أن الزكاة في هذا الموضع معني بها زكاة الأموال.

وقوله: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَفِرُونَ﴾ (٧) يقول: وهم بقيام الساعة، وبعث الله خلقه أحياء من قبورهم، من بعد بلأئهم وفنائهم منكرونها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى: ﴿قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُوْلَاءِ الْمَكْذِبِينَ الْمَشْرِكِينَ﴾ (١) ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَحْدٌ﴾ لا كما تعبدونه من الأصنام والأنداد والأرباب المتفرقين، إنما الله إله واحد، ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ أي: أخلصوا له العبادة على منوال ما أمركم به على ألسنة الرسل، ﴿وَأَسْتَغْفِرُكُمْ﴾ أي: لسالف الذنوب، ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ (٦) أي: دمار لهم وهلاك عليهم.

* وأورد الحافظ ابن كثير حرمه الله تعالى القولين في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ ولكنه خالف الطبري في اختياره فقال بعد أن أورد قول من قال إن معناها الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله، قال:

وهذا كقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴿الشمس: ٩، ١٠﴾ وكقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ ﴿الأعلى: ١٤، ١٥﴾، وقوله ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزَكَّى﴾ ﴿١٨﴾ [النازعات: ١٨] والمراد بالزكاة هاهنا: طهارة النفس من الأخلاق الرذيلة، ومن أهم ذلك طهارة النفس من الشرك. وزكاة المال إنما سميت زكاة لأنها تطهره من الحرام، وتكون سببا لزيادته وبركته وكثرة نفعه، ونوفينا إلى استعماله في الطاعات. وأورد قول من قال: الذين يمنعون زكاة أموالهم وتعقبه بقوله:

وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين، واختاره ابن جرير. وفيه نظر؛ لأن إيجاب الزكاة إنما كان في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة، على ما ذكره غير واحد وهذه الآية مكية، اللهم إلا أن يقال: لا يبعد أن يكون أصل الزكاة والصدقة كان مأمورا به في ابتداء البعثة، كقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ ﴿الأنعام: ١٤١﴾، فأما الزكاة ذات النصاب والمقادير فإنما بيّن أمرها بالمدينة، ويكون هذا جمعا بين القولين، كما أن أصل الصلاة كان واجبا قبل طلوع الشمس وقبل غروبها في ابتداء البعثة، فلما كان ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة ونصف، فرض الله على رسوله الصلوات الخمس، وفصل شروطها وأركانها وما يتعلق بها بعد ذلك،

شيئاً فشيئاً، والله أعلم.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ فِي «أضواء البيان»:

والقصر في قوله: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ﴾ إضافي أي لا أقول لكم إني ملك، وإنما أنا رجل من البشر .

وقوله: ﴿مِثْلُكُمْ﴾ في الصفات البشرية ، ولكن الله فضلني بما أوحى إليّ من توحيده .

كما قال تعالى عن الرسل في سورة إبراهيم : ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم : ١١] أي كما منّ علينا بالوحي والرسالة .

وما ذكره الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة ذكره في آخر سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الكهف : ١١٠] الآية



س: وضع معنى قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ

مَمْنُونٍ) (٨).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم إن الذين آمنوا بالقرآن وبرسول الله ﷺ وصدقوا به وآمنوا بكل ما أُلزموا بالإيمان به لهم أجرٌ غير مقطوع بل متواصل لا يتحول عنهم ولا يتحولون عنه، وإن تقدمت بهم الأعمار وعجزوا عن الأعمال لضعفهم فأجورهم تأتيهم لا تنقص كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ أي:

رددنا الإنسان إلى أرذل العمر فضعف عن العمل، لكن أهل الإيمان وإن ضعفوا عن العمل فأجورهم ثابتة وإن حال بينهم وبين أعمالهم حائل.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: إن الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله به ورسوله، وانتهوا عما نهيناهم عنه، وذلك هو الصالحات من الأعمال ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (٨) يقول: لمن فعل ذلك أجر غير منقوص عما وعدهم أن ياجرهم عليه.

وقال ابن كثير رحمه الله:

ثم قال بعد ذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قال مجاهد وغيره: لا مقطوع ولا محبوب، كقوله: ﴿مَكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ (٢) [الكهف: ٣]، وكقوله تعالى: (عَطَاءٌ غَيْرٌ يُجْزَى) (هود: ١٠٨) .

وقال السدي: غير ممنون عليهم. وقد رد عليه بعض الأئمة هذا التفسير، فإن المنة لله على أهل الجنة؛ قال الله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١٧]، وقال أهل الجنة: ﴿فَكَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عَذَابَ السُّمُورِ﴾ (٢٧) [الطور: ٢٧]، وقال رسول الله ﷺ: «إِلَّا أَنْ يَنْعَمَ عَلَيَّ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ» (١).

وقال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان»:

وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من أن أجرهم غير ممنون، نص الله تعالى عليه في آيات أخر من كتابه، كقوله تعالى في آخر سورة الانشقاق:

(١) البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦).

التسهيل لتأويل التنزيل

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (٢٥) ﴿[الانشقاق : ٢٥] .
وقوله تعالى في سورة التين : ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (٦) ﴿[التين : ٦] وقوله تعالى في سورة هود: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَفِي
الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوزٍ﴾ (١٠٨) ﴿[هود
: ١٠٨]

فقوله : غير مجذوذ أي غير مقطوع ، وبه تعلم أن غير مجذوذ وغير
ممنون ، معناهما واحد .

وقوله تعالى في «ص» : ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ (٥٤) ﴿[ص : ٥٤]
أي ماله من انتهاء ولا انقطاع . وقوله في النحل : ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ
بَاقٍ﴾ .

[النحل : ٩٦]



قال الله تعالى:

(﴿ قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۝١١ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝١٢ إِنَّا أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٣ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ۝١٤ فَاِمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِعَايُنِنَا يَحْدِثُونَ ۝١٥ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَنْذِرَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ۝١٦ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الَّهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝١٧ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ۝١٨)

[فصلت: ٩-١٨]

س: اذكر معنى ما يلي:

(لَتَكْفُرُونَ - أَدَادًا - رُوسَى - وَبَرَكَ فِيهَا - وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا - سَوَاءٌ لِلْسَّائِلِينَ - أَثْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا - فَقَضَيْنَهُنَّ - وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا - السَّمَاءَ الدُّنْيَا - بِمَصْبِيحٍ - وَحِفْظًا - أَنْذَرْتَكُمْ - صَاعِقَةً - يَجْحَدُونَ - رِيحًا صَرْصَرًا - أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ - عَذَابَ الْخِزْيِ - فَمَذَّيْنَهُمْ - الْعَذَابِ الْهُونِ)؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿لَتَكْفُرُونَ﴾	لتجحدون وحدانيته - لتعبدون معه غيره
﴿أَدَادًا﴾	أمثالا - نظراء - أكفاء
﴿رُوسَى﴾	جبالا (سببا في ترسيتها)
﴿وَبَرَكَ فِيهَا﴾	جعل الخير دائما فيهل ونالتا فيها
﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾	أودع فيها أرزاق العباد وما يحتاج إليه العباد
﴿سَوَاءٌ لِلْسَّائِلِينَ﴾	كاملات غير ناقصات
﴿السَّائِلِينَ﴾	لمن سألوا عن زمن خلق السموات والأرض - لمن سألوا عن الأقوات
﴿أَثْتِيَا﴾	أخرجنا ما فيكما مما استودعكما الله إياه
﴿طَوْعًا﴾	باختياركما
﴿كَرْهًا﴾	رغما عنكما
﴿فَقَضَيْنَهُنَّ﴾	فخلقهن وفرغ من خلقهن

تفسير سورة فصلت

٣٨٣

﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾	ألقى الأمر لكل سماء بالذي يريد فيها وبالذي يردده منها
﴿السَّمَاءِ الدُّنْيَا﴾	السماء القريبة من الناس
﴿بِمَصْنُوعٍ﴾	بنجوم وكواكب
﴿وَحِفْظًا﴾	حفظناها حفظاً - جعلنا النجوم حفظاً للسماء من الشياطين
﴿أَنذَرْتُكُمْ﴾	خبرتكم
﴿صَاعِقَةٍ﴾	الصاعقة كل ما أفسد الشيء وغيره عن هيئته سواء كان ذلك بالموت أو بالإحراق أو بغير ذلك وقيل: المراد هنا بليّة ونازلة ووقية
﴿يَجْحَدُونَ﴾	ينكرون - يكذبون
﴿رِيحًا صَرَّصًا﴾	ريحاً شديدة البرد - عالية الصوت شديدة الهبوب
﴿أَيَّامٍ مِّنْجَسَاتٍ﴾	أيام مشائيم (جمع شؤم) متواصلات
﴿عَذَابٍ لِّلْخِزْيِ﴾	العذاب الي يخزي ويهين ويُذل
﴿فَهَدَيْتَهُمْ﴾	فبصرناهم ووضحنا لهم
﴿الْعَذَابِ الْهُونِ﴾	العذاب المهين المذل المخزي



س: أيهما خلق أول الأرض أم السماء؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن الأرض خلقت أولاً في يومين ثم خلقت السموات في يومين ثم دُحيت الأرض في يومين.
وقد ذكرت أقوال العلماء في ذلك وحاصل أقوالهم في كتابي هذا

التسهيل لتأويل التنزيل

التسهيل (سورة البقرة آية ٢٩) عند تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ فليراجع من شاء.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ آلِهَةً﴾ (١٠) ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رُوسًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ (١٠).

ج: المعنى، والله أعلم قل يا رسول الله لأهل الشرك الذين عبدوا مع الله ﷻ إلهاً غيره، يا هؤلاء أنكم لتجحدون وحدانية الله ﷻ وتعبدون معه غيره، وهو الذي خلق الأرض في يومين ومع ذلك تجعلون له الندى والمثيل وتتجهون لمن جعلتموه ندًا لله بعبادتهم، والله هو مالك الخلق كلهم مالك السموات والأرض وما فيها.

أتكفرون بالذي أرسى الأرض بالجمال الشامخات الرواسي حتى لا تميل بكم، وجعل خير الأرض دائم متواصل لكم، وجعلها مباركة قابلة للبذر والغراس والإنبات وقدّر فيها أقوات العباد وأرزاقهم، وقدّر فيها الأنهار والأشجار والأمطار وكل ما يصلحها لبني آدم ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ (١٠).

أي: في أربعة أيام تامة للسائلين عن زمن خلق الأرض وما جعل فيها.

وقيل: سواء للسائلين أي: على قدر حاجة السائلين.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ أَنْدَادًا﴾ يقول: وتجعلون لمن خلق ذلك كذلك أندادًا، وهم الأكفاء من الرجال تطيعونهم في معاصي الله، وقد بينا معنى النذ بشواهد فيما مضى قبل.

وقوله: ﴿ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول: الذي فعل هذا الفعل، وخلق الأرض في يومين، مالك جميع الجن والإنس، وسائر أجناس الخلق، وكل ما دونه مملوك له، فكيف يجوز أن يكون له نذ؟! هل يكون المملوك العاجز الذي لا يقدر على شيء نذًا لمالكه القادر عليه؟.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رُوسًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءٍ لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ﴾.

يقول تعالى ذكره: وجعل في الأرض التي خلق في يومين جبالا رواسي، وهي الثوابت في الأرض ﴿مِنْ فَوْقِهَا﴾، يعني: من فوق الأرض على ظهرها.

وقوله: ﴿وَبَرَكَ فِيهَا﴾ يقول: وبارك في الأرض فجعلها دائمة الخير لأهلها.

﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم: وقدر فيها أقوات أهلها بمعنى أرزاقهم ومعاشهم.

وقال آخرون: بل معناه: وقدر فيها ما يصلحها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وقدر فيها جبالها وأنهارها وأشجارها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وقدر فيها أقواتها من المطر.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وقدر في كل بلدة منها ما لم يجعله في

التسهيل لتأويل التنزيل

الآخر منها لمعاش، بعضهم من بعض بالتجارة من بلدة إلى بلدة.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى أخبر أنه قدّر في الأرض أقوات أهلها، وذلك ما يقوتهم من الغذاء، ويصلحهم من المعاش، ولم يخصص جلّ ثناؤه بقوله: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ أنه قدّر فيها قوتا دون قوت، بل عم الخبر عن تقديره فيها جميع الأقوات، ومما يقوت أهلها ما لا يصلحهم غيره من الغذاء، وذلك لا يكون إلا بالمطر والتصرف في البلاد لما خصّ به بعضا دون بعض، ومما أخرج من الجبال من الجواهر، ومن البحر من المأكّل والحليّ، ولا قول في ذلك أصح مما قال جلّ ثناؤه: قدّر في الأرض أقوات أهلها لما وصفنا من العلة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

هذا إنكار من الله على المشركين الذين عبدوا معه غيره، وهو الخالق لكل شيء، القاهر لكل شيء، المقدر لكل شيء، فقال: ﴿قُلْ أَيْنَ كُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا﴾ أي: نظراء وأمثالا تعبدونها معه ﴿ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: الخالق للأشياء هو رب العالمين كلهم.

وقال رَحِمَهُ اللهُ:

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رُوسًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا﴾ أي: جعلها مباركة قابلة للخير والبذر والغراس، ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾، وهو: ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق والأماكن التي تزرع وتغرس، يعني: يوم الثلاثاء والأربعاء، فهما مع اليومين السابقين أربعة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٌ لِلْسَّالِفِينَ

﴿١٠﴾ أي: لمن أراد السؤال عن ذلك ليعلمه.

وقال مجاهد وعكرمة في قوله: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾، جعل في كل أرض ما لا يصلح في غيرها، ومنه: العصب باليمن، والسابري بسابور والطبالسة بالرّي.

وقال ابن عباس، وقتادة، والسدي في قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ لِلْسَّائِلِينَ﴾ ﴿١٠﴾ أي: لمن أراد السؤال عن ذلك.

وقال ابن زيد: معناه ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٌ لِلْسَّائِلِينَ﴾ ﴿١٠﴾ أي: على وفق مراد من له حاجة إلى رزق أو حاجة، فإن الله قدر له ما هو محتاج إليه.

وهذا القول يشبه ما ذكروه في قوله تعالى: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، والله أعلم.



س: وضع معنى قوله تعالى: (سَوَاءٌ لِلْسَّائِلِينَ) ﴿١٠﴾.

ج: أما كلمة سواء فللعلماء فيها أقوال:

أحدها: أنها وصف للأيام الأربعة والمعنى: وقدر الله في الأرض أقواتها في أربعة أيام تامات غير ناقصات ولا زائدات.

والثاني: أن سواء وصف للأقوات والمعنى: قدر فيها الأقوات مستوية مع الاحتياجات، وعلى قدر الاحتياجات ويكون قوله للسائلين أي: عن كيفية تقدير الأقوات.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (سَوَاءٌ لِلْسَّائِلِينَ) ﴿١٠﴾ (اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال

التسهيل لتأويل التنزيل

بعضهم: تأويله: سواء لمن سأل عن مبلغ الأجل الذي خلق الله فيه الأرض، وجعل فيها الرواسي من فوقها والبركة، وقدّر فيها الأقوات بأهلها، وجدّه كما أخبر الله أربعة أيام لا يزدن على ذلك ولا ينقصن منه. وقال آخرون: بل معنى ذلك: سواء لمن سأل ربه شيئاً مما به الحاجة إليه من الرزق، فإن الله قد قدر له من الأقوات في الأرض، على قدر مسألة كل سائل منهم لو سأله لما نفذ من علمه فيهم قبل أن يخلقهم.



س: وضع معنى قوله تعالى: (أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا)؟

ج: المعنى، والله أعلم أن الله لما خلق السموات والأرض قال لهما أخرجا ما فيكما مما أودعته لعبادي طائعتين أو ستخرجاه مجبرتين. والذي أودع في الأرض منه الثمار والأشجار والنباتات والأنهار وغير ذلك.

والذي أودع في السماء الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك.

وقال الطبري رحمه الله: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ).

يعني تعالى ذكره: ثم استوى إلى السماء، ثم ارتفع إلى السماء. وقد بينا أقوال أهل العلم في ذلك فيما مضى قبل.

وقوله: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ آتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ يقول جل ثناؤه: فقال الله

للسماء والأرض: جيئنا بما خلقت فيكما، أما أنت يا سماء فأطلي ما خلقت فيك من الشمس والقمر والنجوم، وأما أنت يا أرض فأخرجي ما خلقت فيك من الأشجار والثمار والنبات، وتشققي عن الأنهار ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ ﴿جئنا بما أحدثت فينا من خلقك، مستجيبين لأمرك لا نعصي أمرك.﴾

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾، وهو: بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت السموات، ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ آئِيتَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ أي: استجبيا لأمرى، وانفعلا لفعلي طائعتين أو مكرهتين.



س: **وضح معنى قوله تعالى: (فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢))**.

ج: المعنى، والله أعلم، فأنهم خلقهن، وهن سبع سموات في يومين وألقى في كل سماء ما يريد منها وجعل السماء الدنيا مزينة بنجوم مضيئة منيرة وكذا جعل هذه النجوم تحفظ السماء من الشياطين الذين يريدون أن يتسمعوا إلى الملائكة الأعلیٰ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾، وهذا كله تقدير الله ﷻ العزيز الذي لا يمنع من شيء أراده، ﷻ الْعَلِيمِ بخلقه وبكل شيء.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره: ففرغ من خلقهن سبع سموات في يومين، وذلك يوم الخميس ويوم الجمعة ^(١).

وقوله: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ يقول: وألقى في كل سماء من السموات السبع ما أراد من الخلق.

وقوله: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا﴾ يقول تعالى ذكره: وزينا

(١) كذا قال الخميس والجمعة، والأخبار بذلك لا تصح.

التسهيل لتأويل التنزيل

السماء الدنيا إليكم أيها الناس بالكواكب وهي المصابيح.
 وقوله: ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (١٢) يقول تعالى ذكره: هذا الذي
 وصفت لكم من خلقي السماء والأرض وما فيهما، وتزييني السماء الدنيا
 بزينة الكواكب، على ما بينت تقدير العزيز في نعمته من أعدائه، العليم
 بسرائر عبادهم وعلاانيتهم، وتدبيرهم على ما فيه صلاحهم.

وقال الخطيب ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَلَاءٍ أَمْرًا﴾ أي: ورتب مقررًا في كل سماء ما تحتاج إليه
 من الملائكة، وما فيها من الأشياء التي لا يعلمها إلا هو، ﴿وَرَيْنَا السَّمَاءَ
 الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ﴾ وهن الكواكب المنيعة المشرقة على أهل الأرض،
 ﴿وَحَفَظًا﴾ أي: حرسًا من الشياطين أن تستمع إلى الملا الأعلى.
 ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (١٢) أي: العزيز الذي قد عز كل شيء فغلبه
 وقهره، العليم بجميع حركات المخلوقات وسكناتهم.



س: ما مدى صحة حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذي أخرجه مسلم في
 صحيحه عن رسول الله ﷺ قال: «خلق الله التربة يوم السبت...» (١)
 الحديث؟

ج: هذا الحديث لا يصح عن رسول الله ﷺ وقال بعدم صحة نسبته
 إلى رسول الله ﷺ عددٌ كبير من أهل العلم، وقد قدمت الحديث عليه في
 تفسير سورة البقرة (التسهيل) فراجع إن شئت.



س: كثيراً ما يطلب أهل الكفر أن ينزل مع الرسول ملكٌ من الملائكة،
وكل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾ [الأنعام: ٨]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ [٩٠].. إلى قولهم: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ [٩٢].

[الإسراء: ٩٠-٩٢]

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ [الفرقان: ٢١].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الْمَعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧] إلى غير ذلك من الآيات.



س: ما المراد بالرسل التي من بين أيديهم ومن خلفهم؟

ج: قيل في ذلك ما يلي:

الرسل التي من بين أيديهم هي الرسل التي تقدمتهم والتي من خلفهم هي التي أتتهم وهذا قول ابن جرير الطبري - رحمه الله.

أي أنه عنى بقوله (وَمِنْ خَلْفِهِمْ) ومن بعد الرسل الذي سبقوهم جاءتهم رسلٌ منهم هود عليه السلام، وقيل: الرسل التي من بين أيديهم هي الرسل التي تقدمتهم والرسل التي من خلفهم الرسل الذين جاءو من بعدهم وقيل:

التسهيل لتأويل التنزيل

الرسل التي تقدمتهم والرسل التي أرسلت في القرى المجاورة لهم، وقيل غير ذلك.



س: وضح معنى قوله تعالى: (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) إِذْ كَذَّبُوا الرُّسُلَ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَأَمَّا إِذَا مَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَفَرْتُمْ (١٤).

ج: المعنى، والله أعلم، فإن أعرض هؤلاء المشركون عن اتباعك وعن القرآن المنزل عليك فقل حذرتكم وخوفتكم صاعقة مثل تلك الصاعقة التي حلت بقبيلتي عاد وثمود لما جاءتهم الرسل، الرسل الذين أرسلوا إلى آبائهم والرسل الذين اتوهم والرسل الذين أرسلوا إلى القرى المجاورة لهم أرسلت إليهم الرسل تدعوهم إلى عبادة الله ﷻ وحده لا شريك له فكذبوهم وقالوا لو شاء ربنا أن نعبده وحده لا شريك له لأنزل ملائكة من السماء تدعو إلى عبادته وحده لا شريك له وتؤيد المرسلين فيما يدعون إليه فما دام هذا لم يحدث فإننا جاحدون لما جئتم به أيها المرسلون.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: فإن أعرض هؤلاء المشركون عن هذه الحجة التي بيّنتها لهم يا محمد، ونبهتهم عليها فلم يؤمنوا بها ولم يقرروا أن فاعل ذلك هو الله الذي لا إله غيره، فقل لهم: أنذرتكم أيها الناس صاعقة تهلككم مثل صاعقة عاد وثمود.

وقد بينا فيما مضى أن معنى الصاعقة: كل ما أفسد الشيء وغيره عن هيئته. وقيل في هذا الموضع عنى بها وقعة من الله وعذاب.

وقوله: ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ يقول: فقل: أنذرتكم صاعقة مثل صاعقه عاد وثمود التي أهلكتهم، إذ جاءت عادا وثمود الرسل من بين أيديهم؛ فقوله: ﴿إِذْ﴾ من صلة صاعقة. وعن بقوله: ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ الرسل التي أتت آباء الذين هلكوا بالصاعقة من هاتين الأمتين.

وعني بقوله: ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: من خلف الرسل الذين بعثوا إلى آبائهم رسلا إليهم، وذلك أن الله بعث إلى عاد هودا، فكذبوه من بعد رسل قد كانت تقدمته إلى آبائهم أيضا، فكذبوهم، فأهلكوا.

وقوله: ﴿أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ يقول تعالى ذكره: جاءتهم الرسل بأن لا تعبدوا إلا الله وحده لا شريك له.

قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ يقول جل شأنه: فقالوا لرسلكم إذ دعوهم إلى الإقرار بتوحيد الله: لو شاء ربنا أن نوحده، ولا نعبد من دونه شيئا غيره، لأنزل إلينا ملائكة من السماء رسلا بما تدعوننا أن نعبد، ولم يرسلكم وأنتم بشر مثلنا، ولكنه رضي عبادتنا ما نعبد، فلذلك لم يرسل إلينا بالنهاي عن ذلك ملائكة.

وقوله: ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ يقول: قالوا لرسلكم: فإننا بالذي أرسلكم به ربكم إلينا جاحدون غير مصدقين به.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بما جئتهم به من الحق: إن أعرضتم عما جئكم به من عند الله فإني أنذركم حلول نقمة الله بكم، كما حلت بالأمم الماضية من المكذبين بالمرسلين ﴿صَعِقَةً مِّثْلَ صَعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ ١٣ أي: ومن شاكلهما ممن فعل ك فعلهما.

﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾، كقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ [الأحقاف: ٢١] أي: في القرى المجاورة لبلادهم، بعث الله إليهم الرسل يأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، ومبشرين ومنذرين ورأوا ما أحل الله بأعدائه من النقم، وما ألبس أوليائه من النعم، ومع هذا ما آمنوا ولا صدقوا، بل كذبوا وجحدوا، وقالوا: ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ أي: لو شاء أرسل الله رسلا لكانوا ملائكة من عنده، ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ أي: أيها البشر ﴿كَافِرُونَ﴾ ١٤ ﴿أي: لا نتبعكم وأنتم بشر مثلنا.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ يعني كفار قريش عما تدعواهم إليه يا محمد من الإيمان.

﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَعِقَةً مِثْلَ صَعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ ١٣ أي: خوفتكم هلاكاً مثل هلاك عاد وثمود.

﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ يعني من أرسل إليهم وإلى من قبلهم ﴿أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ موضع «أن» نصب بإسقاط الخافض أي بـ«ألا تعبدوا» و﴿قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ بدل الرسل ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾

تفسير سورة فصلت

٣٩٥

كَفَرُونَ ﴿١٤﴾ من الإنذار والتبشير. قيل: هذا استهزاء منهم. وقيل: إقرار منهم بإرسالهم ثم بعده جحود وعناد.

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْوَفُ لَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٦﴾).

ج: المعنى - والله أعلم - فأما قبيلة عاد فكان من موقفهم لما أتتهم الرسل محذرة ومخوفة أنهم تعالوا على الحق ورفضوا قبوله وعاثوا في الأرض فسادًا وكبرًا ما أنزل الله به من سلطان وتمادوا في غرورهم قائلين من أشد منا قوة، وتغافلوا عن أن الله سبحانه الذي خلقهم هو أشد منهم قوة، وجحدوا آيات الله وأنكروها وكتبوا بها، فماذا كان؟ لقد أرسل الله عليهم ريحًا شديدة الهبوب ذات صوت شديد مفرع وتحمل بردًا قارسًا قائلاً في أيام متواليات مشائيم تحمل الشر كل الشر عليهم لينذيقهم الله بذلك العذاب المهين المذل المخزي، ولعذاب الآخرة أكبر من ذلك.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿ فَأَمَّا عَادُ ﴾ قوم هود ﴿ فَاسْتَكْبَرُوا ﴾ على ربهم وتجبروا ﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ تكبراً وعتواً بغير ما أذن الله لهم به ﴿ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ ﴾ وأعطاهم ما أعطاهم من عظم الخلق، وشدة البطش ﴿ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ فيحذروا عقابه، ويتقوا سطوته لكفرهم به، وتكذيبهم رسله ﴿ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ ﴿١٥﴾. يقول: وكانوا بأدلتنا

وحججنا عليهم يحدون.

يقول تعالى ذكره: فأرسلنا على عاد ريحا صرصرا.

واختلف أهل التأويل في معنى الصرصر، فقال بعضهم: عني بذلك أنها ريح شديدة.

وقال آخرون: بل عني بها أنها باردة.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول مجاهد، وذلك أن قوله: ﴿صَرْصَرًا﴾ إنما هو صوت الريح إذا هبت بشدة، فسمع لها.

وقوله: ﴿فِي أَيَّامٍ نَّحْسَاتٍ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل النحسات، فقال بعضهم: عني بها المتتابعات.

وقال آخرون: عني بذلك المشائم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال: ﴿فِي أَيَّامٍ نَّحْسَاتٍ﴾ أيام والله كانت مشئومات على القوم.

وفي رواية: المشئومات النكدات.

قال الطبري رحمه الله:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال عني بها: أيام مشائم ذات نحوس؛ لأن ذلك هو المعروف من معنى النحس في كلام العرب.

وقال رحمه الله:

وقوله: ﴿لَنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يقول جل ثناؤه: ولعذابنا إياهم في الآخرة أخزى لهم وأشد إهانة وإذلالا. يقول: وهم يعني عادا لا ينصرهم من الله يوم القيامة إذا عذبهم ناصر، فينقذهم منه، أو ينتصر لهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: بغوا وعتوا وعصوا، ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ أي: منوا بشدة تركيبيهم وقواهم، واعتقدوا أنهم يمتنعون به من بأس الله! ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ أي: أفلم يفكرون فيمن يبارزون بالعداوة؟ فإنه العظيم الذي خلق الأشياء وركب فيها قواها الحاملة لها، وإن بطشه شديد، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]، فبارزوا الجبار بالعداوة، وجدوا بآياته وعصوا رسوله، فلهذا قال: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ قال بعضهم: وهي الشديدة الهبوب وقيل: الباردة. وقيل: هي التي لها صوت. والحق أنها متصفة بجميع ذلك، فإنها كانت ريحا شديدة قوية؛ لتكون عقوبتهم من جنس ما اغتروا به من قواهم، وكانت باردة شديدة البرد جدا، كقوله تعالى: ﴿بَرِيحٌ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦]، أي: باردة شديدة، وكانت ذات صوت مزعج، ومنه سمي النهر المشهور ببلاد المشرق «صرصر» لقوة صوت جريه.

وقوله: ﴿فِي أَيَّامٍ نَّحْسَاتٍ﴾ أي: متتابعات، ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٧]، كقوله: ﴿فِي يَوْمٍ نَخَسٍ مَّتَمِّمٍ﴾ [القمر: ١٩]، أي: استكملوا بهذا العذاب في يوم نحس عليهم، واستمر بهم هذا النحس سبع ليالٍ وثمانية أيام حتى أبادهم عن آخرهم، واتصل بهم خزي الدنيا بعذاب الآخرة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿لَنَذِقَنَّهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى﴾ [أي] أشد خزيا لهم، ﴿وَهُمْ لَا يُصْرُونَ﴾ [أي: في الأخرى، كما لم

التسهيل لتأويل التنزيل

ينصروا في الدنيا، وما كان لهم من الله من واق يقيهم العذاب ويدراً عنهم النكال.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ على عباد الله هود ومن آمن معه ﴿يَغِيرُ الْحَقَّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ اغتروا بأجسامهم حين تهددهم بالعذاب، وقالوا نحن نقدر على دفع العذاب عن أنفسنا بفضل قوتنا. وذلك أنهم كانوا ذوي أجسام طوال وخلق عظيم.

وقد مضى في [الأعراف] عن ابن عباس: أن أطولهم كان مائة ذراع وأقصرهم كان ستين ذراعاً.

فقال الله تعالى ردّاً عليهم: ﴿وَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ وقدرة، وإنما يقدر العبد بإقدار الله، فإله أقدر إذاً.

﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ (١٥) أي: بمعجزاتنا يكفرون.

قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ هذا تفسير الصاعقة التي أرسلها عليهم، أي ريحاً باردة شديدة البرد وشديدة الصوت والهبوب.

وقال القرطبي أيضاً:

﴿فِي أَيَّامٍ مَحْصَاتٍ﴾ أي مشنومات، قاله مجاهد.

وقال القرطبي أيضاً:

قوله: ﴿لِنَذِيقَهُمْ﴾ أي لكي نذيقهم ﴿عَذَابَ الْحَزَنِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي العذاب بالريح العقيم.

﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى﴾ أي أعظم وأشد.

﴿وَهُمْ لَا يُصْرُونَ﴾ (١٦) ﴿



س: وضع معنى قوله تعالى: (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى

فَأَخَذْتَهُمْ صَاعِقَةً الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١٧) .

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - وأما قبيلة ثمود فبصرناهم وبيننا لهم طريق الخير وطريق الشر فاختراروا طريق الشر على طريق الخير، وطريق الغواية على طريق الهداية فأخذتهم صاعقة العذاب المذل المخزي المهين بكسبهم السبيل، وشركهم بالله وإجرامهم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: فبيننا لهم سبيل الحق وطريق الرشـد.

وأورد عن قتادة بإسناد حسن: بينا لهم سبيل الخير والشر.

وعن ابن زيد بإسناد صحيح: أعلمناهم الهدى والضلالة، ونهيناهم أن

يتبعوا الضلالة، وأمرناهم أن يتبعوا الهدى.

وقوله: ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ يقول: فاختراروا العمى على البيان

الذي بينت لهم، والهدى الذي عرفتهم، بأخذهم طريق الضلال على

الهدى، يعني على البيان الذي بينه لهم، من توحيد الله.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد:

في قوله: ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ قال: استحبوا الضلالة على

الهدى، وقرأ: ﴿كَذَلِكَ زَيَّلْنَا كُلَّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٨] ... إلى آخر

الآية، قال: فزين لثمود عملها القبيح، وقرأ: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ﴾

حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ﴿٨﴾ [فاطر: ٨] ... إلى آخر الآية.

قال الطبري:

وقوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صِعْقَةُ الْعَذَابِ لَهْمُونَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يقول: فأهلكتهم من العذاب المذل المهين لهم مهلكة أدلتهم وأخزتهم، والهون: هو الهوان.
وقوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٧) من الآثام بكفرهم بالله قبل ذلك، وخلافهم إياه، وتكذيبهم رسوله.

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ قال ابن عباس، وأبو العالية، وسعيد بن جبير، وقتادة، والسدي، وابن زيد: بينا لهم.
وقال الثوري: دعوناهم.

﴿فَاسْتَجَبُوا أَلْعَمَى عَلَى الْهَدَى﴾ أي: بصبرناهم، وبيننا لهم، ووضحنا لهم الحق على لسان نبيهم صالح □، فخالفوه وكذبوه، وعفروا ناقة الله التي جعلها آية وعلامة على صدق نبيهم، ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صِعْقَةُ الْعَذَابِ لَهْمُونَ﴾ أي: بعث الله عليهم صيحة ورجفة وذلا وهوانا وعذابا وتكالا ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٧) أي: من التكذيب والجحود.

﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: من بين أظهرهم، لم يمسه سوء، ولا نالهم من ذلك ضرر، بل نجاهم الله مع نبيهم صالح بإيمانهم، وتقواهم لله ﷻ.

قال السعدي رحمه الله:

وأما ثمود وهم القبيلة المعروفة الذين سكنوا الحجر وحواليه، الذين أرسل الله إليهم صالحا ﷺ، يدعوهم إلى توحيد ربهم، وينهاهم عن

تفسير سورة فصلت

٤٠١

الشرك وآتاهم الله الناقة، آية عظيمة، لها شرب ولهم شرب يوم معلوم، يشربون لبنها يومًا ويشربون من الماء يومًا، وليسوا ينفقون عليها، بل تأكل من أرض الله؛ ولهذا قال هنا: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَهُمْ﴾ أي: هداية بيان، وإنما نص عليهم؛ وإن كان جميع الأمم المهلكة، قد قامت عليهم الحجة، وحصل لهم البيان، لأن آية ثمود، آية باهرة، قد رآها صغيرهم وكبيرهم، وذكرهم وأنشأهم، وكانت آية مبصرة، فلهذا خصهم بزيادة البيان والهدى. ولكنهم - من ظلمهم وشرهم - استحبوا العمى - الذي هو الكفر والضلال - على الهدى - الذي هو: العلم والإيمان - ﴿فَأَخَذْتَهُمْ صَاعِقَةً الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٧) لا ظلمًا من الله لهم.

﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (١٨) أي نجي الله صالحًا عليه السلام ومن اتبعه من المؤمنين المتقين للشرك، والمعاصي.

قال الشنقيطي رحمه الله:

وما تضمنته هذه الآية الكريمة ، من أن الهدى يأتي في القرآن بمعناه العام ، الذي هو البيان ، والدلالة ، والإرشاد ، لا ينافي أن الهدى قد يطلق في القرآن في بعض المواضع ، على الهدى الخاص الذي هو التوفيق ، والاصطفاء ، كقوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ آفَتُهُ﴾ (١٩) الأنعام : ٩٠ .

فمن إطلاق القرآن الهدى على معناه العام قوله هنا : ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَهُمْ﴾ أي بينا لهم طريق الحق وأمرناهم بسلوكها ، وطرق الشر ونهيناهم عن سلوكها على لسان نبينا صالح ، عليه وعلى نبينا الصلاة

التسهيل لتأويل التنزيل

والسلام ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ أي اختاروا الكفر على الإيمان بعد إيضاح الحق لهم .

ومن إطلاقه على معناه العام قوله تعالى : ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ [الإنسان : ٣] بدليل قوله بعده ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان : ٣] ؛ لأنه لو كان هدى توفيق لما قال : ﴿وَأِمَّا كَفُورًا﴾ .

ومن إطلاقه على معناه الخاص قوله تعالى : ﴿فِيهِ هَدَيْنَاهُمْ أَفْقَادَهُ﴾ [الأنعام : ٩٠] . وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هَتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد : ١٧] . وقوله : ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ [الكهف : ١٧] .

وبمعرفة هذين الإطلاقين تنبسط إزالة إشكال قرآني : هو أنه تعالى : أثبت الهدى لنبينا □ في آية ، وهي قوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى : ٥٢] ونفاه عنه في آية أخرى وهي قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص : ٥٦] .

فيعلم مما ذكرنا: أن الهدى المثبت له □ ، هو الهدى العام الذي هو البيان ، والدلالة والإرشاد ، وقد فعل ذلك □ فبين المحلحة الباطل ، حتى تركها ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

والهدى المنفي عنه في آية: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص : ٥٦] هو الهدى الخاص الذي هو التفضل بالتوفيق ، لأن ذلك بيد الله وحده ، وليس بيده □ ، كما قال تعالى : ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ﴾ [المائدة : ٤١] الآية . وقوله تعالى : ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ [النحل : ٣٧]

والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [البقرة : ١٨٥] الآية ، لا منافاة فيه بين عموم الناس في هذه الآية . وخصوص المتقين في قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ٢] لأن الهدى العام للناس هو الهدى العام ، والهدى الخاص بالمتقين ، هو الهدى الخاص كما لا يخفى .

وقد بينا هذا في غير هذا الموضع ، والعلم عند الله تعالى .

وقال الشنقيطي رحمه الله:

قوله تعالى : ﴿ فَأَخَذْتَهُمْ صَاعِقَةً الْعَذَابِ الْهُونِ ﴾ الآية .
الفاء في قوله : فأخذتهم سببية ، أي فاستحبوا العمى على الهدى ، وبسبب ذلك ، أخذتهم صاعقة العذاب الهون .
واعلم أن الله جل وعلا عبر عن الهلاك الذي أهلك به ثمود ، بعبارات مختلفة ، فذكره هنا باسم الصاعقة في قوله : ﴿ فَأَخَذْتَهُمْ صَاعِقَةً الْعَذَابِ الْهُونِ ﴾ وقوله : ﴿ فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ ﴾ [الصافات : ١٣] .
وعبر عنه أيضاً بالصاعقة في سورة الذاريات في قوله تعالى : ﴿ وَفِي ثُمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ ﴾

﴿ ٤٢ ﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ [الذاريات : ٤٣ ، ٤٤] .
وعبر عنه بالصيحة في آيات من كتابه ، كقوله تعالى في سورة هود في إهلاكه ثمود : ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جِثْمِينَ ﴾ [٦٧] كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا إِلَّا إِنَّا نَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ الْأَبَدُ الثَّمُودَ ﴾ [هود : ٦٧ ، ٦٨] وقوله

التسهيل لتأويل التنزيل

تعالى في الحجر : ﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴾ (٨٢) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ [الحجر : ٨٢ ، ٨٣] وقوله تعالى في القمر : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ ﴾ (٣١) [القمر : ٣١] . وقوله تعالى في العنكبوت : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ ﴾ [العنكبوت : ٤٠] يعني به ثمودا المذكورين في قوله قبله : ﴿ وَعِبَادًا وَثُمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّنْ مَّسْكِنِهِمْ ﴾ [العنكبوت : ٣٨] الآية .

وعبر عنه بالرجفة ، في سورة الأعراف في قوله تعالى : ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أَيْتُنَا يَمَّا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٧٧) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴿ [الأعراف : ٧٧ ، ٧٨] الآية .

وعبر عنه بالتدمير في سورة النمل ، في قوله تعالى : ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمِينَ ﴾ (٥١) [النمل : ٥١] .
وعبر عنه بالطاغية في الحاقة في قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴾ (٥) [الحاقة : ٥] .

وعبر عنه بالدمدمة في الشمس في قوله تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوا فَقَتَلُوا فَعَقَرُواهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمُ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴾ (١٤) [الشمس : ١٤] .
وعبر عنه بالعذاب ، في سورة الشعراء ، في قوله تعالى : ﴿ فَعَقَرُواهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴾ (١٥٧) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴿ [الشعراء : ١٥٧ ، ١٥٨] الآية .

ومعنى هذه العبارات كلها راجع إلى شيء واحد ، وهو أن الله أرسل عليهم صيحة أهلكتهم ، والصيحة الصوت المزعج المهلك .
والصاعقة تطلق أيضاً على الصوت المزعج المهلك ، وعلى النار

تفسير سورة فصلت

٤٠٥

المحرقة، وعليهما معًا ، ولشدة عظم الصيحة وهولها من فوقهم ، رجفت بهم الأرض من تحتهم ، أي تحركت حركة قوية ، فاجتمع فيها أنها صيحة وصاعقة ورجفة، وكون ذلك تدميرًا واضح .

وقيل لها طاغية ، لأنها واقعة مجاوزة للحد في القوة وشدة الإهلاك .

والطغيان في لغة العرب : مجاوزة الحد .

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَمَاطِعَا الْمَاءِ ﴾ [الحاقة : ١١] الآية . أي جاوز الحدود التي يبلغها الماء عادة .

واعلم أن التحقيق ، أن المراد بالطاغية في قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ٥ ﴾ [الحاقة : ١٠] أنها الصيحة التي أهلكهم الله بها ، كما يوضحه قوله بعده : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ٦ ﴾ [الحاقة : ٦] .

خلافاً لمن زعم أن الطاغية ، مصدر كالعافية ، والعافية ، وأن المعنى أنهم أهلكوا بطغيانهم ، أي بكفرهم ، وتكذيبهم نبيهم ، كقوله : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَنِهَا ١١ ﴾ [الشمس : ١١] .

وخلافاً لمن زعم أن الطاغية هي أشقاهم ، الذي انبعث فعقر الناقة ، وأنهم أهلكوا بسبب فعله وهو عقره الناقة ، وكل هذا خلاف التحقيق والصواب إن شاء الله هو ما ذكرنا ، والسياق يدل عليه واختاره غير واحد .

وأما قوله تعالى : ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمُ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ١٤ ﴾ [الشمس : ١٤] فإنه لا يخالف ما ذكرنا؛ لأن معنى دمدم عليهم ربهم بذنوبهم ، أي أطلق عليهم العذاب وألبسهم إياه ، بسبب ذنوبهم .

التسهيل لتأويل التنزيل

قال الزمخشري في معنى دمدم: وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة ، إذا ألبسها الشحم .

وأما إطلاق العذاب عليه في سورة الشعراء فواضح ، فاتضح رجوع معنى الآيات المذكورة إلى شيء واحد .



س: وضع معنى قوله تعالى: (وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) (١٨).

ج: المعنى - والله أعلم - ولما حلَّ العذاب المخزي المهين بأهل الظلم أنجى الله أهل الإيمان الذين اتقوا الشرك، واتقوا العصيان وصدقوا المرسلين.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ يقول: ونجينا الذين آمنوا من العذاب - الذي أخذهم بكفرهم بالله - الذين وحدوا الله، وصدقوا رسله. يقول: وكانوا يخافون الله أن يحل بهم من العقوبة على كفرهم لو كفروا ما حل بالذين هلكوا منهم، فأمنوا اتقاء الله وخوف وعيده، وصدقوا رسله، وخلعوا الآلهة والأنداد.



س: كثيراً ما يرد في الكتاب العزيز أن الله ﷻ يُنْجِي أهل الإيمان ثم

يحلُّ بأسه بالظالمين دَلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قول تعالى لموسى **ﷺ**: ﴿ فَاسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴾ (٢٣) وَأَتْرُكُ الْبَحْرَ

رَهْوَإِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ [الدخان: ٢٣، ٢٤].

تفسير سورة فصلت

٤٠٧

وقوله تعالى للوط **﴿الأنبياء﴾**: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ **﴿٦٥﴾**﴾ **[الحجر: ٦٥]**.

وقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ **﴿٣٥﴾**﴾ **[الذاريات: ٣٥]**.

وقوله تعالى في هذه الآيات: ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ **﴿١٨﴾**﴾.

وقوله تعالى لنوح **﴿الأنبياء﴾**: ﴿فَأَسْلَفَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَئِينَ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ **﴿٢٧﴾**﴾ **[المؤمنون: ٢٧]**. إلى غير ذلك.

mostafaalany.com

قال الله تعالى:

(وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِمَ جُلِدْنَا بِمَا كُنَّا بَنَاءً لَّهَا بَنِينَ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْنَا فَنَقَلْنَا لَنَا السَّيْرَ لَنُبَدِّلَ فِيهَا وَلَئِنَّا ظَالِمُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تُسْتَعْرَضُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ هُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلَلْنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾)

[فصلت: ١٩-٢٩]

س: اذكر معنى ما يلي:

(يُحْشَرُ - يُوزَعُونَ - تَسْتَرُونَ - أَرْدَكُمْ - مَثْوَى لَهُمْ - يَسْتَعْتَبُوا -
 الْمُعْتَبِينَ - وَقِضْنَا - قُرْنَا - فَرَيْنُوا - مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ - وَحَقَّ
 عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ - قَدْ خَلَتْ - وَالْغَوَا فِيهِ - دَارُ الْخُلْدِ - يَجْحَدُونَ).

ج:

الكلمة	معناها
(يُحْشَرُ)	يجمع
(يُوزَعُونَ)	يوزعون أولهم على آخرهم فيكونون صفًا لهم وزعة يزعونهم أي: يردون من أراد التقدم على الآخر، ويدفعون من تخلف - يدفعون يساقون
(تَسْتَرُونَ)	تستخفون
(أَرْدَكُمْ)	أهلككم
(مَثْوَى لَهُمْ)	مقام لهم - مسكن لهم
(يَسْتَعْتَبُوا)	يطلبوا أن تقبل منهم الأعذار
(الْمُعْتَبِينَ)	الذين قبلت أَعذارهم وقوله: ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ أي: ليسوا ممن قبلت أَعذارهم
(وَقِضْنَا)	هيأنا - بعثنا - أرسلنا
﴿قُرْنَا﴾	نظراء - جلساء على شاكلتهم
(فَرَيْنُوا)	حسنوا
(مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ)	ما مضى من أمرهم وما هم فيه وما هو آت

التسهيل لتأويل التنزيل

٤١٠

تحقق فيهم ما كتبه الله عليهم	(وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ)
قد مضت	(فَدَخَلَتْ)
شوشوا عليه عند قراءته - صفقوا وصفروا عند تلاوته	(وَالْغَوَا فِيهِ)
دار المكث والإقامة وعدم الانتقال	(دَارُ الْخُلْدِ)
ينكرون - يكذبون	(يَكْذِبُونَ)



س: **وضح معنى قوله تعالى: (وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ)** (١٩)

ج: الحق إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وظلورهم بما كانوا يعملون (٢٠)؟

ج: المعنى - والله أعلم - واذكر يا رسول الله، واذكر يا ابن آدم يوماً، وهو يوم القيامة يجمع فيه الأولون والآخرون، يُحْشَرُ فيه أهل الكفر والتكذيب أعداء الله ورسله المشركون بالله ﷻ يجمعون أهل الكفر مع بعضهم البعض كل مع نظيره من أهل الإجماع فيصفون ولهم وزعة من الملائكة يردون أولهم حتى يكون مع آخرهم، يكونون معاً ويدفع بهم إلى النار كما قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ فإذا جاءوا النار وأنكروا شركهم بالله ﷻ في الدنيا وطلبوا من يشهد، طلبوا شاهداً عليهم من أنفسهم كما تقدم في الحديث، فحينئذٍ تتكلم أركانهم، تكلم سمعهم استمعت بي يوم كذا وكذا إلى كذا وكذا، وتكلمت أبصارهم (أعينهم تقول نظرت بي يوم كذا وكذا إلى كذا وكذا وكذا الجلود (بما فيها الفروج) تقول: مسست بي كذا وكذا يوم كذا وكذا.

تفسير سورة فصلت

٤١١

فكل جراحة تشهد على صاحبها بما اجتناه بها وبما فعله بها.
وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره: ويوم يجمع هؤلاء المشركون أعداء الله إلى النار، إلى نار جهنم، فهم يحبس أولهم على آخرهم.
وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ﴾ يقول: حتى إذا ما جاؤوا النار شهد عليهم سمعهم بما كانوا يصغون به في الدنيا إليه، ويسمعون له، وأبصارهم بما كانوا يبصرون به وينظرون إليه في الدنيا ﴿وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٨٠)
وقد قيل: عني بالجلود في هذا الموضع: الفروج.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾^(٨١) أي: اذكر لهؤلاء المشركين يوم يحشرون إلى النار ﴿يُوزَعُونَ﴾^(٨٢)، أي: تجمع الزبانية أولهم على آخرهم، كما قال تعالى: ﴿وَسَوْفَ الْجَحِيمِ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾^(٨٣) [مريم: ٨٦]، أي: عطاشًا.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا﴾ أي: وقفوا عليها، ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٨٤) أي: بأعمالهم مما قدموه وأخروه، لا يُكْتَمُ منه حرف.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا﴾ ﴿مَا﴾ زائدة ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ

التسهيل لتأويل التنزيل

وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ الجلود يعني بها الجلود أعيانها في قول أكثر المفسرين وقال السدي وعبيد الله بن أبي جعفر والفراء: أراد بالجلود الفروج، وأنشد بعض الأدباء لعامر بن جؤية:

المـرء يسـعى للـسـلا مة والسـلامـة حـسـبـه

أو سـلـم مـن قـد تـثـنى جـلـده وابـيض رأسـه

وقال: جلده كناية عن فرجه.

وقال الشنقيطي رحمه الله:

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ ﴿١٩﴾ أي: يرد أولهم إلى آخرهم ، ويلحق آخرهم بأولهم ، حتى يجتمعوا جميعًا ، ثم يدفعون في النار ، وهو من قول العرب : وزعت الجيش ، إذا حبست أوله على آخره حتى يجتمع .

وأصل الوزع: الكف، تقول العرب وزعه ، يزعه وزعًا ، فهو وازع له ، إذا كفه عن الأمر ، ومنه قول نابغة ذبيان :

على حين عاتبت المشيب على فقلت ألمّا أصبغ والمشيبي وازع الصبا

وقول الآخر :

ولن يزع النفس اللجوج عن من الناس إلا وافر العقل كامل

وبما ذكرنا تعلم أن أصل معنى يوزعون . أي يكف أولهم عن التقدم وآخرهم عن التأخر حتى يجتمعوا جميعًا .

وذلك يدل على أنهم يساقون سوقًا عنيفًا ، يجمع به أولهم مع آخرهم . وقد بين تعالى أنهم يساقون إلى النار في حال كونهم عطاشًا في قوله

تفسير سورة فصلت

٤١٣

تعالى : ﴿وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرَدًا﴾ [٨٦] ﴿مريم : ٨٦﴾ ، ولعل الوزع المذكور في الآية يكون في الزمرة الواحدة من زمر أهل النار ، لأنهم يساقون إلى النار زمراً زمراً كما قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الزمر في الكلام على قوله تعالى : ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر : ٢١] الآية .

س: ما المراد بالجلود في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور : ١٤] ؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان :

أحدهما: أن المراد عموم الجلود، فكل جلد ابن آدم يشهد عليه.

الثاني: أن المراد بالجلود الفروج، ولكن الله سبحانه وتعالى كفى عنها.

قال الطبري مرجحاً القول الأول:

وهذا القول الذي ذكرناه عمن ذكرنا عليه في معنى الجلود وإن كان معنى يحتمله التأويل، فليس بالأغلب على معنى الجلود ولا بالأشهر وغير جائز نقل معنى ذلك المعروف على الشيء الأقرب إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها.

قلت (مصطفى): ولا شك أن القول الأول أرجح وذلك لأنه إضمار كظاهر الناس ولأنه أعم من القول الثاني والقول الثاني داخل فيه، والله أعلم.



س: اذكر بعض الوارد في شهادة الجوارح على العبد يوم القيامة؟

ج: قد قدمت شيئاً من ذلك في تفسير سورة النور عند قوله تعالى : ﴿

التسهيل لتأويل التنزيل

يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمُ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴿النور: ٢٤﴾.
وفي سورة البلد عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾﴾ [البلد: ٧-٩].

وهنا قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾.
وفي سورة يس يقول تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: ٦٥].

وأخرج مسلم ^(١) في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَضَحِكَ فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟». قَالَ: قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «مَنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجَرِّنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى. قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أَجِيزُ عَلَىٰ نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا - قَالَ: - فَيُخْتَمُ عَلَىٰ فِيهِ فَيُقَالُ لَأَرْكَانِهِ: انْطَقِي. قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ - قَالَ - ثُمَّ يَخْلَىٰ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ - قَالَ - فَيَقُولُ: بَعْدًا لَكُنَّ وَسَحَقًا. فَعَتَكُنَّ كُنْتُ أَنَا ضِلُّ.»

وأخرج الطبري ^(٢) وغيره بسندٍ صحيح عن بهز بن حكيم عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا لِي أُمْسِكُ بِحُجْرَتِكُمْ مِنَ النَّارِ؟ أَلَا إِنَّ رَبِّي دَاعِيٌّ وَإِنَّهُ سَائِلِي هَلْ بَلَغْتَ عِبَادَتَهُ؟ وَإِنِّي قَائِلٌ: رَبِّ قَدْ بَلَغْتُهُمْ، فَيُبَلِّغُ شَاهِدَكُمْ غَائِبَكُمْ، ثُمَّ إِنَّكُمْ مُدْعُونَ مُقَدِّمَةً أَقْوَاهُكُمْ بِالْفِدَامِ، ثُمَّ إِنَّ أَوَّلَ مَا يُبَيِّنُ

(١) مسلم (٢٩٦٩).

(٢) الطبري (٣٠٤٩١) وبهز عن أبيه عن جده سلسلة حسنة ولكن بهزاً متابع فالسند يصح.

عَنْ أَحَدِكُمْ لَفَحْدُهُ وَكَفُّهُ».

وفي رواية من طريق أبي قزعة عن حكيم عن أبيه:

عن النبي ﷺ أنه قال، وأشار بيده إلى الشام، قال: «هاهنا إلى هاهنا تحشرون ركبانا ومشاة على وجوهكم يوم القيامة، على أفواهكم الفداء، تؤفون سبعين أمة أنتم آخرها وأكرمها على الله، وإن أول ما يعرب من أحدكم فحده».



س: هل صح لهذه الآية التريمة؟ ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ سبب نزول؟

ج: نعم صح لا سبب نزول ففي صحيح مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: اجتمع عند البيت ثلاثه نفر فرشيان وثقفي أو ثقفيان وفرشي، قليل فقه قلوبهم، كثير شحم بطونهم فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما نقول وقال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا. فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [فصلت: ٢٢] الآية ^(١).



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) ﴿١١﴾ وما كنتم تستترون أن

(١) مسلم (٢٧٧٥)، والبخاري (٤٨١٧).

التسهيل لتأويل التنزيل

يَشْهَدُ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ
(٢٢) ؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم – أن الجلود لما تكلمت وكذلك الجوارح والأركان، أصحاب الجلود، من أهل الكفر جلودهم لما شهدتم علينا، وأنتم تعلمون أننا سنعذب وأنتم فينا؟ ومعنا وستعذبون؛ فأجابت الجلود حينئذٍ على أصحابها قائلة: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء، ونعم فالله على كل شيء قدير، سبحانه وتعالى مكن الجلود من النطق والكلام كي تشهد على أصحابها.

ثم تواصل الجلود حينها الذي يعمل تأنيباً وتوبيخاً لأصحابها فتقول، وقد خلقكم الله ﷻ أول مرة وكنتم تعلمون ذلك، ولكن ما راقبتم ربكم ولا خشيتموه في سرٍّ ولا في علن وما كنتم تستترون وتستخفون من جوارحكم التي ستشهد عليكم، وكنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم بل وظننتم أن الله يخفى عليه كثيرٌ من أمركم وعملكم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء الذين يحشرون إلى النار من أعداء الله سبحانه لجلودهم إذ شهدت عليهم بما كانوا في الدنيا يعملون: لم تشهدتم علينا بما كنا نعمل في الدنيا؟

فأجابتهم جلودهم: ﴿أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فنطقنا؛ وذكر أن هذه الجوارح تشهد على أهلها عند استشهاد الله إياها عليهم إذا هم أنكروا الأفعال التي كانوا فعلوها في الدنيا بما يسخط الله، وبذلك جاء الخبر عن

تفسير سورة فصلت

٤١٧

رسول الله ﷺ.

وقوله: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يقول تعالى ذكره: والله خلقكم الخلق الأول ولم تكونوا شيئاً. ﴿وَالِيَهُ تَرْجَعُونَ﴾ يقول: وإليه مصيركم من بعد مماتكم. ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ﴾ في الدنيا ﴿أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة ﴿سَمْعَكُمْ وَلَا أَبْصَارَكُمْ وَلَا جُلُودَكُمْ﴾.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ﴾، فقال بعضهم: معناه: وما كنتم تستخفون.

وقال آخرون: معناه: وما كنتم تتقون.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما كنتم تظنون.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ﴾ يقول: وما كنتم تظنون ﴿أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعَكُمْ وَلَا أَبْصَارَكُمْ﴾ حتى بلغ ﴿كثيراً مما﴾ كنتم تعملون، والله إن عليك يا ابن آدم لشهوداً غير متهمة من بدنك، فراقبهم واتق الله في سر أمرك وعلاانيتك، فإنه لا يخفي عليه خافية، الظلمة عنده ضوء، والسر عنده علانية، فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظن فليفع، ولا قوة إلا بالله.

ثم قال الطبري رحمه الله:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: وما كنتم تستخفون، فتتركوا ركوب محارم الله في الدنيا حذراً أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم اليوم.

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصواب، لأن المعروف من

التسهيل لتأويل التنزيل

معاني الاستتار الاستخفاء.

فإن قال قائل: وكيف يستخفي الإنسان عن نفسه مما يأتي؟ قيل: قد بينا أن معنى ذلك إنما هو الأمانى، وفي تركه إتيانه إخفاؤه عن نفسه.

وقوله: ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٢) يقول جل ثناؤه: ولكن حسبتم حين ركبتكم في الدنيا من معاصي الله أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من أعمالكم الخبيثة، فلذلك لم تستتروا أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم وجلودكم، فتتركوا ركوب ما حرم الله عليكم.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوِدُّونَ أَنَّ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ أي: تقول لهم الأعضاء والجلود حين يلمونها على الشهادة عليهم: ما كنتم تتكتمون منا الذي كنتم تفعلونه بل كنتم تجاهرون الله بالكفر والمعاصي، ولا تبالون منه في زعمكم؛ لأنكم كنتم لا تعتقدون أنه يعلم جميع أفعالكم؛ ولهذا قال: ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٢٢).

وقال القرطبي رحمه الله:

﴿وَقَالُوا﴾ يعنى الكفار ﴿لِجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْهُمْ عَلَيْنَا﴾ وإنما كنا نجادل عنكم ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ لما خاطبت وخوطبت أجريبت مجرى من يعقل.

﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي ركب الحياة فيكم بعد أن كنتم نطفاء، فمن قدر عليه قدر على أن ينطق الجلود وغيرها من الأعضاء.

وقيل: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ابتداء كلام من الله.

﴿وَالَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضحك فقال: «هل تدرون مم أضحك؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «من مخاطبة العبد ربه يقول: يا رب ألم تجزني من الظلم قال: يقول: بلى قال فيقول: فإني لا أجز على نفسي إلا شاهداً مني قال يقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً قال: فيختم على فيه فيقال لأركانه انطقي فتتطق بأعماله قال ثم يخلي بينه وبين الكلام قال فيقول بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل» وفي حديث أبي هريرة ثم يقال: «الآن نبعث شاهدنا عليك ویتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال لفضذه (ولحمه وعظامه) انطقي فتتطق فضذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي سخط الله عليه» خرجه أيضاً مسلم.

وقال القرطبي أيضاً:

ومعنى ﴿تَسْتَرُونَ﴾ تستخفون في قول أكثر العلماء، أي ما كنتم تستخفون من أنفسكم حذرا من شهادة الجوارح عليكم، لأن الإنسان لا يمكنه أن يخفي من نفسه عمله، فيكون الاستخفاء بمعنى ترك المعصية. وقيل: الاستتار بمعنى الاتقاء، أي ما كنتم تتقون في الدنيا أن تشهد عليكم جوارحكم في الآخرة فنتركوا المعاصي خوفاً من هذه الشهادة. وقال معناه مجاهد.

وقال قتادة: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ﴾ أي تظنون ﴿أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾ بأن يقول سمعت الحق وما وعيت وسمعت ما لا يجوز من المعاصي ﴿

التسهيل لتأويل التنزيل

﴿وَلَا أَبْصَرُكُمْ﴾ فتقول رأيت آيات الله وما اعتبرت ونظرت فيما لا يجوز ﴿وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ تقدم.

﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٢٢) ﴿من أعمالكم فجادلتم على ذلك حتى شهدت عليكم جوارحكم بأعمالكم.

روى بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ في قوله: ﴿أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ قال: «إنكم تدعون يوم القيامة مقدمة أفواهكم بفدام فأول ما يبين عن الإنسان فخذوه وكفه».



س: **وضح معنى قوله تعالى: (وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (٢٣).**

ج: **المعنى - والله أعلم -** وهذا الظن السيئ الذي ظننتموه بالله ﷻ من كونه لا يعلم كثيراً من علمكم هو الذي أضربكم وأهلككم فأصبحتم خاسرين بسبب هذا الظن السيئ.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وهذا الذي كان منكم في الدنيا من ظنكم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون من قبائح أعمالكم ومساوئها، هو ظنكم الذي ظننتم بربكم في الدنيا أرداكم، يعني أهلككم. يقال منه: أردى فلانا كذا وكذا إذا أهلكه، وردي هو: إذا هلك، فهو يردى ردى؛ ومنه قول الأعشى:
أَفِي الطَّوَافِ خِفْتُ عَلَى الرَّدَى وَكَمْ مِنْ رَدَى أَهْلُهُ لَمْ يَرْمِ

يعني: وكم من هالك أهله لم يرم.

وأورد بإسناد حسن:

عن قتادة، قال: الظنّ ظنان؛ فظنّ منج، وظنّ مُردٍ قال: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦] قال: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حَسْبِيَ﴾ ﴿٢٠﴾ [الحاقة: ٢٠]، وهذا الظنّ المنجي ظنا يقينا، وقال ها هنا: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ بِهِ﴾ هذا ظنّ مُردٍ.

وقوله: وقال الكافرون: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُصْبِحِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ [الجاثية: ٣٢] وذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول ويروي ذلك عن ربه: «عَبْدِي عِنْدَ ظَنِّهِ بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي». وموضع قوله: ﴿وَذَلِكُمْ﴾ رفع بقوله ظنكم. وإذا كان ذلك كذلك، كان قوله: ﴿أَرَدْتُمْ﴾ في موضع نصب بمعنى: مرديا لكم. وقد يُحتمل أن يكون في موضع رفع بالاستئناف، بمعنى: مردٍ لكم، كما قال: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً ﴿٣٢﴾ [القمان: ٢، ٣] في قراءة من قرأه بالرفع. فمعنى الكلام: هذا الظنّ الذي ظننتم بربكم من أنه لا يعلم كثيرا مما تعملون هو الذي أهلككم؛ لأنكم من أجل هذا الظنّ اجترائتم على محارم الله فقدمتم عليها، وركبتم ما نهاكم الله عنه، فأهلككم ذلك وأرداكم. ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٢٣﴾ يقول: فأصبحتم اليوم من الهالكين، قد غبنتم ببيعكم منازلكم من الجنة بمنازل أهل الجنة من النار.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ بِهِ﴾ أي: هذا الظنّ الفاسد -وهو اعتقادكم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون- هو الذي أتلفكم وأرداكم عند

التسهيل لتأويل التنزيل

٤٢٢

ربكم، ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٢٣) أي: في مواقف القيامة خسرتم أنفسكم وأهليكم.



س: **وضح معنى قوله تعالى: (فَإِنْ يَصْصِرُوا فَالْنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتَبُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ) (٢٤).**

ج: **لإيضاح المعنى أقول، وبالله التوفيق:**

إن أهل النار من شدة ما هم فيه يبحثون عن أي حل كي يخرجوا من النار فأحياناً نقول: نصبر على ما نحن فيه لعل الصبر يأتي بالفرج فيصبرون ولا فرج وأحياناً يصطرون فيها كي يُنقذهم مُنقذ ولكن لا مُنقذ، وهذا كما في قوله تعالى في شأنهم: إذ قالوا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُ عَنَّا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ (٢١) [إبراهيم: ٢١].

فقوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَصْصِرُوا﴾ على النار وعلى حرها فلن يخرجوا فالنار مقامهم الذي أعد لهم، هي مثواهم وإن يعتذروا ويطلبوا الرجوع إلى الدنيا والخروج من النار لفعل ما يريد الله منهم فلن يقبل منهم هذا الاعتذار ولا تُقبل منهم تلك العتبي كالذي يقول بعد أن يرى العقاب: اتركني ولن أفعل! سامحني ولن أعود، لا تضربني قد استقمت لن أفعل مرة ثانية شيئاً يغضبك، ويقدم كل أنواع الاعتذارات ولا يقبل منه شيء.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: فإن يصبر هؤلاء الذين يحشرون إلى النار على

تفسير سورة فصلت

٤٢٣

النار، فالنار مسكن لهم ومنزل. ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا﴾ يقول: وإن يسألوا العُتْبَى، وهي الرجعة لهم إلى الذي يحبون بتخفيف العذاب عنهم. ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَيْنِ﴾ (٢٤) يقول: فليسوا بالقوم الذين يرجع بهم إلى الجنة، فيخفف عنهم ما هم فيه من العذاب، وذلك كقوله جلّ ثناؤه مخبرا عنهم: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ ... إلى قوله: ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (١٠٨) [المؤمنون: ١٠٦-١٠٨] وكقولهم لخزنة جهنم: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ يَخْفَفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾ (٤٩) [غافر: ٤٩] إلى قوله: ﴿وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (٥٠) [غافر: ٤٩-٥٠].

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿فَإِنْ يَصْبرُوا فَالْنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَيْنِ﴾ (٢٤) أي: سواء عليهم أصبروا أم لم يصبروا هم في النار، لا محيد لهم عنها، ولا خروج لهم منها. وإن طلبوا أن يستغثوا ويبدوا أعدارًا فما لهم أعدار، ولا تُقال لهم عثرات.

قال ابن جرير: ومعنى قوله: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا﴾ أي: يسألوا الرجعة إلى الدنيا، فلا جواب لهم - قال: وهذا كقوله تعالى إخبارًا عنهم: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ أَحْسَنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨) [المؤمنون: ١٠٦-١٠٨].

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَصْبرُوا فَالْنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ أي: فإن يصبروا في الدنيا على أعمال أهل النار فالنار مَثْوًى لهم.

نظيره: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ (١٧٥) [البقرة: ١٧٥] على ما تقدم.

﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا﴾ في الدنيا وهم مقيمون على كفرهم ﴿فَمَا هُمْ مِنَ

الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ .

وقيل: المعنى ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا﴾ في النار أو يجزعوا ﴿فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ أي: لا محيص لهم عنها، ودل على الجزع قوله: ﴿وَإِنْ يَسْتَغْتَبُوا﴾ لأن المستغتب جزع والمغتب المقبول عتابه، قال النابغة:

فإن أك مظلوماً فعبء ظلمته وإن تك ذا عتبي فمثلك يعتب

أي: مثلك من قبل الصلح والمراجعة إذا سئل.
قال الخليل: العتاب مخاطبة الإدلال ومذاكرة المودة.
تقول: عاتبته معاتبة، وبينهم أعتوبة يتعاتبون بها.
يقال: إذا تعاتبوا أصلح ما بينهم العتاب.
وأعتبني فلان: إذا عاد إلى مسرتي راجعاً عن الإساءة، والاسم منه العتبي، وهو رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضي العاتب.
واستعتب وأعتب بمعنى، واستعتب أيضاً طلب أن يعتب، تقول: استعنته فأعتبني أي: استرضيته فأرضاني.
فمعنى ﴿وَإِنْ يَسْتَغْتَبُوا﴾: أي: طلبوا الرضا لم ينفهم ذلك بل لا بد لهم من النار.

وفي التفاسير: وإن يستقبلوا ربهم فما هم من المقالين.
وقرأ عبيد بن عمير وأبو العالية «وإن يستعتبوا» بفتح التاء الثانية وضم الياء على الفعل المجهول «فما هم من المعتبين» بكسر التاء أي: إن أقالهم الله وردهم إلى الدنيا لم يعملوا بطاعته لما سبق لهم في علم الله من الشقاء، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨] ذكره

الهروي.

وقال ثعلب: يقال: أعتب إذا غضب وأعتب إذا رضي.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَلَّاهُمْ بِهِمْ وَجَعَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَوْلَ فِي أُمُورِهِمْ فَكَانُوا فِي سَبِيلِ الْغَوْلِ﴾
خسرين (٢٥)

ج: المعنى - والله أعلم - وهيانا لهؤلاء الكفار المكذبين شياطين نظراء هم في الضلال بل أتد منهم ضللاً وأرسلنا هؤلاء الشياطين عليهم تلازمهم وتدفع إلى المعاصي والكفر وتحملهم على فعل الكبائر، فحسنت الشياطين لهم أعمالهم، أعمال الشر التي عملوها والتي هم فيها فلم يردوا أنهم أخطؤوا إذا أشركوا ولم يروا أنهم أخطؤوا إذ زنوا وإذ سرقوا وإذ أجرموا فلم يقدموا استغفاراً ولا توبة وكذا حسنوا لهم ما هم فيه فمضوا فيه ولم يجدوا غصاصة في ذلك فوجب عليهم من العذاب ما وجب على الأمم الكافرة التي تقدمتهم من الإنس والجن، فكانوا وهم في عداد الخاسرين الهالكين الذي ضيعوا أنفسهم بإسرافهم عليها بالشرك والكبائر والمعاصي.

قال الطبري رحمه الله:

يعنى تعالى ذكره بقوله: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾ وبعثنا لهم نظراء من الشياطين، فجعلناهم لهم قرناء قرئناهم بهم يزينون لهم قبائح أعمالهم، فزينوا لهم ذلك.

التسهيل لتأويل التنزيل

وقوله: ﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يقول: فزين لهؤلاء الكفار قرناؤهم من الشياطين ما بين أيديهم من أمر الدنيا. فحسنوا ذلك لهم وحببوه إليهم حتى أثروه على أمر الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يقول: وحسنوا لهم أيضاً ما بعد مماتهم بأن دعوهم إلى التكذيب بالمعاد، وأن من هلك منهم، فلن يبعث، وأن لا ثواب ولا عقاب حتى صدقوهم على ذلك، وسهل عليهم فعل كل ما يشتهونه، وركوب كل ما يلتذونه من الفواحش باستحسانهم ذلك لأنفسهم.

وقوله: ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ يقول تعالى ذكره: ووجب لهم العذاب بركوبهم ما ركبوا مما زين لهم قرناؤهم وهم من الشياطين. ﴿فِي أَمْرِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾، يقول تعالى ذكره: وحق على هؤلاء الذين قيضنا لهم قرناء من الشياطين، فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم العذاب في أمم قد مضت قبلهم من ضربائهم، حق عليهم من عذابنا مثل الذي حقّ على هؤلاء بعضهم من الجن وبعضهم من الإنس. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾ يقول: إن تلك الأمم الذين حق عليهم عذابنا من الجن والإنس، كانوا مغبونين ببيعهم رضا الله ورحمته بسخطه وعذابه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يذكر تعالى أنه هو الذي أضل المشركين، وأن ذلك بمشيئته وكونه وقدرته، وهو الحكيم في أفعاله، بما قيض لهم من القرناء من شياطين الإنس والجن: ﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: حسنوا أعمالهم

تفسير سورة فصلت

٤٢٧

في الماضي، وبالنسبة إلى المستقبل فلم يروا أنفسهم إلا محسنين، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (٣٦) ﴿وَأَنَّهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٣٧) [الزخرف: ٣٦، ٣٧].

وقوله تعالى: ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي: كلمة العذاب كما حق على أمم قد خلت من قبلهم، ممن فعل كفعلهم، من الجن والإنس، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾ (٣٥) أي: استنواهم وإياهم في الخسار والدمار.

وقال الشنقيطي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾
لعلماء التفسير في تفسير قوله: ﴿وَقَيَّضْنَا﴾ عبارات يرجع بعضها في المعنى إلى بعض .
كقول بعضهم: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾ أي: جنناهم بهم : وأتحناهم لهم .

وكقول بعضهم: ﴿وَقَيَّضْنَا﴾ أي: هيأنا .
وقول بعضهم: ﴿وَقَيَّضْنَا﴾ أي: سلطنا .
وقول بعضهم: أي: بعثنا ووكلنا .
وقول بعضهم: ﴿وَقَيَّضْنَا﴾ أي: سببنا .
وقول بعضهم: قدرنا ونحو ذلك من العبارات ، فإن جميع تلك العبارات راجع إلى شيء واحد ، وهو أن الله تبارك وتعالى هيأ للكافرين قرناء من الشياطين يضلونهم عن الهدى ويزينون لهم الكفر والمعاصي وقدرهم عليهم .

التسهيل لتأويل التنزيل

والقرناء : جمع قرين وهم قرناؤهم من الشياطين على التحقيق .

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ فالدنيا زخرفوها بأعينهم، ودعوهم إلى لذاتها وشهواتها المحرمة حتى افتتنوا، فأقدموا على معاصي الله، وسلكوا ما شاءوا من محاربة الله ورسوله والآخرة بَعْدُوها عليهم وأنسوهم ذكرها، وربما أوقعوا عليهم الشبهة، بعدم وقوعها، فترحل خوفها من قلوبهم، فقادوهم إلى الكفر، والبدع، والمعاصي.

وهذا التسليط والتقييض من الله للمكذبين الشياطين، بسبب إعراضهم عن ذكر الله وآياته، وجحودهم الحق كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ۖ﴾ (الزخرف: ٣٦) ﴿وَاللَّهُمَّ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهُتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٣٦، ٣٧).

﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي: وجب عليهم، ونزل القضاء والقدر بعذابهم ﴿فَ﴾ جملة ﴿أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْغَنِيِّ وَالْإِسْإِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾ (٣٥) ﴿لَأَدْيَانَهُمْ وَآخَرَتَهُمْ، ومن خسر، فلا بد أن يذل ويشقى ويعذب.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (٣٦) **فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣٧)؟**

ج: هذه وصايا الكفار لبعضهم إذا ثلي القرآن أو إذا عُرض على أحد

تفسير سورة فصلت

٤٢٩

كي يؤمن به يوصي الكفار بعضهم بعضاً أن يشوشوا على هذا القرآن عند تلاوته بالحديث أثناء تلاوته – بالغناء أثناء تلاوته – بالتفسير والتصفيق أثناء تلاوته – بتكذيبه عند تلاوته، كل ذلك لعلهم يصرفوا الناس عن اتباع رسول الله ﷺ.

فتوعدهم الله ﷻ بقوله: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ على أسوأ أعمالهم التي عملوها في الدنيا أسوأ الجزاء، وأسوأ تلك الأعمال الشرك بالله – أعاذنا الله منه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ورسوله من مشركي قريش: ﴿لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ يقول: قالوا للذين يطيعونهم من أوليائهم من المشركين: لا تسمعوا لقارئ هذا القرآن إذا قرأه، ولا تصغوا له، ولا تتبعوا ما فيه فتعملوا به.

وقوله: ﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾ يقول: الغطوا بالباطل من القول إذا سمعتم قارئه يقرؤه كيما لا تسمعوه، ولا تفهموا ما فيه.

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (٢٦) يقول: لعلكم بفعلكم ذلك تصدون من أراد استماعه عن استماعه، فلا يسمعه، وإذا لم يسمعه ولم يفهمه، لم يتبعه، فتغلبون بذلك من فعلكم محمداً.

قال الله جل ثناؤه: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله من مشركي قريش الذين قالوا هذا القول عذاباً شديداً في الآخرة ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٧)

التسهيل لتأويل التنزيل

﴿ يقول: ولنثيبنهم على فعلهم ذلك وغيره من أفعالهم بأقبح جزاء أعمالهم التي عملوها في الدنيا. ﴾

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ ﴾ أي: تواصلوا فيما بينهم ألا يطيعوا للقرآن، ولا ينفادوا لأوامره، ﴿ وَالْغَوَافِیْہِ ﴾ أي: إذا تلي لا تستمعوا له.

وقال رَحِمَهُ اللهُ:

﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٦) هذا حال هؤلاء الجهلة من الكفار، ومن سلك مسلكهم عند سماع القرآن. وقد أمر الله سبحانه-عباده المؤمنين بخلاف ذلك فقال: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٢٤).

[الأعراف: ٢٠٤]

ثم قال تعالى: منتصرا للقرآن، ومنتقما ممن عاداه من أهل الكفران: ﴿ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ أي: في مقابلة ما اعتمدوه في القرآن وعند سماعه، ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: بنشر أعمالهم وسيئ فعالهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: ﴿ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ قد تقدم أن الذوق يكون محسوساً، ومعنى العذاب الشديد: ما يتوالى فلا ينقطع. وقيل: هو العذاب في جميع أجزائهم.

﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢٧) أي: ولنجزينهم في الآخرة جزاء

تفسير سورة فصلت

قبح أعمالهم التي عملوها في الدنيا.
وأسوأ الأعمال الشرك.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

﴿وَالْعَوَافِي﴾ أي: تكلموا بالكلام الذي لا فائدة فيه، بل فيه المضرة، ولا تمكنوا مع قذر نكم- أحدًا يملك عليكم الكلام به، وتلاوة ألفاظه ومعانيه، هذا لسان حالهم، ولسان مقالهم، في الإعراض عن هذا القرآن، ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ إن فعلتم ذلك ﴿تَعْلَمُونَ﴾ وهذه شهادة من الأعداء، وأوضح الحق، ما شهدت به الأعداء، فإنهم لم يحكموا بغلبتهم لمن جاء بالحق إلا في حال الإعراض عنه والتواصي بذلك، ومفهوم كلامهم، أنهم إن لم يلغوا فيه، بل استمعوا إليه، وألقوا أذهانهم، أنهم لا يغالون، فإن الحق، غالب غير مغلوب، يعرف هذا، أصحاب الحق وأعداؤهم.

س: وضح معنى قوله تعالى: (ذَلِكَ جَزَاءُ الْعَدَاءِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً

بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) (٢٨)؟

ج: المعنى، والله أعلم.

ذلك الذي سنجازي به الكفار، ألا وهو جزاؤهم بأسوأ الذي كانوا يعملون، جزاؤهم النار التي لهم فيها دار المكث والإقامة لا يتحولون عنها ولا ينتقلون منها جزاءً يستحقونه بكفرهم بآيات الله وإنكارهم لها وتكذيبهم لرسولنا ﷺ.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره: هذا الجزاء الذي يجزى به هؤلاء الذين كفروا من

التسهيل لتأويل التنزيل

مشركي قريش جزاء أعداء الله؛ ثم ابتداءً جلّ ثناؤه الخبر عن صفة ذلك الجزاء، وما هو فقال: هو النار، فالنار بيان عن الجزاء، وترجمة عنه، وهي مرفوعة بالردّ عليه؛ ثم قال: ﴿هُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ يعني لهؤلاء المشركين بالله في النار دار الخلد يعني دار المكث واللبث، إلى غير نهاية ولا أمد؛ والدار التي أخبر جلّ ثناؤه أنها لهم في النار هي النار، وحسن ذلك لاختلاف اللفظين، كما يقال: لك من بلدتك دار صالحة، ومن الكوفة دار كريمة، والدار هي الكوفة والبلدة، فيحسن ذلك لاختلاف الألفاظ، وقد ذكر لنا أنها في قراءة ابن مسعود: (ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ دَارُ الْخُلْدِ) ففي ذلك تصحيح ما قلنا من التأويل في ذلك، وذلك أنه ترجم بالدار عن النار.

وقوله: ﴿جَزَاءُ إِيْمَاكَ نُؤَايَاتِنَا بِمَحْدُونِ﴾ (٢٨) يقول: فعلنا هذا الذي فعلنا بهؤلاء من مجازاتنا إياهم النار على فعلهم جزاء مما جحدوا في الدنيا بآياتنا التي احتجنا بها عليهم.

س: من المعنيان بقول أهل الكفر: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَلْتَمَسْنَا مِنْكَ الْجَنَّةَ وَالْإِنْسِ...﴾؟

ج: قال كثير من العلماء: إن المعنيين هما إبليس وابن آدم الأول الذي قتل أخاه وسنّ بذلك سنة الإفساد في الأرض.

والظاهر، والله أعلم أن المراد: إبليس وذريته وابن آدم الأول وعموم غواة بني آدم الذين أغوهم وأضلوهم وصرفوهم عن الحق إلى الباطل وعن الخير إلى الشر، وعن المعروف إلى المنكر.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونُوا مِنَ الْأَسْفَلِينَ) (٢٩).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن أهل الكفر يسألون ربهم يوم القيامة أن يريهم من تسبب في إغوائهم وإضلالهم كي يجعلوهم تحت الأقدام لما تسببوا لهم فيه من الخزي العظيم والعذاب الدائم الذي لا ينقطع.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى: وقال الذين كفروا بالله ورسوله يوم القيامة بعد ما أدخلوا جهنم: يا ربنا أرنا اللذين أضلانا من خلقك من جنهم وإنسهم. وقيل: إن الذي هو من الجن إبليس، والذي هو من الإنس ابن آدم الذي قتل أخاه.

وقال:

وقوله: ﴿نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونُوا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ (٢٩) يقول: نجعل هذين اللذين أضلانا تحت أقدامنا، لأن أبواب جهنم بعضها أسفل من بعض، وكل ما أسفل منها فهو أشد على أهله، وعذاب أهله أعلظ، ولذلك سأل هؤلاء الكفار ربهم أن يريهم اللذين أضلواهم ليجعلوهم أسفل منهم ليكونوا في أشد العذاب في الدرك الأسفل من النار.

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ أي: أسفل منا في العذاب ليكونا أشد عذابا منا؛ ولهذا قالوا: ﴿لِيَكُونُوا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ (٢٩) أي: في الدرك الأسفل من النار، كما تقدم في «الأعراف» من سؤال الأتباع من الله أن يعذب قاداتهم أضعاف عذابهم، قال: ﴿لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣٨) [الأعراف: ٣٨] أي:

التسهيل لتأويل التنزيل

٤٣٤

إنه تعالى قد أعطى كلا منهم ما يستحقه من العذاب والنكال، بحسب عمله وإفساده، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨].



mostafaaladwy.com

قال الله تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ
أَلَّا تَخْلِفُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾
نَحْنُ أَوْلَىٰ بِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى
أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ
أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ
﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي
بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا
يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ
بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾)

[فصلت: ٣٠-٣٦]

س: - اذكر معنى ما يلي:

(تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ - وَأَبْشَرُوا - تُوعَدُونَ - أُولِيَائُكُمْ - مَا تَدْعُونَ - نُزُلًا - الْحَسَنَةُ - السَّيِّئَةُ - أَدْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ - وَلِيُّ حَمِيمٍ - وَمَا يُلْقِيهَا - يَنْزِعُكَ نَزْعًا - فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ).

ج:

الكلمة	معناها
﴿تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾	تهبط عليهم الملائكة عند الاحتضار ونزول الموت
﴿وَأَبْشَرُوا﴾	افرحوا وليدخل عليكم السرور الذي يظهر أثره على بشرتكم ووجوهكم
﴿تُوعَدُونَ﴾	يعدكم الله بها في الدنيا
﴿أُولِيَائُكُمْ﴾	نتولاكم بإذن الله - نحفظكم بإذن الله - قرناؤكم لا نفارقكم حتى تدخلون الجنة
﴿مَا تَدْعُونَ﴾	ما تطلبون وما تسألون وما تريدون
﴿نُزُلًا﴾	إكرامًا - حسن ضيافة
﴿الْحَسَنَةُ﴾	التوحيد - لا إله إلا الله - الطاعة - العفو والصفح
﴿السَّيِّئَةُ﴾	الشرك - المعصية - الجهل والظلم - الشتم والعيب
﴿أَدْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	قابل بالتي أفضل، بالطريقة الحسنة واللفظ الحسن والفعل الحسن
﴿وَلِيُّ حَمِيمٍ﴾	صديق قريب - قريب شديد القرابة - محب لك غاية المحبة

تفسير سورة فصلت

٤٣٧

وما يحظى بها وما ينالها	﴿وَمَا يُلْقَنَهَا﴾
يصر فنك - يغضبك - يوسوس إليك صارف عن الحق - وسوسة - غضب	﴿يَزَعْنَكَ﴾
اطلب من الله أن يعيدك ويحريك فاستنجد بالله	﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾



س: اذكر حيناً في الحث على قول ﴿ربنا الله﴾ والاستقامة على ذلك؟

ج: أخرج مسلم في صحيحه من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت: يا رسول الله! قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك (وفي حديث أبي أسامة: غيرك) قال: «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِم»^(١).



س: اذكر حديثاً في تنزل الملائكة على المؤمن عند الاحتضار؟

ج: ذلك وارد في حديث الاحتضار من حديث البراء بن عازب^(٢) رضي الله عنه قال: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَنْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ وَكَانَ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرُ، وَفِي يَدِهِ عُوْدٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ - مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا -». ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ

(١) مسلم حديث (٣٨).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/٢٨٧، ٢٩٥، ٢٩٦)، وأبو داود (٤٧٥٣)، والطيالسي (٧٥٣)، والحاكم

(١/٣٧-٤٠).

التسهيل لتأويل التنزيل

الْوُجُوهَ كَأَنّ وَجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِّنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ ^(١) مِّنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ ^(٢) **عَلَيْهِ السَّلَامُ** حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ. قَالَ: «فَتَخْرُجُ تَسِيلٌ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِّنْ فِي السَّقَاءِ فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذَهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطِيبِ نَفْحَةٍ مِّنْكَ وَجِدْتَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ» قَالَ: «فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ» - يَعْنِي: بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ - «إِنَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ. بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُّقْرَبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَبَنِي مِنْهَا خَلْقَتُهُمْ، وَفِيهَا أَعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أَخْرَجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى». قَالَ: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَعَثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَقْتُ. فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرَشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَالْبَسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ. قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رُوحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ الْبَصَرِ. قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنٌ

(١) الحنوط: طيب يخلط للميت خاصة انظر «اللسان».

(٢) لم نقف على دليل صحيح يفيد أن ملك الموت اسمه عزرائيل.

الْوَجْهَ حَسَنَ النَّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسْرُكَ! هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ! فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهَ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ. فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي». قَالَ: «وَأَنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَاقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سَوْدُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ!!» قَالَ: «فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيُنْتَزَعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّقُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْطُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ حَيْفَةٍ وَجَدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ! فَيَصْنَعُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ!! بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ». ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: (عَنْهَا لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْكَمَلُ فِي سِرِّ الْخِيَاطِ) [الأعراف: الآية ٤٠]، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِّينَ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى! فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا، ثُمَّ قَرَأَ: (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) (٣١) [الحج: الآية ٣١]، فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي. فَيُنَادِي مُنَادٍ

التسهيل لتأويل التنزيل

مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فافرشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَاَفْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ،
فِيَاتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسُمُومِهَا، وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ،
وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتَنُ الرِّيحِ، فيَقُولُ: أَبَشِّرْ بِالَّذِي
يَسْؤُوكَ! هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعِدُ! فيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ
يَجِيءُ بِالْبَشَرِ! فيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ!! فيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ».



س: وضع المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلَىٰ بِكُمُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ عَمُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾

ج: المعنى – والله أعلم – إن الذين أسلموا لله ﷻ وأعلنوا عن توحيدهم له وعبادتهم إياه وحده لا شريك له وشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ثم استقاموا على ذلك فلم يشركوا بالله شيئاً ولم يتوجهوا بعبادتهم لأحدٍ سوى الله ﷻ ولم يخلطوا بتوحيدهم بشركٍ واستقاموا على طاعة الله ﷻ وعلى أداء فرائضه، تنزل عليهم الملائكة عند الاحتضار، وخروج الأرواح من الأجساد وعند نزول الموت تطمئنهم وتبشّرهم، فهم في هذا المقام أحوج ما يكونون إلى من يطمئنهم فإنهم عند الاحتضار تعثرهم أمورٌ، إذا نظروا إلى الدنيا حزنوا على من فارقوا من الأزواج والأولاد والبنات، حزنوا على ما خلفوه ورأىهم فماذا سيصنع الأنبياء؛ وإلى ماذا سيؤول أمر البنات؟ وأزواجي هل سيتزوجن؟ أم أنهن لي وفيات من الأوفياء؟! أموالي من سيأخذها؟ كيف ستقسم؟ بيوتي من

سيسكنها؟ إلى غير ذلك من التساؤلات والهموم.

وإذا نظر إلى ما هو علىه مقبل وآتٍ، فيا ترى ماذا سيصنع في القبر؟ بما سيجيب الملكين – كيف يأتيه العمل؟ في صورة رجل أبيض الوجه والثياب طيب الرائحة أم صورة من هو أسود الوجه والثياب منتن الريح؟ ماذا سيفعل إذا قام من قبره للحساب؟ هل سيتلقى الكتاب باليمين أم بالشمال؟! ماذا سيفعل عند المرور على الصراط؟! ميزان حسانته سيتقل؟ أم ميزان السيئات؟ هل سيطرد عن حوض نبيه؟ أم أنه يشرب منه ويرتوي؟ ماذا سيصنع عند المرور على الصراط؟ هل سيسقط في النار أم يسلم وينجو؟!!

وماذا عند القنطرة، كيف بمظالم العباد؟ وإلى ماذا المصير؟ إلى جنة أم على نار؟ نسأل الله الفرووس.

أمورٌ كلها تعترى المحتضر عند الاحتضار ونزول الموت، فحينئذٍ تنزل الملائكة مطمئنة مبشرة قائلة: (لا تخافوا) مما هو آتٍ (ولا تحزنوا على ما قد فات) وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون بها في الدنيا يا أهل الاستقامة، يا أهل الطاعة، فقد كان ربكم يعدكم في كتابه المنزل وعلى لسانه رسوله ﷺ بالجنات إن أنتم أسلمتم وأطعتم فما هو الوعد يتحقق فربكم لا يخلف الميعاد، فأبشروا وافرحوا بالجنة التي وعدكم الله بها. وكما أننا كنا لكم أولياء في الدنيا نصاحبكم ونحفظكم بإذن الله، وكنا

التسهيل لتأويل التنزيل

نكتب لكم صالح الأعمال ونستغفر لكم في الدنيا، فنحن في الآخرة أيضاً بإذن الله لكم أولياء ندعو لكم ربكم ﷻ، نشهد لكم عنده بما قدمتموه من صالح الأعمال.

لكم يا أهل الاستقامة على التوحيد ويا أهل الطاعة في هذه الجنات ما تشتهي أنفسكم، وكل ما تسألونه يأتىكم، إكراماً من الله ﷻ وحسن ضيافة منه سبحانه وتعالى. قد غفر لكم ذنوبكم وسترها عليكم فلم يؤخذكم بها فإنه غفور رحيم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله

وقوله: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أي: تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار: نحن كنل أولياءكم، أي: قرناءكم في الحياة الدنيا، نسدّدكم ونوفّقكم، ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصور، ونؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا شِئْتُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ أي: في الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهي النفوس، وتقر به العيون، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ أي: مهما طلبتم وجدتم، وحضر بين أيديكم، كما اخترتم، ﴿تُزَلَّيْنَ مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ﴾ أي: ضيافة وعطاء وإنعاماً من غفور لذنوبكم، رحيم بكم رؤوف، حيث غفر، وستر، ورحم، ولطف.

وقال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل ملائكته التي تنزل على هؤلاء المؤمنين الذين استقاموا على طاعته عند موتهم: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاكُمْ﴾ أيها

تفسير سورة فصلت

٤٤٣

القوم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ كنا نتولاكم فيها؛ وذكر أنهم الحفظة الذين كانوا يكتبون أعمالهم.

وقوله: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ يقول: وفي الآخرة أيضاً نحن أولياؤكم، كما كنا لكم في الدنيا أولياء، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ﴾ يقول: ولكم في الآخرة عند الله ما تشتهي أنفسكم من اللذات والشهوات.

وقوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ (٣١) يقول: ولكم في الآخرة ما تدعون. وقوله: ﴿نُزُلًا مِّنْ غُفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ (٣٢) يقول: أعطاكم ذلك ربكم نزلاً لكم من ربّ غفور لذنوبكم، رحيم بكم أن يعاقبكم بعد توبتكم؛ ونصب نزلاً على المصدر من معنى قوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ (٣١) لأن في ذلك تأويل أنزلكم ربكم بما يشتهون من النعيم نزلاً.

قال السعدي رحمه الله:

يخبر تعالى عن أوليائه، وفي ضمن ذلك تنشيطهم، والحث على الاقتداء بهم، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ أي: اعترفوا ونطقوا ورضوا بربوبية الله تعالى، واستسلموا لأمره، ثم استقاموا على الصراط المستقيم، علماً وعملاً فلهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

﴿تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ الكرام، أي: يتكرر نزولهم عليهم، مبشرين لهم عند الاحتضار. ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾ على ما يستقبل من أمرهم، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما مضى، فنفوا عنهم المكروه الماضي والمستقبل، ﴿وَأَبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٠) فإنها قد وجبت لكم وثبتت، وكان وعد الله مفعولاً ويقولون لهم أيضاً - مثبتين لهم، ومبشرين -: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ يحثونهم في الدنيا على الخير،

التسهيل لتأويل التنزيل

ويزينونه لهم، ويرهبونهم عن الشر، ويقبحونه في قلوبهم، ويدعون الله لهم، ويثبتونهم عند المصائب والمخاوف، وخصوصاً عند الموت وشدته، والقبر وظلمته، وفي القيامة وأهوالها، وعلى الصراط، وفي الجنة يهنئونهم بكرامة ربهم، ويدخلون عليهم من كل باب ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤] ويقولون لهم أيضاً: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا * أَي: في الجنة * مَا تَشْتَهُنَّ أَنْفُسُكُمْ﴾ قد أعدّ وهيئ. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ (٣١) أي: تطلبون من كل ما تتعلق به إرادتكم وتطلبونه من أنواع اللذات والمشتريات، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ﴿تُزَلَّزَلْنَ مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ (٣٢) أي: هذا الثواب الجزيل، والنعيم المقيم، نزل وضيافة ﴿مَنْ غَفُورٍ﴾ غفر لكم السيئات، ﴿رَحِيمٍ﴾ (٣٣) حيث وفقكم لفعل الحسنات، ثم قبلها منكم. فبمغفرته أزال عنكم المحذور، وبرحمته، أنالكم المطلوب.



س: اذكر بعض الوارد في فضل الدعوة إلى الله.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (٣٣).

وقوله تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) [يوسف:

١٠٨].

فالدعاة إلى الله أتباع الرسل.

وقوله تعالى: (وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيَينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ

تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩].

وقوله ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا».

وقوله ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

وقوله ﷺ: «الَّذِينَ يَهْدِي اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ».

ففي الصحيحين (١) من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّأْيَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ». قَالَ: قَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُنَّ لَيْلَتُهُمْ أَتِيَهُمْ يُعْطَاهَا؟ فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟». فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَسْتَكِي عَيْنَيْهِ. قَالَ: «فَارْسِلُوا إِلَيْهِ». فَأَتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّأْيَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا، فَقَالَ: «انْفِذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ».

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «التفسير القيم»:

(١) البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦) واللفظ له.

التسهيل لتأويل التنزيل

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣).

وقال تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) [يوسف: ١٠٨] وسواء كان المعنى أنا ومن اتبعني يدعو إلى الله على بصيرة أو كان الوقف عند قوله: ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ ثم يبتدئ ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ فالقولان متلازمان فإنه أمره سبحانه أن يخبر أن سبيله الدعوة إلى الله. فمن دعا إلى الله تعالى، فهو على سبيل رسوله ﷺ، وهو على بصيرة، وهو من أتباعه، ومن دعا إلى غير ذلك فليس على سبيله، ولا هو على بصيرة، ولا هو من أتباعه.

فالدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة المرسلين وأتباعهم وهم خلفاء الرسل في أممهم. والناس تبع لهم والله سبحانه قد أمر رسوله أن يبلغ ما أنزل إليه وضمن له حفظه، وعصمته من الناس، وهكذا المبلغون عنه من أمتهم من حفظ الله وعصمته إياهم بحسب قيامهم بدينه، وتبليغهم لهم، وقد أمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه ولو آية ودعا لمن بلغ عنه ولو حديثاً.

وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو؛ لأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السنن فلا تقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم، جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه.

وهم كما قال فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خطبته التي ذكرها ابن وضاح في كتاب «الحوادث والبدع» له قال:

«الحمد لله الذي امتنَّ على العباد بأن جعل في كل زمان فترة من

تفسير سورة فصلت

٤٤٧

الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويبصرون بكتاب الله أهل العمى، كم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وضالٌّ تائه قد هدوه، بذلوا دماءهم وأموالهم دون هلكة العباد، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم، يغلبونهم في سالف الدهر، وإلى يومنا هذا فما نسيهم ربك ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ (٦٤) [مريم: ٦٤] وجعل قصصهم هدى وأخبر عن حسن مقاتلتهم فلا تقصر عنهم فإنهم في منزلة رفيعة وإن أصابتهم الوضيعة.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إن الله عند كل بدعة كيد بها الإسلام ولياً من أوليائه يذبُّ عنها، وينطق بعلاماتها فاغتنموا حضور تلك المواطن وتوكلوا على الله».

ويكفي في هذا قول النبي ﷺ لعلي عليه السلام ولمعاذ أيضاً: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم».

وقوله ﷺ: «من أحيأ شيئاً من سنتي كنت أنا وهو في الجنة كهاتين، وضم بين أصبعيه».

وقوله ﷺ: «من دعا إلى هدى فاتبع عليه كان له مثل أجر من تبعه إلى يوم القيامة».

فمتى يدرك العامل هذا الفضل العظيم. والحظ الجسيم بشيء من علمه. وإنما ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.



س: ما المراد بالحسنة والسيئة؟

التسهيل لتأويل التنزيل

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن الحسنة شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإخلاص العمل لله والسيئة: الشرك بالله.

الثاني: الحسنة هي الطاعة، السيئة هي المعصية.

الثالث: الحسنة هي الإقبال على القرآن والاستماع له والإنصات والعمل به، والسيئة: الإعراض عن القرآن واللغو عن قراءته.

الرابع: الحسنة العفو عن الناس، السيئة: الاعتداء على الناس.

الخامس: الحسنة الرفق، والسيئة الفحش، وهناك أقوال أخرى.

وكل ما ذكر صحيح، والقول بالعموم أولى، والله أعلم.



س: وضع معنى الآية الكريمة: ﴿لِمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ

صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣).

ج: المعنى - والله أعلم - ليس هناك شخص أحسن قولًا ولا أسد رأيًا ولا أسلم منهجًا ولا أهدى سبيلًا من شخص أعلن عن هديته وأعرب عن شخصيته ولم تأخذه في الله لومة لائم فشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ودعا إلى ذلك، ودعا إلى التمسك بتعاليم هذا الدين وشفع ذلك بالعمل الصالح فصدق قوله عمله وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ومن أحسن أيها الناس قولًا ممن قال ربنا الله ثم

استقام على الإيمان به، والانتهاى إلى أمره ونهيهِ، ودعا عباد الله إلى ما قال وعمل به من ذلك.

وأورد بإسناد حسن:

عن قتادة، قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ...﴾ الآية، قال: هذا عبد صدق قوله عمله، ومولجه مخرجه، وسرّه علانيته، وشاهده مغيبه، وإن المنافق عبد خالف قوله عمله، ومولجه مخرجه، وسرّه علانيته، وشاهده مغيبه.

وقال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣) يقول: وقال: إنني ممن خضع لله بالطاعة، وذل له بالعبودية، وكشع له بالإيمان بوحدانيته.

وقال ابن كثير - رحمه الله:

يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: دعا عباد الله إليه، ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣) أي: وهو في نفسه مهتد بما يقوله، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتّعدّ، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه، بل ياتمر بالخير ويترك الشر، ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى. وهذه عامة في كل من دعا إلى خير، وهو في نفسه مهتد، ورسول الله ﷺ أولى الناس بذلك، كما قال محمد بن سيرين، والسدي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

وقيل: المراد بها المؤذنون الصالحاء، كما ثبت في صحيح مسلم:

«المؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة»^(١).

وأورد ابن كثير أحاديث في فضل المؤذن والأذان ثم قال:

(١) مسلم (حديث ٣٨٧)..

التسهيل لتأويل التنزيل

والصحيح أن الآية عامة في المؤذنين وفي غيرهم، فأما حال نزول هذه الآية فإنه لم يكن الأذان مشروعاً بالكلية؛ لأنها مكية، والأذان إنما شرع بالمدينة بعد الهجرة، حين أريه عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري في منامه، فقصه على رسول الله ﷺ، فأمره أن يلقيه على بلال فإنه أندى صوتاً، كما هو مقرر في موضعه، فالصحيح إذاً أنها عامة.



س: اذكر بعض الوارد في فضل المؤذن؟

ج: المؤذن المستقيم العامل بأمر الله داخل ضمناً في الآية الكريمة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَلِمَ صَالِحًا قَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٢) ثم هاهي طائفة من الأحاديث عن رسول الله ﷺ في فضل المؤذن.

أخرجه مسلم في صحيحه بسنده إلى طلحة بن يحيى عن عمه قال: كُنْتُ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ. فَجَاءَهُ الْمُؤَذِّنُ يَدْعُوهُ إِلَى الصَّلَاةِ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١).

وأخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وأخبر أنه سمعه من النبي ﷺ قال: «لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جَنٌّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٢).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

(١) مسلم (حديث ٣٨٧).

(٢) البخاري مع الفتح (٨٧/٢).

تفسير سورة فصلت

٤٥١

«إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط»^(١).

وأخرج ابن حبان بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تعجب ربنا من راعي غنم في رأس الشظية للجبل يؤذن بالصلاة ويصلي فيقول الله جل وعلا: انظروا إلى عبدي هذا يؤذن ويقيم الصلاة، يخاف مني غفرت لعبدي وأدخلته الجنة»^(٢).



س: وضع معنى قوله تعالى: (وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) (٣٤) وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥).

ج: المعنى – والله أعلم – ولا تستوي الفعلة الحسنة والكلمة الحسنة والنية الحسنة، مع الفعلة السيئة والكلمة السيئة، والنية السيئة.

- * فلا يستوي الإيمان مع الكفر.
- * ولا يستوي التوحيد مع الشرك.
- * ولا يستوي الاستماع إلى القرآن والإنصات له والإقبال عليه، مع اللغو فيه والإعراض عنه.
- * ولا تستوي الفظاظة والغلظة وفحش القول مع طيب القول وأنيته والرفق.

- * ولا يستوي العفو مع المؤاخاة.
- * ولا تستوي كلمة التوحيد مع كلمة الشرك.

(١) البخاري (٢/ ٨٤) ومسلم (ص ٢٩١).

(٢) ابن حبان في موارد الظمان (٢٦٠).

التسهيل لتأويل التنزيل

* ولا يستوي القول الطيب مع بذيء القول ومنكره وهذا لا يستوي ما يقرب من الله وجنته ومرضاته مع ما يبعد من الله ﷻ ويُسخطه ويتسبب في دخول ناره.

فمن ثمَّ أيها المؤمن قابل الإساءة بإحسان وقابل المظلمة بعفو وغفران، وقابل الكلمة السيئة بكلمة طيبة، فبهذا – بإذن الله – يتحول العدو المريد شديد العداوة إلى صديق قريب شديد الصداقة وشديد المحبة. ولكن ما يحظى بهذه المنزلة العالية السامية الرفيعة وما يحظى بجزائها الذي هو الجنة إلا الذين صبروا على أذى من آذاهم وما يلقاها إلا من كتب الله له الحظ العظيم الذي هو الجنة، والحسنة في الدنيا كذلك والله أعلم، وبنحو هذا قال أهل التأويل.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله تعالى: (وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ).

يقول تعالى ذكره: ولا تستوي حسنة الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، فأحسنوا في قولهم، وإجابتهم وربهم إلى ما دعاهم إليه من طاعته، ودعوا عباد الله إلى مثل الذي أجابوا ربهم إليه، وسيئة الذين قالوا: (لَا سَمْعُ لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْافِ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ) (٣٦) فذلك لا تستوي عند الله أحوالهم ومنازلهم، ولكنها تختلف كما وصف جل ثناؤه أنه خالف بينهما، وقال جل ثناؤه: (وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ) فكرر (لا) والمعنى: لا تستوي الحسنة ولا السيئة؛ لأن كل ما كان غير مساوٍ شيئاً، فالشيء الذي هو له غير مساوٍ غير مساويه، كما أن كل ما كان مساوياً لشيء فالآخر الذي هو له

تفسير سورة فصلت

٤٥٣

مساو، مساو له، فيقال: فلان مساو فلانا، وفلان له مساو، فكذلك فلان ليس مساوياً لفلان، ولا فلان مساوياً له، فلذلك كررت (لا) مع السيئة، ولو لم تكن مكررة معها كان الكلام صحيحاً.

وإنما عنى بقوله: (وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ) ولا يستوي الإيمان بالله والعمل بطاعته والشرك به والعمل بمعصيته.

وقوله: (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ادفع يا محمد بحلمك جهل من جهل عليك، وبغفوك عن أساء إليك إساءة المسيء، وبصبرك عليهم مكروه ما تجد منهم، ويلقاك من قبلهم.

وقوله: (فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) يقول تعالى ذكره: افعل هذا الذي أمرتك به يا محمد من دفع سيئة المسيء إليك بإحسانك الذي أمرتك به إليه، فيصير المسيء إليك الذي بينك وبينه عداوة، كأنه من ملاطفته إياك. وبره لك، ولي لك من بني أعمامك، قريب النسب بك، والحميم: هو القريب.

وقوله: (وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) يقول: وما يلقى هذه إلا ذو نصيب وجد له سابق في المبرات عظيم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ أي: فرق عظيم بين هذه وهذه، (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) أي: من أساء إليك فادفعه عنك بالإحسان إليه، كما قال عمر ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه.

وقوله: (فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) وهو الصديق، أي: إذا أحسنت إلى من أساء إليك قادتته تلك الحسنة إليه إلى مصافاتك

التسهيل لتأويل التنزيل

ومحبتك، والحنو عليك، حتى يصير كأنه ولي لك حميم أي: قريب إليك من الشفقة عليك والإحسان إليك.

ثم قال: (وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا) أي: وما يقبل هذه الوصية ويعمل بها إلا من صبر على ذلك، فإنه يشق على النفوس، (وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا) أي: ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة.

قال السعدي رحمه الله:

يقول تعالى ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ أي: لا يستوي فعل الحسنات والطاعات لأجل رضا الله تعالى، ولا فعل السيئات والمعاصي التي تسخطه ولا ترضيه، ولا يستوي الإحسان إلى الخلق، ولا الإساءة إليهم، لا في ذاتها، ولا في وصفها، ولا في جزائها (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ) (الرحمن: ٦٠).

ثم أمر بإحسان خاص، له موقع كبير، وهو الإحسان إلى من أساء إليك، فقال: (أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) أي: فإذا أساء إليك منسيء من الخلق، خصوصاً من له حق كبير عليك، كالأقارب، والأصحاب، ونحوهم، إساءة بالقول أو بالفعل، فقابل به بالإحسان إليه، فإن قطعك فصلة، وإن ظلمك، فاعف عنه، وإن تكلم فيك، غائباً أو حاضراً، فلا تقابله، بل اعف عنه، وعامله بالقول اللين. وإن هجرك، وترك خطابك، فطيب له الكلام، والبدل له السلام، فإذا قابلت الإساءة بالإحسان، حصل فائدة عظيمة.

(فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) (٣٤) أي: كأنه قريب شفيق. (وَمَا يُلْقِيهَا) أي: وما يوفق لهذه الخصلة الحميدة (إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا)

تفسير سورة فصلت

٤٥٥

نفوسهم على ما تكره، وأجبروها على ما يحبه الله، فإن النفوس مجبولة على مقابلة المسيء بإساءته وعدم العفو عنه، فكيف بالإحسان؟! فإذا صَبَّرَ الإنسان نفسه، وامْتَثَلَ أمر ربه، وعرف جزيل الثواب، وعلم أن مقابلته للمسيء بجنس عمله، لا يفيد شياً، ولا يزيد العداوة إلا شدة، وأن إحسانه إليه، ليس بواضع قدره، بل من تواضع لله رفعه، هان عليه الأمر، وفعل ذلك، متلذذاً مستحلياً له.

(وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا ذُو الْوَحْيِ الْعَظِيمِ ﴿٣٥﴾) لكونها من خصال خواص الخلق، التي ينال بها العبد الرفعة في الدنيا والآخرة، التي هي من أكبر خصال مكارم الأخلاق.



س: **وضح معنى قوله تعالى: (وَأَمَّا نُرْغِثُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ**

هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾)؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم- وإما يقذفن الشيطان في نفسك وسوسة للانتقام وعدم المواخذه فاطلب من الله أن يعيذك من وساوس الشياطين ومما يلقونه في نفسك من سوء والمكروه فلن يعيذك من الشيطان إلا الله هو السميع لك ولأقوالك والسميع لكل شيء، العليم بك وبأحوالك والعليم بكل شيء.

والآية عامة أيضاً فإذا قذف الشيطان في نفسك أي أمر يغضب الله فتعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

قال الطبري رحمه الله:

التسهيل لتأويل التنزيل

وقوله: (وَمَا يَزَعْنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ...) الآية، يقول تعالى ذكره: وإما يلقيين الشيطان يا محمد في نفسك وسوسة من حديث النفس إرادة حملك على مجازاة المسيء بالإساءة، ودعائك إلى مساءته، فاستجر بالله واعتصم من خطواته، إن الله هو السميع لاستعاذتك منه واستجارتك به من نزغاته، ولغير ذلك من كلامك وكلام غيرك، العليم بما ألقى في نفسك من نزغاته، وحدثتك به نفسك ومما يذهب ذلك من قبلك، وغير ذلك من أمورك وأمور خلقه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: ﴿وَمَا يَزَعْنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ أي: إن شيطان الإنسي ربما ينخدع بالإحسان إليه، فأما شيطان الجن فإنه لا حيلة فيه إذا وسوس إلا الاستعاذة بخالقه الذي سلطه عليك، فإذا استعذت بالله ولجأت إليه، كفه عنك ورد كيده.



س: في الآيات الكريمات إرشاد إلى كيفية التعامل مع العدو الإنسي والعدو الشيطاني، وتكرر ما في معناها في آيات أخر، وضح المعنى مع ذكر الآيات الواردة المشابهة في معناها؟

ج: نعم أرشدنا الله ﷻ إلى كيفية التعامل مع العدو الإنسي والعدو الجنى على السواء في هذه الآيات وفي آيات مشابهة لها من سور أخر. وإيضاح ذلك أن الله ﷻ حثنا على العفو والصفح ومقابلة السيئة بالحسنة إذا ما اعتدي علينا من عدو إنسي، وذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَا

تفسير سورة فصلت

٤٥٧

سَتَوَى الْحَسَنَةَ وَلَا السَّيِّئَةَ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿١٩٩﴾.

أما العدو الجني فلا خلاص منه ولا سلامة إلا بالتعوذ بالله منه، فالعدو الجني لا يقبل هدية تهديها إليه إلا الكفر والعصيان، أما العدو الإنسي فقد يتألف بشيء من عوارض الدنيا الزائلة الفانية ومن ثم قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْصَرِفْكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ...﴾.

أما الآيات المشابهة لذلك فمنها:

قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ

﴿١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩].

فهذه طريقة التعامل مع الإنسي.

أما الجني ففي نفس السورة: ﴿وَمَا يَنْصَرِفْكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ

إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

وفي سورة المؤمنون: (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ

﴿٩٦﴾ [المؤمنون: ٩٦]، وهذا مع العدو الإنسي، وأما الجني (وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ

مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾) [المؤمنون: ٩٧، ٩٨] فلا

سبيل إلا إلى الاستعاذة بالله منه. والله أعلم.



قال الله تعالى:

(وَمَنْ ءَايَتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا
 لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ
 إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ
 يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَتِهِ أَنْكَ
 تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي
 أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي
 ءَايَتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا أَفَنُؤَلِّقُ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ
 الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾)

[فصل: ٣٧-

[٤٠]

تفسير سورة فصلت

٤٥٩

س: وضح معنى ما يلي: (يُسَبِّحُونَ لَهُ - لَا يَسْمَعُونَ - خَشِيعَةً - اهْتَزَّتْ - وَرَبَّتْ - يُلْحِدُونَ).
ج:

الكلمة	معناها
﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ﴾	يصلون له - يسبحون بقول سبحان الله وبحمده
﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾	لا يملون - لا يتعبون
﴿خَشِيعَةً﴾	هامدة لا نبات فيها - ميتة يابسة
﴿اهْتَزَّتْ﴾	تحركت بالنبات
﴿وَرَبَّتْ﴾	انفتحت - ارتفعت قبل أن تثبت
﴿يُلْحِدُونَ﴾	يميلون عن الحق إلى الباطل فيكذبون بالآيات ويصفونها بأنها سحر وكهانة - يعاطفون - يكفرون - يشركون



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (٣٧) فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٣٨﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم- ومن آياته الدالة على وحدانيته وأنه لا شريك له والدالة على قدرته وعظمته وعظمة سلطانه الليل والنهار وتعاقبهما وما فيهما من شمس وقمر يجريان لأجل مسمى فلا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر، ولا الليل سابق النهار، وكل في فلك يسبحون، فلا تسجدوا للشمس ولا للقمر فإنهما مسخران بتسخير الله لهما ولكن اسجدوا لله الذي

التسهيل لتأويل التنزيل

خلقهن إن كنتم حقًا تتوجهون إليها بعبادتكم وتوحدونه، فإن امتنعوا عن السجود لله ﷻ واستكبروا عن ذلك فاعلم أن هناك من هم خيرٌ منهم وأفضل يصلون له ليلاً ونهاراً ولا يملون من ذلك ولا يتعبون.

قال الطبري رحمه الله:

لا بأنهما يقدران بأنفسهما على سير وجري دون إجراء الله إياهما وتسييرهما، أو يستطيعان لكم نفعاً أو ضرراً، وإنما الله مسخرهما لكم لمنافعكم ومصالحكم، فله فاسجدوا، وإياه فاعبدوا دونهما، فإنه إن شاء طمس ضوءهما، فترككم حيارى في ظلمة لا تهتدون سبيلاً ولا تبصرون شيئاً. وقيل: (وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ) فجمع بالهاء والنون، لأن المراد من الكلام: واسجدوا لله الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر، وذلك جمع، وأنت كنايةتهن، وإن كان من شأن العرب إذا جمعوا الذكر إلى الأنثى أن يخرجوا كنايةتهما بلفظ كناية المذكر فيقولون: أخواك وأختاك كلموني، ولا يقولون: كلمني، لأن من شأنهم أن يوثقوا أخبار الذكور من غير بني آدم في الجمع، فيقولون: رأيت مع عمرو أنثى فأخذت منه. وأعجبنى خواتيم لزيد فقبضهن منه.

وقوله: (إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) يقول: إن كنتم تعبدون الله، وتذلون له بالطاعة؛ وإن من طاعته أن تخلصوا له العبادة، ولا تشركوا في طاعتكم إياه وعبادتكموه شيئاً سواه، فإن العبادة لا تصلح لغيره ولا تنبغي لشيء سواه.

يقول تعالى ذكره: ومن حجج الله تعالى على خلقه ودلالته على

تفسير سورة فصلت

٤٦١

وحدانيته، وعظيم سلطانه، اختلاف الليل والنهار، ومعاقبة كل واحد منهما صاحبه، والشمس والقمر، لا الشمس تدرك القمر (وَلَا أَلِيلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾) [يس: ٤٠] لا تسجدوا أيها الناس للشمس ولا للقمر، فإنهما وإن جريا في الفلك بمنافعكم، فإنما يجريان به لكم بإجراء الله إياهما لكم طائعين له في جريهما ومسيرهما.

يقول تعالى تكملة: فإن استكبر يا محمد هؤلاء الذين أنت بين أظهرهم من مشركي قريش، وتعظموا عن أن يسجدوا لله الذي خلقهم وخلق الشمس والقمر، فإن الملائكة الذين عند ربك لا يستكبرون عن ذلك، ولا يتعظمون عنه، بل يسبحون له، ويصلون ليلاً ونهاراً، (وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٨﴾) [يس: ٣٨] يقول وهم لا يفترون عن عبادتهم، ولا يملون الصلاة له.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى منبهاً خلقه على قدرته العظيمة، وأنه الذي لا نظير له وأنه على ما يشاء قادر: (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) أي: أنه خلق الليل بظلامه، والنهار بضيائه، وهما متعاقبان لا يقرآن، والشمس ونورها وإشراقها، والقمر وضيأؤه وتقدير منازلها في فلكه، واختلاف سيره في سمائه، يُعرف باختلاف سيره وسير الشمس مفايير الليل والنهار، والجمع والشهور والأعوام، ويتبين بذلك حلول الحقوق، وأوقات العبادات والمعاملات.

ثم لما كان الشمس والقمر أحسن الأجرام المشاهدة في العالم العلوي والسفلي، نبه تعالى على أنهما مخلوقان عبادان من عبيده، تحت قهره

التسهيل لتأويل التنزيل

وتسخيره، فقال: (لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٢٧﴾) أي: ولا تشركوا به فما تنفعكم عبادتكم له مع عبادتكم لغيره، فإنه لا يغفر أن يشرك به؛ ولهذا قال: (فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا) أي: عن أفراد العبادة له وأبوا إلا أن يشركوا معه غيره، (فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ) (يعني: الملائكة، يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٢٨﴾)، كقوله: (فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾) (الأنعام: ٨٩).

وقال القرطبي رحمه الله

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ علامات الدالة على وحدانيته وقدرته ﴿الَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ وقد مضى في غير موضع. ثم نهى عن السجود لهما، لأنهما وإن كانا خلقين فليس ذلك لفضيلة لهما في أنفسهما فيستحقان بها العبادة مع الله. لأن خالقهما هو الله لو شاء لأعدمهما أو طمس نورهما. (وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ) وصورهن وسخرهن، فالكناية ترجع إلى الشمس والقمر والليل والنهار. وقيل: للشمس والقمر خاصة، لأن الاثنين جمع. وقيل: الضمير عائد على معنى الآيات (إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٢٧﴾) وإنما أنث على جمع التثنية ولم يجر على طريق التغليب للمذكر والمؤنث لأنه فيما لا يعقل.

(فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا) يعنى الكفار عن السجود لله (فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ) من الملائكة (يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٢٨﴾) أي: لا يملون عبادته.

قال زهير:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش وثمانين حولًا لا أبالك يسام



س: هل عند تلاوة هذه الآية الكريمة ﴿...وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ سجود؟ وما موطن هذا السجود في حالة كونه موجوداً؟

ج: نعم فيها سجود، وإن كان الخبر به لا يثبت عن النبي ﷺ، لكن نقل غير واحد الإجماع على السجود عند هذه الآية، ونفى القرطبي الخلاف في ذلك أما موضع السجود فللعلماء فيه قولان:

أحدهما: أنه عقب قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (٢٧).

والآخر: عقب قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ (٢٨).

والأمر في ذلك قريب.

قال القرطبي رحمه الله:

مسألة: هذه الآية آية سجدة بلا خلاف، واختلفوا في موضع السجود منها. فقال مالك: موضعه ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (٢٧) لأنه متصل بالأمر. وكان علي وابن مسعود وغيرهم يسجدون عند قوله ﴿تَعْبُدُونَ﴾. وقال ابن وهب والشافعي: موضعه ﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ (٢٨) لأنه تمام الكلام وغاية العبادة وبه قال أبو حنيفة. وكان ابن عباس يسجد عند قوله: (يَسْمَعُونَ). وقال ابن عمر: اسجدوا بالآخرة منهما. وكذلك يروى عن مسروق وأبي عبد الرحمن السلمي وإبراهيم النخعي وأبي صالح ويحيى بن وثاب وطلحة وزبيد اليامين والحسن وابن سيرين. وكان أبو وائل

وقتادة وبكر بن عبد الله يسجدون عند قوله: (يَسْمُونَ). قال ابن العربي:
والأمر قريب.



mostafaaladwy.com

س: من الذين عناهم الله بقوله: ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾؟

ج: هم الملائكة، وذلك لقوله تعالى هاهنا: ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ (٢٨).

وفي الآية الأخرى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (١٩) **يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ** (٢٠) ﴿[الأنبياء: ١٩-٢٠]، وقد قالت الملائكة عن أنفسهن: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ (١٦٥) **وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ** (١٦٦) ﴿[الصافات: ١٦٥-١٦٦].

قال الشنقيطي رحمه الله في «أشعواء البيان»:

وقد دلت هذه الآية الكريمة من سورة فصلت على أمرين:

أحدهما: أن الله جل وعلا إن كفر به بعض خلقه، فإن بعضاً آخر من خلقه يؤمنون به، ويطيعونه كما ينبغي، ويلزمون طاعته دائماً بالليل والنهار.

والثاني منهما: أن الملائكة يسبحون الله ويطيعونه دائماً لا يفترون عن ذلك.

وهذان الأمران اللذان دلت عليهما هذه الآية الكريمة، قد جاء كل منهما موضعاً في غير هذا الموضع.

أما الأول منهما: فقد ذكره جل وعلا في قوله: (فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ) (٨٩) [الأنعام: ٨٩].

وأما الثاني منهما: فقد أوضحه تعالى في آيات من كتابه كقوله تعالى في الأنبياء: (وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا

التسهيل لتأويل التنزيل

٤٦٦

يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَجِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْقُرُونَ ﴿٢٠﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠]
 وقوله تعالى في آخر الأعراف: (إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ
 وَيُسَبِّحُونَهُ، وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾) [الأعراف: ٢٠٦] إلى غير ذلك من الآيات .
 وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٨﴾) أي: لا يملون .

والسامة: الملل ومنه قول زهير:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش ثمانين حولاً لا أبالك يسام



س: **وضح معنى قوله تعالى:** ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا

عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾؟

ج: المعنى، ومن حجج الله ﷻ الدالة على أنه قادر على كل شيء،
 وقادر على إحياء الأنفس بعد موتها ما يحدثه ربنا في الأرض فإنك ترى
 الأرض هامدة لا نبات فيها فإذا أنزل الله عليها الماء وتشربته ارتفعت
 واهتزت بالنبات على ظهرها، إن الذي فعل ذلك بها لمحيي الموتى من
 قبورهم كما أحيا الأرض بالنبات بعد نزول الغيث إنه على كل شيء قدير.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ومن حجج الله أيضاً وأدلته على قدرته على نشر
 الموتى من بعد بلاها، وإعادتها لهيئتها كما كانت من بعد فنائها أنك يا
 محمد ترى الأرض دارسة غيراء، لا نبات بها ولا زرع.

(فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ) يقول تعالى ذكره: فإذا أنزلنا من السماء غيثاً

على هذه الأرض الخاشعة اهتزت بالنبات. يقول: تحرّكت به.

وقوله: (إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ) يقول تعالى ذكره: إن الذي أحيا هذه

تفسير سورة فصلت

٤٦٧

الأرض الدارسة فأخرج منها النبات، وجعلها تهتزّ بالزرع من بعد يبسها ودثورها بالمطر الذي أنزل عليها لقادر أن يحيي أموات بني آدم من بعد مماتهم بالماء الذي ينزل من السماء لإحيائهم.

وقوله: (إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾) يقول تعالى ذكره: إن ربك يا محمد على إحياء خلقه بعد مماتهم وعلى كل ما يشاء ذو قدرة لا يعجزه شيء أراده، ولا يتعذر عليه فعل شيء شاءه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ أي: على قدرته على إعادة الموتى ﴿أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ أي: هامدة لا نبات فيها، بل هي ميتة (فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ) أي: أخرجت من جميل ألوان الزروع والثمار، (إِنَّ الْأَرْضَ أَحْيَاها لَمَحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾).

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

﴿وَرَبَتْ﴾ أي: انتفخت وعلت قبل أن تنبت، قل مجاهد: أي تصعدت عن النبات بعد موتها. وعلى هذا التقدير يكون في الكلام تقديم وتأخير وتقديره: ربت واهتزت. والاهتزاز والربو قد يكونان قبل الخروج من الأرض، وقد يكونان بعد خروج النبات إلى وجه الأرض، فربوها ارتفاعها. ويقال للموضع المرتفع: ربوة ورابية، فالنبات يتحرك للبروز ثم يزداد في جسمه بالكبر طولا وعرضا. وقرأ أبو جعفر وخالد «وربأت» ومعناه: عظمت، من الربيئة. وقيل: «اهتزت» أي استبشرت بالمطر «وربت» أي انتفخت بالنبات. والأرض إذا انشقت بالنبات: وصفت بالضحك، فيجوز وصفها بالاستبشار أيضاً. ويجوز أن يقال الربو

والاهتزاز واحد، وهي حالة خروج النبات.



س: كثيراً ما يستدل على البعث بإحياء الأرض بعد موتها دَلَل على

ذلك؟

ج: من الآية على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُجِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٩).

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (٥) ﴿ذَلِكَ أَنْ لَلَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتِ وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٦) ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (الحج: ٥-٧).

وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُنْكَسَراً فَالْتَبَسْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ (١) ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ (١٠) ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ (١١).

[ق: ٩-١١]



س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَلَمْ يَلْقَى فِي النَّارِ خَيْرًا مِّنْ يَأْتِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (٤).

ج: المعنى -والله أعلم- إن الذين يميلون عن الحق إلى الباطل في شأن القرآن الكريم فيصفونه بغير الحق، يقولون عنه شعر وسحر وكهانة، وافتراء وأساطير الأولين وكذب، وكذا يلبسونه معنى غير معناه، هؤلاء أمرهم لا يخفى على الله بل الله عليهم بصنيعهم وعليم بمكرهم وإلحادهم،

تفسير سورة فصلت

٤٦٩

ولا يستوي هؤلاء المكذبون بالقرآن الملحدون فيه مع من آمن بالله وصدق بكتابه وبوعده ووعيده، أفهذا المكذب الذي مصيره أنه يلقي في النار خير أم من يأتي يوم القيامة آمناً من عذاب الله ﷻ لكونه صدق المرسلين. ثم تختم الآية بالتهديد في قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فأمركم لا يخفى على الله فربي بصير بما تعملون.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ إن الذين يميلون عن الحق في حجبتنا وأدلتنا، ويعبدون عنها تكديبا بها وجحودا لها.

وقال رحمه الله:

اختلف أهل التأويل في المراد به من معنى الإلحاد في هذا الموضع، فقال بعضهم: أريد به معارضة المشركين القرآن باللغظ والصفير استهزاء به.

وقال رحمه الله:

وقال بعضهم: أريد به الخبر عن كذبهم في آيات الله.

وقال آخرون: أريد به يعاندون.

وقال آخرون: أريد به الكفر والشرك.

وقال آخرون: أريد به الخبر عن تبديلهم معاني كتاب الله.

وقوله: (لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا) يقول تعالى ذكره: نحن بهم عالمون لا يخفون

علينا، ونحن لهم بالمرصاد إذا وردوا علينا، وذلك تهديد من الله جل ثناؤه

التسهيل لتأويل التنزيل

لهم بقوله: سيعلمون عند ورودهم علينا ماذا يلقون من أليم عذابنا. ثم أخبر جل ثناؤه عما هو فاعل بهم عند ورودهم عليه، فقال: (أَفَنَ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِيَّ آمَنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ). يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين يلحدون في آياتنا: اليوم في الدنيا يوم القيامة عذاب النار، ثم قال الله: أفهذا الذي يلقي في النار خير، أم الذي يأتي يوم القيامة آمنا من عذاب الله لإيمانه بالله ﷻ؟ هذا الكافر، إنه إن آمن بآيات الله، واتبع أمر الله ونهيه، أمنه يوم القيامة مما حذره منه من عقابه إن ورد عليه يومئذ به كافرًا.

وقوله: (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ) وهذا أيضًا وعيد لهم من الله خرج مخرج الأمر، وكذلك كان مجاهد يقول.

وقوله: (إِنَّهُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) يقول جل ثناؤه: إن الله أيها الناس بأعمالكم التي تعملونها ذو خبرة وعلم لا يخفى عليه منها، ولا من غيرها شيء.

وقال ابن كثير رحمه الله:

قوله: (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا)، قال ابن عباس: الإلحاد: وضع الكلام على غير مواضعه. وقال قتادة وغيره: هو الكفر والعناد.

وقوله: (لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا) أي: فيه تهديد شديد، ووعيد أكيد، أي: إنه تعالى عالم بمن يلحد في آياته وأسمائه وصفاته، وسيجزيه على ذلك بالعقوبة والنكال؛ ولهذا قال: (أَفَنَ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِيَّ آمَنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ)؟ أي: أيستوي هذا وهذا؟ لا يستويان.

ثم قال - رحمه الله - تهديدًا للكفرة: (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ) قال مجاهد، والضحاك،

وعطاء الخراساني: (أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ): وعيد، أي: من خير أو شر، إنه عليم بكم وبصير بأعمالكم؛ ولهذا قال: (إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾).

قال السعدي رحمه الله:

الإلحاد في آيات الله: الميل بها عن الصواب، بأي وجه كان: إما بإنكارها وجودها، وتكذيب من جاء بها. وإما بتحريفها عن معناها الحقيقي، وإثبات معانٍ لها، ما أرادها الله منها.



mostafaaladwy.com

قال الله تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا نَجْمًا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَمِي وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ ۖ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَلَّ عَمَلٌ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلِيلًا ۖ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ إِلَيْهِ يَرُدُّ السَّاعَةَ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۖ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآئِيَ قَالُوا ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ ﴿٤٨﴾)

[فصلت: ٤١-٤٨]

س: وضع معنى ما يلي:

(الذِّكْرُ - عَزِيزٌ - الْبَاطِلُ - حَكِيمٌ - حَمِيدٌ - أَعْجَمِيًّا - فَصَّلَتْ - وَقَرُّ - الْكِتَابُ - مُرِيبٌ - أَكْثَمِيهَا - ءَاذَنَّاكَ - وَضَلَّ عَنْهُمْ - وَظَنُّوا - نَحِيصٌ).

ج:

معناها	الكلمة
القرآن	﴿الذِّكْرُ﴾
كريم على الله - عزيز على الله - يغلب من أراد أن يأتي بمثله - مبيع الجناح	﴿عَزِيزٌ﴾
الشیطان - الافتراء	﴿الْبَاطِلُ﴾
ذو حكمة في الأمور كلها	﴿حَكِيمٌ﴾
محمود على نعمه وفضله	﴿حَمِيدٌ﴾
غير عربي	﴿أَعْجَمِيًّا﴾
بُيِّنَتْ ووضّحت	﴿فَصَّلَتْ﴾
صَمَمٌ - ثَقُلَ	﴿وَقَرُّ﴾
التوراة	﴿الْكِتَابُ﴾
مُحِيرٌ	﴿مُرِيبٌ﴾
أوعيتها	﴿أَكْثَمِيهَا﴾
أعلمناك - أخبرناك - أسمعناك	﴿ءَاذَنَّاكَ﴾
غاب عنهم - ذهب عنهم	﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾
تيقنوا	﴿وَوَظَنُوا﴾
مهرب - مصرف - فرار - مفر	﴿نَحِيصٌ﴾

التسهيل لتأويل التنزيل

س: **وضح المعنى الإجمال لقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ**

وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۚ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢)

ج: المعنى -والله أعلم- إن الذين جحدوا الكتاب المنزل من عند الله وهو القرآن، وكفروا به، فهو وإن جحدوه كتاب عزيز عند الله كريم على الله، غالب لمن أراد أن يأتي بمثله فلا يستطيع أحد من البشر أن يأتي بمثله ولا يستطيع أحد من البشر أن يدخل فيه ما ليس منه ولا أن يحذف ما هو ثابت فيه.

فقوله: ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۚ ﴾ قيل في معناه: ولا يستطيع الشيطان أن يدخل فيه شيئاً أو أن ينقص منه شيئاً؛ إذ هو تنزيل من عند الله ﷻ ذو الحكمة فيما يصنع وفي كل شيء. المحمود على نعمائه وفضائله على عباده. وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: إن الذين جحدوا هذا القرآن وكذبوا به لما جاءهم، وعنى بالذكر القرآن.

وقوله: (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝٤١) يقول تعالى ذكره: وإن هذا الذكر لكتاب

عزيز بإعزاز الله إياه، وحفظه من كل من أراد له تبديلاً أو تحريقاً، أو تغييراً، من إنسي وجني وشيطان مارد.

وقوله: ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۚ ﴾ اختلف أهل التأويل في

تأويله فقال بعضهم: معناه: لا يأتيه النكير من بين يديه ولا من خلفه.

تفسير سورة فصلت

٤٧٥

وقال آخرون: معنى ذلك: لا يستطيع الشيطان أن ينقص منه حقاً، ولا يزيد فيه باطلاً قالوا: والباطل هو الشيطان.

وقوله: (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ) من قبل الحق (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) ﴿٤١﴾ من قبل الباطل.

وأورد الطبري بإسناد حسن:

عن قتادة: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ ﴿٤١﴾ الباطل: إبليس لا يستطيع أن ينقص منه حقاً، ولا يزيد فيه باطلاً.

قال: وقال آخرون: معناه: إن الباطل لا يطيق أن يزيد فيه شيئاً من الحروف ولا ينقص منه شيئاً منها.

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال: معناه: لا يستطيع ذو باطل بكيدته تغييره بكيدته، وتبديل شيء من معانيه عما هو به، وذلك هو الإتيان من بين يديه، ولا إلحاق ما ليس منه فيه، وذلك إتيانه من خلفه.

وقوله: (تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) ﴿٤٢﴾ يقول تعالى ذكره: هو تنزيل من عند ذي حكمة بتدبير عباده، وصرفهم فيما فيه مصالحهم، (حميد) يقول: محمود على نعمه عليهم بأياديهم عندهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَأَنَّهُ لَكَنَّ بَعْزٌ عَزِيزٌ﴾ ﴿٤١﴾ أي: منيع الجباب، لا يرام أن يأتي أحد بمثله، (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) أي: ليس للباطل أن يأتيه سبيل؛ لأنه منزل من رب العالمين؛ ولهذا قال: (تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) ﴿٤٢﴾ أي: حكيم في أقواله وأفعاله، حميد بمعنى محمود، أي: في جميع ما يأمر به وينهى عنه.

الجميع محمودة عواقبه وغاياته.

وقال القرطبي رحمه الله:

﴿وَإِنَّهُ لَكِنْتُ عَزِيزٌ ۝٤١﴾ أي: عزيز على الله، قاله ابن عباس، وعنه: عزيز من عند الله. وقيل: كريم على الله. وقيل: (عَزِيزٌ) أي: أعزه الله فلا يتطرق إليه باطل. وقيل: ينبغي أن يعز ويجل وألا يلغى فيه. وقيل: (عَزِيزٌ) من الشيطان أن يبدله، قاله السدي. مقاتل: منع من الشيطان والباطل. السدي: غير مخلوق فلا مثل له. وقال ابن عباس أيضاً: (عَزِيزٌ) أي: ممتنع عن الناس أن يقولوا مثله. (لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) أي: لا يكذبه شيء مما أنزل الله من قبل ولا ينزل من بعده يبطله وينسخه، قال الكلبي. وقال السدي وقتادة: (لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ) يعني: الشيطان (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) لا يستطيع أن يغير ولا يزيد ولا ينقص. وقال سعيد بن جبیر: لا يأتيه التكذيب (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ). ابن جريج: (لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ) فيما أخبر عما مضى ولا فيما أخبر عما يكون. وعن ابن عباس: (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ) من الله تعالى: (وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) يريد من جبريل □، ولا من محمد □. (تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢) ابن عباس: (حَكِيمٍ) في خلقه (حَمِيدٍ) إليهم. قتادة: (حَكِيمٍ) في أمره (حَمِيدٍ) إلى خلقه.



س: اذكر جواب قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِنْتُ

عَزِيزٌ ۝٤١﴾؟

ج: أجب على ذلك الطبري بقوله:

واختلف أهل العربية في موضع تمام قوله: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ) فقال بعضهم: تمامه: (أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ) (٤٤) وجعل قائلو هذا القول خبر (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ) (أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ) (٤٤)؛ وقال بعض نحويي البصرة: يجوز ذلك ويجوز أن يكون على الأخبار التي في القرآن يستغنى بها، كما استغنت أشياء عن الخبر إذا طال الكلام، وعرف المعنى، نحو قوله: (وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ) [الرعد: ٣١] وما أشبه ذلك.

قال: وحدثني شيخ من أهل العلم، قال: سمعت عيسى بن عمر يسأل عمرو بن عبيد (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ) أين خبره؟ فقال عمرو:

معناه في التفسير: إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم كفروا به (وإنه،

لَكِنَّهُ عَزِيزٌ) (٤١) فقال عيسى: أجدت يا أبا عثمان.

وكان بعض نحويي الكوفة يقول: إن شئت جعلت جواب (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

بِالذِّكْرِ) (أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ) (٤٤) وإن شئت كان جوابه في قوله:

(وإنه، لَكِنَّهُ عَزِيزٌ) (٤١)، فيكون جوابه معلوماً، فترك فيكون أعرب الوجهين

وأشبهه بما جاء في القرآن.

وقال آخرون: بل ذلك مما انصرف عن الخبر عما ابتدئ به إلى الخبر

عن الذي بعده من الذكر؛ فعلى هذا القول ترك الخبر عن الذين كفروا

بالذكر، وجعل الخبر عن الذكر فتمامه على هذا القول؛ وإنه لكتاب عزيز؛

فكان معنى الكلام عند قائل هذا القول: إن الذكر الذي كفر به هؤلاء

المشركون لما جاءهم، وإنه لكتاب عزيز، وشبهه بقوله: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ

مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ) [البقرة: ٢٣٤].
وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: هو مما ترك خبره
اكْتفاءً بمعرفة السامعين بمعناه لما تطاول الكلام.



س: **وضح معنى قوله تعالى: (مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٌ)**.

ج: المعنى، والله أعلم، ما يقول لك أهل الشرك والتكذيب إلا كما قال
أمثالهم لرسول الله الكرام الذين أرسلوا إليهم، فإن قالوا عنك ساحر فقد قال
أسلافهم لرسولهم مثل ذلك، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا
قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُّونٌ ٥٢﴾ [الذاريات: ٥٢]، أي فاصبر كما صبر أولوا العزم من
الرسول، فإن ربك لذو مغفرة لك ولأصحابك ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ٥٣﴾ مؤلم
موجه لمن كذبوك وعاندوك.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ما يقول لك هؤلاء المشركون
المكذبون ما جئتهم به من عند ربك إلا ما قد قاله من قبلهم من الأمم الذين
كانوا من قبلك، يقول له: فاصبر على ما نالك من أذى منهم، كما صبر
أولو العزم من الرسول، ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨].

وأورد بإسناد حسن:

عن قتادة: (مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ) يعزي نبيّه □ كما
تسمعون، يقول: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُّونٌ ٥٢﴾.

قال الطبري:

وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَهُ﴾ يقول: إن ربك لذو مغفرة لذنوب التائبين إليه من ذنوبهم بالصفح عنهم ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٤٣) يقول: وهو ذو عقاب مؤلم لمن أصر على كفره وذنوبه، فمات على الإصرار على ذلك قبل التوبة.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال: (مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ) قال قتادة، والسدي، وغيرهما: ما يقال لك من التكذيب إلا كما قد قيل للرسل من قبلك، فكما قد كذبت فقد كذبوا، وكما صبروا على أذى قومهم لهم، فاصبر أنت على أذى قومك لك. وهذا اختيار ابن جرير، ولم يحك هو، ولا ابن أبي حاتم غيره.

وقوله: (إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ) أي: لمن تاب إليه ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٤٣) أي: لمن استمر على كفره، وطغيانه، وعناده، وشقاقه ومخالفته.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: (مَا يُقَالُ لَكَ) أي: من الأذى والتكذيب ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يعزي نبيه ويسليه (إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ) لك ولأصحابك ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٤٣) يريد لأعدائك وجيعة.

وقيل: أي ما يقال لك من إخلاص العبادة لله إلا ما قد أوحى إلى من قبلك، ولا خلاف بين الشرائع فيما يتعلق بالتوحيد وهو كقوله: (وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) (الزمر: ٢٥) أي: لم تدعهم إلا

التسهيل لتأويل التنزيل

إلى ما تدعو إليه جميع الانبياء فلا معنى لإنكارهم عليك.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

أي: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ﴾ أيها الرسول من الأقوال الصادرة، ممن كذبك وعاندك (إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ) أي: من جنسها، بل ربما إنهم تكلموا بكلام واحد، كتعجب جميع الأمم المكذبة للرسول، من دعوتهم إلى الإخلاص لله وعبادته وحده لا شريك له، وردهم هذا بكل طريق يقدرون عليه، وقولهم: (مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا).

واقترحهم على رسلهم الآيات، التي لا يلزمهم الإتيان بها، ونحو ذلك من أقوال أهل التكذيب، لما تشابهت قلوبهم في الكفر، تشابهت أقوالهم، وصبر الرسل عليهم السلام على أذاهم وتكذيبهم، فاصبر كما صبر من قبلك.

ثم دعاهم إلى التوبة والإتيان بأسباب المغفرة، وحذرهم من الاستمرار على الغي فقال: (إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ) أي: عظيمة، يمحو بها كل ذنب لمن أقبل وتاب (وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ) (٤٣) لمن: أصر واستكبر.



س: وضع معنى قوله تعالى: (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُ الْكِتَابِ

ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى).

ج: المعنى-والله تعالى أعلم:- ولو جعلنا هذا القرآن غير عربي لقال

أهل الشرك: لولا بُيِّنَتْ آياته ووضحت آياته؛ كيف يكون القرآن أعجمي

تفسير سورة فصلت

٤٨١

والرسول عربي؟ فأنزلناه عربيًا حتى يتلوه عليهم النبي العربي باللسان العربي فيفهمون المراد كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾.

[إبراهيم: ٤]

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِيكَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءً﴾ هداية وبيان للطريق وشفاء لما في صدورهم وكذا شفاء لأبدانهم، أما الذين لا يؤمنون به فهم يزدادون به ضلالًا إلى ضلالهم بما يحدثونه من تكذيب لهذا القرآن، ويزدادون عمى إلى ما هم فيه من العمى كما قال تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

وكما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَفَتَنَّا مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [١١٤] ﴿أَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [١١٥] [التوبة: ١٢٤-١٢٥].
وينحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ولو جعلنا هذا القرآن الذي أنزلناه يا محمد أعجميًا لقال قومك من قريش: (لَوْلَا فَصَّلَتْ أَيْنَهُ) يعني: هلا بينت أدلته وما فيه من آية، فنفقهم ونعلم ما هو وما فيه، أعجمي، يعني: أنهم كانوا يقولون إنكارا له: أأعجمي هذا القرآن ولسان الذي أنزل عليه عربي؟ وأورد بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير أنه قال في هذه الآية: (لَوْلَا

التسهيل لتأويل التنزيل

فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَجْمَمٌ وَعَرَبِيٌّ (١) قال: لو كان هذا القرآن أعجميًا لقالوا: القرآن أعجمي، ومحمد عربي.

وقوله: (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ) يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهم: هو، ويعني بقوله: (هُوَ) القرآن (لِلَّذِينَ آمَنُوا) بالله ورسوله، وصدقوا بما جاءهم به من عند ربهم (هُدًى) يعني: بيان للحق (هُدًى وَشِفَاءٌ) يعني: أنه شفاء من الجهل.

وقال الطبري رحمه الله:

وقوله: (وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْءَانُهُمْ عَلَيْهِمْ عَمًى) يقول تعالى ذكره: والذين لا يؤمنون بالله ورسوله، وما جاءهم به من عند الله في آذانهم ثقل عن استماع هذا القرآن، وصمم لا يستمعونه ولكنهم يعرضون عنه، (وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى) يقول: وهذا القرآن على قلوب هؤلاء المكذبين به عمى عنه، فلا يبصرون حججه عليهم، وما فيه من مواظله.

وقال ابن كثير رحمه الله:

لما ذكر تعالى القرآن وفصاحته وبلاغته، وإحكامه في لفظه ومعناه، ومع هذا لم يؤمن به المشركون، نبه على أن كفرهم به كفر عناد وتعنت، كما قال: (وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ۖ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ) (٢) [الشعراء: ١٩٨، ١٩٩]. وكذلك لو أنزل القرآن كله بلغة العجم، لقالوا على وجه التعنت والعناد: (لَوْلَا فَصَّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَجْمَمٌ وَعَرَبِيٌّ) أي: لقالوا: هلا أنزل مفصلا بلغة العرب، ولأنكروا ذلك وقالوا: أعجمي وعربي؟ أي: كيف ينزل كلام أعجمي على مخاطب عربي لا يفهمه.

تفسير سورة فصلت

٤٨٣

هكذا رُوي هذا المعنى عن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والسدي، وغيرهم.

وقيل: المراد بقولهم: (لَوْلَا فَضْلَتُ آيَتُهُ عِزِّي وَعَزِّي) أي: هلا أنزل بعضها بالأعجمي، وبعضها بالعربي.

هذا قول الحسن البصري، وكان يقرأها كذلك بلا استفهام في قوله (عِزِّي وَعَزِّي) وهو رواية عن سعيد بن جبير وهو في العناد أبلغ.

ثم قال تعالى: (قُلْ هُوَ الَّذِي ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءً) أي: قل يا محمد: هذا القرآن لمن آمن به هدى لقلبه وشفاء لما في الصدور من الشكوك والريب، (وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ) أي: لا يفهمون ما فيه، (وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى) أي: لا يهتدون إلى ما فيه من البيان كما قال تعالى: (وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) (الإسراء: ٨٢).



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾.

ج: قال بعض أهل العلم: إن المراد من ذلك أنهم في الدنيا إذا دعوا إلى الإيمان والقرآن لا يفهمون كالشخص الذي يناديه شخص من مكان بعيد فهو يسمع كلامه ولا يفهم ما يقول. ونحن هذا قال أهل التأويل.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (٤٤) اختلف أهل التأويل في

التسهيل لتأويل التنزيل

معناه، فقال بعضهم: معنى ذلك: تشبيهه من الله جلّ ثناؤه، لعمى قلوبهم عن فهم ما أنزل في القرآن من حججه ومواعظه ببعيد، فهم كسامع صوت من بعيد نودي، فلم يفهم ما نودي، كقول العرب للرجل القليل الفهم: إنك لتنادى من بعيد، وكقولهم للفهم: إنك لتأخذ الأمور من قريب.

وقال ابن جرير رحمه الله:

(أُولَئِكَ يُنَادُونَكَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۚ) قال مجاهد: يعني بعيد من قلوبهم.

قال ابن جرير رحمه الله: معناه: كأن من يخاطبهم يناديهم من مكان بعيد، لا يفهمون ما يقول.

قلت: وهذا كقوله تعالى: (وَمِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمِثْلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمًى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) [البقرة: ١٧١].

وقال الضحاك: ينادون يوم القيامة بأشنع أسمائهم.

وقال السدي: كان عمر بن الخطاب جالسا عند رجل من المسلمين يقضي، إذ قال: يا لبيكاه. فقال عمر: لم تلبني؟ هل رأيت أحدا، أو دعاك أحد؟ قال: دعاني داع من وراء البحر. فقال عمر: (أُولَئِكَ يُنَادُونَكَ مِنْ مَّكَانٍ

بَعِيدٍ ۚ). رواه ابن أبي حاتم.

قال السدي رحمه الله:

(أُولَئِكَ يُنَادُونَكَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۚ) أي: ينادون إلى الإيمان، ويدعون

إليه فلا يستجيبون. بمنزلة الذي ينادي، وهو في مكان بعيد، لا يسمع داعيا ولا يجيب مناديا.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ (٤٥).

ج: هذه تسليية لرسول الله ﷺ وتصبير له وتثبيت وتذكير بنبي الله الكريم موسى ﷺ، ومعنى الآية الكريمة: ولقد آتينا رسولنا موسى ﷺ التوراة كما آتيناك الفرقان يا رسول الله، فلما آتينا موسى التوراة كذب بها أقوام وآمن بها آخرون، وأقبل البعض على العمل بها وأعرض عنها آخرون، ولولا أن الله ﷻ قضى أنهم يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة لعوجلوا بالعقوبة في الدنيا ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي: وإن المبطلين المكذبين بالتوراة لفي ريبة شديدة وشك شديد من هذه التوراة ومن كونها من عند الله ﷻ ويُهتدى بها.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يا محمد، يعني التوراة، كما آتيناك الفرقان، ﴿فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ يقول: فاختلف في العمل بما فيه الذين أوتوه من اليهود (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) يقول: ولولا ما سبق من قضاء الله وحكمه فيهم أنه أخر عذابهم إلى يوم القيامة لقضى بينهم. يقول: لعجل الفصل بينهم فيما اختلفوا فيه بإهلاكه المبطلين منهم وقوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ (٤٥) يقول: وإن الفريق المبطل منهم لفي شك مما قالوا فيه (مُرِيبٍ) يقول: يريبهم قولهم فيه ما قالوا؛ لأنهم قالوا بغير ثبوت، وإنما قالوه ظنًا.

التسهيل لتأويل التنزيل

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أي: كُذِّبَ وأوذِي، (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) [الأحقاف: ٣٥]. (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) [الشورى: ١٤] بتأخير الحساب إلى يوم المعاد، (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) أي: لعجل لهم العذاب، بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلاً (وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ) (٤٥) أي: وما كان تكذيبهم له عن بصيرة منهم لما قالوا، بل كانوا شاكرين فيما قالوا، غير محققين لشيء كانوا فيه. هكذا وجهه ابن جرير، وهو محتمل، والله أعلم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يعني: التوراة (فَاخْتَلَفَ فِيهِ) أي: آمن به قوم وكذب به قوم. والكناية ترجع إلى الكتاب، وتسلية للنبي ﷺ، أي: لا يحزنك اختلاف قومك في كتابك، فقد اختلف من قبلهم في كتابهم. وقيل: الكناية ترجع إلى موسى. (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) أي: في إمهالهم. (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) أي: بتعجيل العذاب. (وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ) من القرآن (مُرِيبٍ) أي: شديد الريبة. لأتاهم العذاب كما فعل بغيرهم من الأمم. وقيل: تأخير العذاب لما يخرج من أصلابهم من المؤمنين.



س: **وضح معنى قوله تعالى: (مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا**

رَبُّكَ بِظُلْمٍ لِّلْعَبِيدِ ۖ) (٤٦).

ج: المعنى - والله أعلم- من عمل بما أمره الله به وأمره به رسول الله

من الصالحات فعائدة ذلك على نفسه، فيثاب على ذلك، ومن عمل سيئاً، فخالف الكتاب العزيز والسنة المباركة فعائدة ذلك أيضاً راجعة على نفسه وما ربك بمُبْخَس لعباده حقوقهم.

وهذا كما في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِيكُمْ بِهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» (١).

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: من عمل بطاعة الله في هذه الدنيا، فائتمر لأمره، وانتهى عما نهاه عنه ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ يقول: فلنفسه عمل ذلك الصالح من العمل، لأنه يجازى عليه جزاءه، فيستوجب في المعاد من الله الجنة، والنجاة من النار. ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ يقول: ومن عمل بمعاصي الله فيها، فعلى نفسه جنى، لأنه أكسبها بذلك سخط الله، والعقاب الأليم. (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) (٤٦) يقول تعالى ذكره: وما ربك يا محمد بحامل عقوبة ذنب مذنب على غير مكتسبه، بل لا يعاقب أحداً إلا على حرامه الذي اكتسبه في الدنيا، أو على سبب استحققه به منه، والله أعلم.

وقال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ أي: إنما يعود نفع ذلك على نفسه، ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ أي: إنما يرجع وبال ذلك عليه، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (٤٦) أي: لا يعاقب أحداً إلا بذنب، ولا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه، وإرسال الرسول إليه.

التسهيل لتأويل التنزيل

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ شرط وجوابه وكذا ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾. والله جل وعز مستغن عن طاعة العباد، فمن أطاع فالثواب له، ومن أساء فالعقاب عليه. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (٤٦) نفى الظلم عن نفسه جل وعز قليلاً وكثيره، وإذا انتفت المبالغة انتفى غيرها، دليله قوله الحق: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ [يونس: ٤٤] وروى العدول الثقات، والأئمة الأثبات، عن الراشد العدل، عن أمين الأرض، عن أمين السماء، عن الرب ﷻ: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا» الحديث.

وأيضاً فهو الحكيم المالك، وما يفعله المالك في ملكه لا اعتراض عليه، إذ له التصرف في ملكه بما يريد.



س: قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (٤٦) (الظلم كثير الظلم، فكيف يوجه ما قد يفهم من أن الآية لم تنف كل الظلم عن الله ﷻ؟

ج: الجواب من وجوه

أحدها: أن الله ﷻ نفى عن نفسه الظلم كله في مواطن آخر، قليلاً وكثيره.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾.

الثاني: لعل الإخبار بقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (٤٦) أمام قول من قال: إن الله لا يظلم الخلق، وقالوا: من ثم ولكنة الخلق فإن الظلم يكثر فنفي الله ﷻ ما قالوه.

تفسير سورة فصلت

٤٨٩

وقد أجاب الشنقيطي على مثل هذا السؤال- بعد أن طرحه - بشيء من التفصيل، فقال **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

وفي هذه الآيات سؤال معروف ، وهو أن لفظة ظلام فيها صيغة مبالغة .

ومعلوم أن نفي المبالغة ، لا يستلزم نفي الفعل من أصله .
فقولك مثلاً: زيد ليس بقتال للرجال لا ينفي إلا مبالغته في قتلهم ، فلا ينافي أنه ربما قتل بعض الرجال .
 ومعلوم أن المراد بنفي المبالغة ، في الآيات المذكورة هو نفي الظلم من أصله .

والجواب عن هذا الإشكال من أربعة أوجه :

الأول : أن نفي صيغة المبالغة في الآيات المذكورة ، قد بينت آيات كثيرة ، أن المراد به نفي الظلم من أصله .
 ونفي صيغة المبالغة ، إذا دلت أدلة منفصلة على أن يراد به نفي أصل الفعل ، فلا إشكال لقيام الدليل على المراد .
 والآيات الدالة على ذلك كثيرة معروفة ، كقوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَعِفْهَا) [النساء : ٤٠] الآية . وقوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ) [يونس : ٤٤] .
 وقوله تعالى : (وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) [الكهف : ٤٩] وقوله تعالى : (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا) [الأنبياء : ٤٧] الآية . إلى غير ذلك من الآيات كما قدمنا إيضاحه في سورة الكهف والأنبياء .

التسهيل لتأويل التنزيل

الوجه الثاني: أن الله جل وعلا نفى ظلمه للعبيد ، والعبيد في غاية الكثرة .

والظلم المنفي عنهم تستلزم كثرتهم كثرتهم ، فناسب ذلك الإتيان بصيغة المبالغة للدلالة على كثرة المنفي التابعة لكثرة العبيد ، المنفي عنهم الظلم ، إذ لو رفع على كل عبد ظلم ولو قليلاً ، كان مجموع ذلك الظلم في غاية الكثرة ، كما ترى .

وبذلك تعلم اتجاه التعبير بصيغة المبالغة ، وأن المراد بذلك نفى أصل الظلم ، عن كل عبد من أولئك العبيد ، الذين هم في غاية الكثرة ، سبحانه وتعالى عن أن يظلم أحداً شيئاً ، كما بينته الآيات القرآنية المذكورة .

وفي الحديث: « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي » الحديث .

الوجه الثالث: أن المسوغ لصيغة المبالغة، أن عذابه تعالى بالغ من العظم والشدة، أنه لولا استحقاق المعذبين لذلك العذاب بكفرهم، ومعاصيهم لكان معذبهم به ظلاماً بليغ الظلم متفاقمه ، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً .

وهذا الوجه والذي قبله أشار لهما الزمخشري ع سورة الأنفال .

الوجه الرابع : ما ذكره بعض علماء العربية وبعض المفسرين ، من أن المراد بالنفي في قوله: (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾) نفي نسبة الظلم إليه ، لأن صيغة فعال تستعمل مراداً بها النسبة فتعني عن ياء النسب كما أشار له في الخلاصة بقوله :

ومع فاعل وفَعَّال فَعِلْ في نَسَب أَغْنَى عَنِ الْيَا فَعْبِلْ

تفسير سورة فصلت

٤٩١

ومعنى البيت المذكور ، أن الصيغ الثلاثة المذكورة فيه التي هي فاعل كظالم وفَعَّال كظَّالِم ، وفَعِل كفَرَح ، كل منها قد تستعمل مرادًا بها النسبة ، فيستغنى بها عن ياء النسب ، ومثاله في فاعل قول الحطيئة في هجوه الزبرقان ابن بدر التميمي :

دع المكحرم لا ترحل لبغيتهـا واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فالمراد بقوله: الطاعم الكاسي النسبة ، أي ذو طعام وكسوة.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بُعْثًا وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْذَنَّاكَ مَا مِثْلُ شَيْءٍ ۚ﴾ (٤٧) وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ ﴿٤٨﴾ .

ج: المعنى – والله أعلم- أن أهل العلم والأنبياء وغيرهم من أهل الإيمان، بل والملائكة إذا سُئِلُوا عن يوم القيامة وموعده لم يعلموا ما وعده بل يردون العلم بذلك إلى الله كما قال رسول الله ﷺ لما سُئِلَ عن الساعة: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»، وكذا فإن الله ﷻ يعلم من تخرج الثمار من أوعيتها وأغلفتها ويعلم متى تحمل النسوة ومن يضعن، فاذا ذكر يوم القيامة وما فيه يوم ينادى الله العباد قائلاً: «أين شركاءي الذين كنتم تعبدونهم من دوني، قال المشركون: ﴿أَدْذَنَّاكَ﴾ أعلمناك يا ربنا – وأنبت أعلم – وأخبرناك أنه ما منا من أحدٍ يشهد أن لك شريكًا.

وقال بعض أهل العلم: إن قوله: ﴿قَالُوا أَدْذَنَّاكَ﴾ قالته الأصنام، فالله أعلم.

هذا، والأظهر أن قائل ذلك هم المشركون لأن السياق في شأنهم.

التسهيل لتأويل التنزيل

وقوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: غاب عن أهل الشرك ما كانوا يعبدون من الأصنام والأوثان، وحينئذٍ تيقن أهل الشرك أنه لا مهرب لهم ولا مفر من دخول النار، عيادًا بالله.

وبنحو هذا قال أهل التأويل:

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: إلى الله يرد العالمون به علم الساعة، فإنه لا يعلم متى قيامها غيره. (وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَةٍ مِنْ أَكْمَامِهَا) يقول: وما تظهر من ثمرة شجرة من أكمامها التي هي متعينة فيها، فتخرج منها بارزة. (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى) يقول: وما تحمل من أنثى من حمل حين تحمله، ولا تضع ولدها إلا بعلم من الله، لا يخفى عليه شيء من ذلك. وقوله: (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ) يقول تعالى ذكره: ويوم ينادي الله هؤلاء المشركين به في الدنيا الأوثان والأصنام: أين شركائي الذين كنتم تشركونهم في عبادتكم إياي؟ (قَالُوا أَذُنَاكَ) يقول: أعلمناك (مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ) يقول: قال هؤلاء المشركون لربهم يومئذٍ ما منا من شهيد يشهد أن لك شريكًا.

وقال:

في تأويل قوله تعالى: (وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ نَجْدٍ) (٤٨) لَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ (٤٩) **يقول تعالى ذكره:** وضلّ عن هؤلاء المشركين يوم القيامة آلهتهم التي كانوا يعبدونها في الدنيا، فأخذ بها طريق غير طريقهم، فلم تنفعهم، ولم

تفسير سورة فصلت

٤٩٣

تدفع عنهم شيئاً من عذاب الله الذي حلّ بهم.

وقوله: (وَضَنُّوْا مَا لَهُمْ مِّنْ نَّجِيٍّ ۝٤٨) يقول: وأيقنوا حينئذ ما لهم من ملجأ: أي ليس لهم ملجأ يلجئون إليه من عذاب الله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

ثم قال: (إِنَّ إِلَهَهُ يَرُدُّ عَلَّمَ السَّاعَةَ) أي: لا يعلم ذلك أحد سواه، كما قال □، وهو سيد البشر جبريل وهو من سادات الملائكة -حين سألته عن الساعة، فقال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل»، وكما قال تعالى: (إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ۝٤٤) [النازعات: ٤٤]، وقال: (لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْعِهَا إِلَّا هُوَ) [الأعراف: ١٨٧].

وقوله: (وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرٍ مِنْ أَكْمامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ) أي: الجميع بعلمه، لا يعزب عن علمه من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. وقد قال تعالى: (وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا) [الأنعام: ٥٩]، وقال جلت عظمته: (يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ۝٨) [الرعد: ٨]، وقال: (وَمَا يَعْمُرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝١١) [فاطر: ١١].

وقوله: (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَتَيْنَ شُرَكَاءِي) أي: يوم القيامة ينادي الله المشركين على رءوس الخلائق: أين شركائي الذين عبدتموهم معي؟ (قَالُوا أَذْنُكَ) أي: أعلمناك، (مَا مَنَّا مِنْ شَهِيدٍ ۝٤٧) أي: ليس أحد منا اليوم يشهد أن معك شريكا، (وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ) أي: ذهبوا فلم ينفعوهم، (وَضَنُّوْا مَا لَهُمْ مِّنْ نَّجِيٍّ ۝٤٨) أي: وظن المشركون يوم القيامة، وهذا بمعنى اليقين، (مَا لَهُمْ مِّنْ نَّجِيٍّ ۝٤٨) أي: لا محيد لهم عن عذاب الله، كقوله تعالى: (وَرَوَّاهُ

التسهيل لتأويل التنزيل

الْمَجْرُمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَافِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ (الكهف: ٥٣).

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي حين وقتها. وذلك أنهم قالوا: يا محمد إن كنت نبياً فخبرنا متى قيام الساعة فنزلت: (وما تخرج من ثمرة) «من» زائدة أي وما تخرج ثمرة. (مِنْ أَكْمَامِهَا) أي: من أوعيتها، فالأكمام أوعية الثمرة، واحدها كمة وهي كل ظرف لمل أو غيره، ولذلك سمي قشر الطلع أعني كفراه الذي ينشق عن الثمرة كمة، قال ابن عباس: الكمة الكفري قبل أن تنشق، فإذا انشقت فليست بكمة.

وسياتي لهذا مزيد بيان في سورة «الرحمن». وقرأ نافع وابن عامر وحفص (مِنْ ثَمَرَاتِ) على الجمع. الباقون «ثمرة» على التوحيد والمراد الجمع، لقوله: (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى) والمراد الجمع، يقول: ﴿إِلَيْهِ يُرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ كما يرد إليه علم الثمار والنتاج.

(وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ) أي: ينادي الله المشركين (أَيْنَ شُرَكَاءِي) الذين زعمتم في الدنيا أنها آلهة تشفع. (قَالُوا) يعني الأصنام. وقيل: المشركون. ويحتمل أن يريدهم جميعا العابد والمعبود (ءَاذَنَّاكَ) أسمعناك وأعلمناك.

يقال:

آذن يؤذن: إذا أعلم، قال:

تفسير سورة فصلت

٤٩٥

اذنتنا بينها أسماء ورب ثاو يمل منه الثواء

(مَائِمًا مِنْ شَهِيدٍ ٤٧) أي: نعلمك ما منا أحد يشهد بأن لك شريكًا. لما عاينوا القيامة تبرءوا من الأصنام وتبرأت الأصنام منهم كما تقدم في غير موضع.

(وَضَلَّ عَنْهُمْ) أي بطل عنهم (مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ) في الدنيا (وَضَنُّوا) أي: أيقنوا وعلوموا (مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ ٤٨) أي فرار عن النار. و«ما» هنا حرف وليس باسم، فلذلك لم يعمل فيه الظن وجعل الفعل ملغى، تقديره: وذنوا أنهم ما لهم محيص ولا مهرب.

يقال: حاص يحيص. حيصا ومحيصا إذا هرب.

وقيل: إن الظن هنا الذي هو أغلب الرأي، لا يشكون في أنهم أصحاب النار ولكن يطمعون أن يخرجوا منها. وليس يبعد أن يكون لهم ظن ورجاء إلى أن يؤيسوا.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي «تفسير الكريم الرحمن»:

(ءَاذَتْكَ مَائِمًا مِنْ شَهِيدٍ ٤٧) أي: أعلمناك يا ربنا، واشهد علينا أنه ما منا أحد يشهد بصحة إلهيتهم وشركتهم، فكلنا الآن رجعنا إلى بطلان عبادتها، وتبرأنا منها، ولهذا قال: (وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ) من دون الله، أي: ذهبت عقائدهم وأعمالهم، التي أفنوا فيها أعمارهم على عبادة غير الله، وذنوا أنها تفيدهم، وتدفع عنهم العذاب، وتشفع لهم عند الله، فخاب سعيهم، وانتقض ظنهم، ولم تغن عنهم شركاؤهم شيئاً (وَضَنُّوا) أي: أيقنوا

التسهيل لتأويل التنزيل

في تلك الحال (مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾) أي: منقذ ينقذهم، ولا مغيث، ولا ملجأ، فهذه عاقبة من أشرك بالله غيره، بينها الله لعباده، ليحذروا الشرك به.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّ مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾).

الظن هنا بمعنى اليقين ، لأن الكفار يوم القيامة إذا عاينوا العذاب ، وشاهدوا الحقائق ، علموا في ذلك الوقت أنهم ليس لهم من محيص ، أي ليس لهم مفر ولا ملجأ .

والظاهر أن المحيص مصدر ميمي ، من حاص يحيص بمعنى حاد وعدل وهرب .

وما ذكرنا من أن الظن في هذه الآية الكريمة بمعنى اليقين والعلم ، هو التحقيق إن شاء الله ، لأن يوم القيامة تنكشف فيه الحقائق ، فيحصل للكفار العلم بها لا يخالجهم في ذلك شك . كما قال تعالى عنهم ، إنهم

يقولون يوم القيامة (رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾)

[السجدة : ١٢]. وقال تعالى : (أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا) [البرق : ٣٨]. وقال

تعالى : (فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾) [ق : ٢٢]. وقال تعالى : (

وَلَوْ تَرَى إِذْ وُفِّقُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا) [الأنعام : ٣٠] وقد قدمنا

الآيات الموضحة لهذا في سورة النمل في الكلام على قوله تعالى: (بَلْ

أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ) [النمل : ٦٦] الآية .

ومعلوم أن الظن يطلق في لغة العرب ، التي نزل بها القرآن على

معنيين :

تفسير سورة فصلت

٤٩٧

أحدهما : الشك كقوله: (إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) [يونس : ٣٦] ، وقوله تعالى عن الكفار : (إِنْ نَّظُنُّهُ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيِقِّينَ) (٣٢) [الجاثية : ٣٢] .

والثاني : هو إطلاق الظن مرادًا به العلم واليقين ، ومنه قوله تعالى هنا : (وَنُظُنُّوْا مَا لَهُمْ مِنْ نَّجِيصٍ) (٤٨) [فصلت : ٤٨] أي أيقنوا ، أنهم ليس لهم يوم القيامة محيص ، أي لا مفر ولا مهرب لهم من عذاب ربهم ، ومنه بهذا المعنى قوله تعالى : (وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا) [الكهف : ٥٣] أي أيقنوا ذلك وعلموه ، وقوله تعالى : (الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) (٤٦) [البقرة : ٤٦] وقوله تعالى : (قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَمَ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَتُهُمْ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ) [البقرة : ٢٤٩] وقوله تعالى : (فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِرِسَالَةٍ يَقُولُ هَاتُوا بُرْهَانًا كَذِبَةً) (١٩) [الأنعام : ١٩] إني ظننتُ أني مُلَاقٍ حَسَابَةٍ (٢٠) [الحاقة : ١٩ ، ٢٠] ، فالظن في الآيات المذكورة كلها بمعنى اليقين .

ونظير ذلك من كلام العرب قول دريد بن الصمة :
فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج سراتهم في الغرسي المسرد

وقول عميرة بن طارق :
بأن تفتروا قومي وأقعد فيكم وأجعل مني الظن غيبًا مرجحًا

والظن في البيتين المذكورين بمعنى اليقين ، والفعل القلبى في الآية المذكورة التي هي قوله : (وَنُظُنُّوْا مَا لَهُمْ مِنْ نَّجِيصٍ) (٤٨) [فصلت : ٤٨] معلق عن العمل في المفعولين بسبب النفي بلفظة ما في قوله : (مَا لَهُمْ مِنْ نَّجِيصٍ) (٤٨) كما أشار له في الخلاصة بقوله :

*والتزم التعليق قبل نفي « ما » *



mostafaaladwy.com

قال الله تعالى:

(لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ)
 ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَذَقْتَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرْاءَ مَسِّهِ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا
 أَظُنُّ السَّاعَةَ فَأَيَّامَةٌ وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى
 فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ
 ﴿٥١﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَغْرَضَ وَجْهَ بَاجِنِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو
 دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ
 كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ سَرِيهِمْ
 ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ وَلَمْ يَكْفِ
 بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْكَةٍ مِّنْ يَدَيْ رَبِّهِمْ
 أَلَّا يَنْهَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٥﴾)

[فصلت: ٤٩-٥٤]

س: وضع معنى ما يلي:

(لَا يَسْتَمُ - دُعَاءُ الْخَيْرِ - مَسَّهُ - الشَّرُّ - فَيُؤْسُ - قُنُوطٌ - أَذَقْنَهُ - رَحْمَةً - ضَرَاءٌ - قَائِمَةٌ - لِلْحُسْنَى - فَلَنُنَبِّئَنَّ - غَلِيظٌ - أَعْرَضَ - وَثَنًا بِجَانِبِهِ - دُعَاءُ عَرِيضٍ - شِقَاقٍ بَعِيدٍ - ءَايَتِنَا - الْأَفَاقِ - يَبَيِّنُ - مَرِيَّةٍ - بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ)؟

ج:

الكلمات	معناها
﴿لَا يَسْتَمُ﴾	لا يمل - لا يتعب
﴿دُعَاءُ الْخَيْرِ﴾	دعاء ربه بسعة الرزق والعافية - سؤال ربه المال والصحة
﴿مَسَّهُ﴾	أصابه
﴿الشَّرُّ﴾	الفقر أو المرض
﴿فَيُؤْسُ﴾	يؤوس من رحمة الله - ويؤوس من إجابة الدعاء - يظن أنه لن يستجاب له دعاء
﴿قُنُوطٌ﴾	يظن أن ما به لن يكشف ولن يروى ويظن أنه سيدوم
﴿أَذَقْنَهُ﴾	أنعمنا عليه - تفضلنا عليه
﴿رَحْمَةً﴾	سعة في الرزق وعافية في البدن ووجاهة وسلطانا
﴿ضَرَاءٌ﴾	بلاء - قلة مال وشدة مرض
﴿قَائِمَةٌ﴾	آتية - واقعة
﴿لِلْحُسْنَى﴾	للجنة - لسعة في الرزق وعافية في البدن ووجاهة وسلطانا
﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ﴾	فلنخبرن
﴿غَلِيظٌ﴾	شديد

تفسير سورة فصلت

٥٠١

﴿أَعْرَضَ﴾	انصرف عن طاعة ربه
﴿وَنَآءٍ بِجَانِبِهِ﴾	تباعد وصدَّ بوجهه
﴿دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾	دعاء كثير
﴿شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾	فراق للحق بعيد، وأصله أن يكون الشخص في شق، واتجاه والحق في شق واتجاه آخر
﴿ءَايَاتِنَا﴾	آياتنا والدلائل على وحدانيتنا
﴿الْأَفَاقِ﴾	نواحي السموات والأرض وأقطار السموات والأرض
﴿يَبَيِّنَ﴾	يظهر
﴿مَرِيَّةٍ﴾	شك وريب
﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾	عالم بكل شيء وقادر على كل شيء



س: **وضح معنى قوله تعالى: (لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْكَافِرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ) (٤٩).**

ج: لا يمل الإنسان ولا يتعب من سؤال ربه ﷻ السعة في الأرزاق والعافية في البدن والعز والسلطان وإن أصيب بشيء من الفقر، أو شيء من المرض أو فقدان المنصب والجاه يظن أن ما به لن ينكشف أبداً وحينئذ ييأس من روح الله، ويقنط من رحمته. فحالُه إذا أصيب بالفقر والمرض أنه يؤوس من زوال البلاء قنوط يظن أن ما به لن يزول، هذا، وقد قال بعض أهل العلم أن المراد بالإنسان هنا الكافر والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿لَا يَسْمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ يقول تعالى ذكره: لا يمل الكافر بالله من دعاء الخير، يعني من دعائه بالخير، ومسألته إياه ربه. والخير في هذا الموضع: المال وصحة الجسم، يقول: لا يمل من طلب ذلك. (وإن مَسَّهُ الشَّرُّ) يقول: وإن ناله ضرر في نفسه من سُقم أو جهد في معيشته، أو احتباس من رزقه (فَيُؤْسُّ قَنُوطٌ) (٤٩) يقول: فإنه ذو يأس من روح الله وفرجه، قنوط من رحمته، ومن أن يكشف ذلك الشر النازل به عنه.

وقال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: لا يمل الإنسان من دعائه ربه بالخير - وهو: المال، وصحة الجسم، وغير ذلك، ﴿وإن مَسَّهُ الشَّرُّ﴾، وهو: البلاء أو الفقر ﴿فَيُؤْسُّ قَنُوطٌ﴾ (٤٩) أي: يقع في ذهنه أنه لا يتهيأ له بعد هذا خير.



س: **وضح معنى قوله تعالى:** (وَلَئِنْ أَذَقْتَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ الْخُسْفَىٰ فَلَنُنَازِنَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٠)).

ج: هذا حال الإنسان الكافر والعياذ بالله لنن بدل الله ﷻ حاله وكشف ما به من ضرر وأبدله مكان الفقر والقلّة سعة وغنى، ومكان المرض والبلاء صحة وعافية، ورفع بعد أن كان ذليلاً وأعزّه (في الدنيا) بعد أن كان ضيعاً إذا به يتعالى على ربه ويتعاضم على الخلق فيقول: إنني حقيق وجدير بأن يحدث لي مثل هذا فأنا أستحقه بجدارة وقد أوتيته بعلمي

تفسير سورة فصلت

٥٠٣

وبفهمي، ويتمادي في ضلاله فيقول: وما أعتقد أن القيامة ستقوم، فلا بعث ولا نشور، وعلى فرض أنه سيكون هناك بعث ونشور، ورجعنا يوم القيامة أحياء فالذي أكرمني في الدنيا سيكرمني في الآخرة بالمال وسعة الرزق والعافية والجنة.

يقول تعالى متوعدًا هذا الذي هذه حاله، بقوله: ﴿فَلْيُنْذِرْ أَلَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلْيُذِيقَهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ٥٠﴾ أي: فلنخبرهم يوم القيامة بما عملوه في دنياهم ولندخلهم عذابًا شديدًا، وهو جهنم والعياذ بالله وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ولئن نحن كشفنا عن هذا الكافر ما أصابه من سقم في نفسه وضرر، وشدة في معيشتة وجهد، رحمة منا، فوهبنا له العافية في نفسه بعد السقم، ورزقناه مالا فوسعنا عليه في معيشتة من بعد الجهد والضرر. ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ عند الله، لأن الله راضٍ عني برضاه عملي، وما أنا عليه مقيم.

﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ يقول: وما أحسب القيامة قائمة يوم تقوم. يقول: وإن قامت أيضا القيامة، ورددت إلى الله حيا بعد مماتي. يقول: إن لي عنده غنى ومالا.

(فَلْيُنْذِرْ أَلَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا) يقول تعالى ذكره: فلنخبرن هؤلاء الكفار بالله، المتمنين عليه الأباطيل يوم يرجعون إليه بما عملوا في الدنيا من المعاصي، واجترحوا من السيئات، ثم لنجازين جميعهم على ذلك جزاءهم.

التسهيل لتأويل التنزيل

(وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٥٠) وذلك العذاب الغليظ تخليدهم في نار جهنم، لا يموتون فيها ولا يحيون.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

(وَلَيْنَ أَذَقْتَهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي) أي: إذا أصابه خير ورزق بعد ما كان في شدة ليقولن: هذا لي، إني كنت أستحقه عند ربي، (وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً) أي: يكفر بقيام الساعة، أي: لأجل أنه خُوِّلَ نعمة يفخر، ويبطر، ويكفر، كما قال تعالى: (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ۝٦٠) (٦٠) أَن رَّاهُ اسْتَعْتَفَى ۝٧٠) [العلق: ٦، ٧].

(وَلَيْنَ رُجْعٌ إِلَىٰ رَبِّيَ إِنَّ لِي عِنْدَهُ الْخُسْفَىٰ) أي: ولنن كان ثمَّ معاد فليُحسَنَنَّ إلي ربي، كما أحسن إلي في هذه الدار، يتمنى على الله، رَحِمَهُ اللهُ، بعد إساءته العمل وعدم اليقين. قال تعالى: (فَالَّذِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٥٠) يتهدد تعالى من كان هذا عمله واعتقاده بالعقاب والنكال.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: (وَلَيْنَ أَذَقْتَهُ رَحْمَةً مِّنَّا) عاقبة ورخاء وغنى ﴿ مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَتْهُ ﴾ ضر وسقم وشدة وفقر. (لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي) أي هذا شيء استحققه على الله لرضاه بعلمي، فيرى النعمة حتماً واجب على الله تعالى، ولم يعلم أنه ابتلاه بالنعمة والمحنة، ليتبين شكره وصبره. وقال ابن عباس: (هَذَا لِي) أي: هذا من عندي. (وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَيْنَ رُجْعٌ إِلَىٰ رَبِّيَ إِنَّ لِي عِنْدَهُ الْخُسْفَىٰ) أي: الجنة، واللام للتأكيد. يتمنى الأماني بلا عمل. قال الحسن بن محمد بن علي ابن أبي طالب: للكافر أمنيّتان أما في الدنيا فيقول: (وَلَيْنَ رُجْعٌ إِلَىٰ رَبِّيَ إِنَّ لِي عِنْدَهُ الْخُسْفَىٰ)، وأما في الآخرة فيقول: (يَلَيِّنَا نَرُدُّ وَلَا

تفسير سورة فصلت

٥٠٥

تَكْذِبَ يَأَيَّتْ رَبِّنَا وَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ [الأنعام: ٢٧] و (بَلَّغْتَنِي كُنتُ رَبًّا) ﴿٢٨﴾ [النبأ: ٤٠]. (فَلْتُنَبِّئِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا) أي: لنجزينهم. قسم أقسم الله عليه. (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ) ﴿٥٠﴾ شديد.



س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله: ﴿وَلَيْنُزِجَعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنْ لِّيَ عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ ؟

ج: في معناها قول صاحب الجنتين المذكور أمره في سورة الكهف ﴿وَلَيْنُزِجَعْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ حَيْثُ مَثَلُهَا مُنْقَلَبًا﴾ ﴿٣٨﴾ [الكهف: ٣٦].
قوله تعالى: (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِعَاقِبَتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا) ﴿٧٧﴾ [مريم: ٧٧].



س: وضح معنى تأويل قوله تعالى: (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ) ﴿٥١﴾ .

ج: المعنى، والله أعلم، وإذا أنعمنا على الإنسان الكافر بنعمة منا أعرض عن الإيمان وانصرف متباعدًا متناهيًا عن طاعة ربه ﷻ، وإذا أصابه الشر إذا به يدعو دعاءً طويلًا كثيرًا لكشف ما حلَّ به من ضرٍّ، فالكافر يعرف ربه في البلاء ولا يعرفه في الرخاء وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وإذا نحن أنعمنا على الكافر، فكشفنا ما به من ضرٍّ، ورزقناه غنى وسعة، ووهبنا له صحة جسم وعافية، أعرض عما

التسهيل لتأويل التنزيل

٥٠٦

دعونا إله من طاعته، وصد عنه (وَنَآ بِجَانِبِهِ) يقول: وبعد من إجابتنا إلى ما دعونا إله، ويعني بجانبه بناحيته.

وقوله: (وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُودُكَ عَرِيضٍ ٥١) يعني بالعريض: الكثير.

وقال ابن كثير رحمه الله:

ثم قال: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَا بِجَانِبِهِ﴾ أي: أعرض عن الطاعة، واستكبر عن الانقياد لأوامر الله، عز وجل، كقوله تعالى: (فَتَوَلَّى بَرَكِيهٖ) [الذاريات: ٣٩].

(وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ) أي: الشدة، (فَذُودُكَ عَرِيضٍ ٥١) أي: يطيل المسألة في الشيء الواحد فالكلام العريض، ما طال لفظه وقل معناه، والوجيز: عكسه، وهو: ما قل ودل. وقد قال تعالى: (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا لِحَبِيهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَافًٍ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ) [يونس: ١٢].



س: المال والصحة والعافية كل ذلك يطغى في كل من الأحيان دَلِّل

على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُودُ

دُكَ عَرِيضٍ ٥١﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ

يُوسُفَ ٨٣﴾ [الإسراء: ٨٣].

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَظَنٍ ٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى ٧﴾ إلى غير ذلك من



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثَمَرٌ

كَفَرْتُمْ بِهِ، مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾.

ج: المعنى، والله أعلم قل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين لك والمعاندين للحق، والمعرضين عن القرآن، أرأيتم يا هؤلاء إن كان هذا القرآن حقاً، وهو حق بلا ريب - ومن عند الله قد نزل، فكيف ستكون حالكم يوم القيامة وقد تبين لكم صدق ما فيه وتحقق ما فيه من الوعد والوعيد كيف ستكون حالكم؟!

إنها ستكون كما أخبر الله ﷻ، ستكونون في النار خالدين مخلدين، ثم قال تعالى من أضل ممن هو في شقاق بعيد، من هو أشد ضلالاً ممن هو في شق بعيد والحق في شق آخر بعيد عنه.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: (قُلْ) يا محمد المكذبين بما جنتهم

به من عند ربك من هذا القرآن (أَرَأَيْتُمْ) أيها القوم (إِنْ كَانَ) هذا الذي تكذبون به ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ كَفَرْتُمْ بِهِ ﴿أَلَسْتُمْ فِي فِرَاقٍ وَبَعْدٍ مِنَ الصَّوَابِ، فَجَعَلَ مَكَانَ التَّفْرِيقِ الْخَبَرَ، فَقَالَ: (مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ)﴾ (٥٢) إذا كان مفهوما معناه.

وقوله: (مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) ﴿٥٢﴾ يقول: قل لهم من أشد

ذهاباً عن قصد السبيل، وأسلك لغير طريق الصواب، ممن هو في فراق لأمر الله وخوف له، بعيد من الرشاد.

التسهيل لتأويل التنزيل

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بالقرآن: (أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ) هَذَا الْقُرْآنُ ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾ ❦ أي: كيف تُروْنَ حالكم عند الذي أنزله على رسوله؟ ولهذا قال: (مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقِ بَعِيدٍ) ❦ أي: في كفر وعناد ومشاقة للحق، ومَسَلِّكٌ بعيد من الهدى.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ) أي: قل لهم يا محمد (أَرَأَيْتُمْ) يا معشر المشركين. (إِنْ كَانَ) هذا القرآن ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾ ❦ مَنْ أَضَلُّ ❦ أي: فأَيُّ الناس أضل، أي لا أحد أضلُّ منكم لفرط شقاقكم وعداوتكم.



س: وضح معنى قوله تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) ❦ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا يَأتَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ❦.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، سنري الخلق علامات على وحدانيتنا وقدرتنا في اتجاهات السموات والأرض ونواحيها من الأحداث التي تحدث في السموات والأرض والتقلبات التي تحدث من شمس وقمر وخصوف لهما وكسوف، وحرٌّ وبردٍ وليل ونهار ورياح وأمطار ورعد وبرق وصواعق وضباب، ونبات وأشجار وجبال وأنهار وبحار بما فيها من فيضانات، وغير ذلك مما يعتري السماء والأرض، وكذلك سنريهم الأدلة على وحدانيتنا في أنفسهم بما يعتريهم من مرض وصحة وضحك

تفسير سورة فصلت

٥٠٩

وبكاء، وقوة وضعف، وبما يكتشفون في أنفسهم من الدلائل على وحدانية الله ﷻ وقدرته وكذلك نريهم انتصارات نبينا ﷺ وتحقق ما وعده الله به من الفتوحات وكذلك سنريهم من المعجزات ودلائل النبوة ما به يظهر صدق نبينا وصدق ما جاء به أما قوله: ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ فالحق هو القرآن، وهو أيضاً صدق رسول الله ﷺ وتحقق أنه رسول من عند الله، وأيضاً هو الإسلام، أما قوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿٥٢﴾ فيدخل في معناه أو لم يجتزئ هؤلاء ويكتفون بشهادة ربك على صدق ما جاء به رسوله ﷺ وأنه الحق وكذلك يدخل في معناه التحذير أو لم يخش هؤلاء عقاباً ويكتفوا بما حصله أن الله شاهد عليهم وسيجازيهم على سيئ صنيعهم؟!!

ويدخل في معناه: أو لم يكفهم ربك سبحانه وتعالى بما ساقه لهم من الآيات الدالة على وحدانيته وأنه شهيدٌ عليهم إذا كذبوا وسيجازيهم على ذلك!

* أما قوله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ فحاصل معناه أن أهل الكفر ومع ما جاءهم من الآيات في شك دائم من البعث ومن لقاء الله يوم القيامة.

﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ ﴿٥٣﴾ قد أحاط علماً ربنا ﷻ بكل شيء، وكذا من إحاطته بكل شيء قدرته على فعل ما يريد بهم والانتقام منهم، وفي الآية ﴿وَطَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ ﴿يونس: ٢٢﴾ أي: أحاطت بهم أسباب الهلاك من كل جوانبهم.

التسهيل لتأويل التنزيل

وقوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ [الكهف: ٢٢] أي: هلك ثمره وأبىد والله تعالى أعلم.

وينحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره: سنري هؤلاء المكذبين، ما أنزلنا على محمد عبدنا من الذكر، أيلاناً في الآفاق.

واختلف أهل التأويل في معنى الآيات التي وعد الله هؤلاء القوم أن يريهم، فقال بعضهم: عني بالآيات في الآفاق وقائع النبي ﷺ بنواحي بلد المشركين من أهل مكة وأطرافها، وبقوله: (وَفِي أَنْفُسِهِمْ) فتح مكة.

وأورد بإسناد حسن:

عن المنهال، في قوله: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ) قال: ظهور محمد ﷺ على الناس. □

وقال آخرون: عني بذلك أنه يريهم نجوم الليل وقمره، وشمس النهار، وذلك ما وعدهم أنه يريهم في الآفاق. وقالوا: عني بالآفاق: آفاق السماء، وبقوله: (وَفِي أَنْفُسِهِمْ) سبيل الغائط والبول.

وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الأول، وهو ما قاله السدي، وذلك أن الله ﷻ وعد نبيه ﷺ أن يري هؤلاء المشركين الذين كانوا به مكذّبين آيات في الآفاق، وغير معقول أن يكون تهددهم بأن يريهم ما هم رأوه، بل الواجب أن يكون ذلك وعداً منه لهم أن يريهم ما لم يكونوا رأوه من قبل ظهور نبي الله ﷺ على أطراف بلدهم وعلى بلدهم، فأما النجوم

تفسير سورة فصلت

٥١١

والشمس والقمر، فقد كانوا يرونها كثيرا قبل وبعد ولا وجه لتهديدهم بأنه يريهم ذلك.

وقوله: (حَقَّ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) يقول جل ثناؤه: أري هؤلاء المشركون وقائعنا بأطرافهم وبهم حتى يعلموا حقيقة ما أنزلنا إلى محمد، وأوحينا إليه من الوعد له بأننا مظهر ما بعثناه به من الدين على الأديان كلها، ولو كره المشركون.

وقوله: (أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) يقول تعالى ذكره: أولم يكف بربك يا محمد أنه شاهد على كل شيء مما يفعله خلقه، لا يعزب عنه علم شيء منه، وهو مجازيهم على أعمالهم، المحسن بالإحسان، والمسيء جزاءه.

وفي قوله: (أَنَّهُ) وجهان:

أحدهما: أن يكون في موضع خفض على وجه تكرير الباء، فيكون معنى الكلام حينئذ: أولم يكف بربك بأنه على كل شيء شهيد؟ والآخر: أن يكون في موضع رفع، بقلوبهم، يقول: يكف، فيكون معنى الكلام: أولم يكف بربك شهادته على كل شيء.

وقال في تأويل قوله تعالى: (أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِئَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا يَكُونُوا لَهَا حَاشِدًا) (٥٤) شَيْءٌ مَّحِيطٌ (٥٥).

يقول تعالى ذكره: ألا إن هؤلاء المكذبين بآيات الله في شك من لقاء ربهم، يعني أنهم في شك من البعث بعد الممات، ومعادهم إلى ربهم.

وقوله: (أَلَا إِنَّهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطُونَ) (٥٤) يقول تعالى ذكره: ألا إن الله بكل

التسهيل لتأويل التنزيل

شيء مما خلق محيط علما بجميعه، وقدرة عليه، لا يعزب عنه علم شيء منه أراده فيفوته، ولكن المقتدر عليه العالم بمكانه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

ثم قال: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ) أي: سنظهر لهم دلائلنا وحُجُجنا على كونه القرآن حقا منزلا من عند الله، ﷻ، على رسوله □ بدلائل خارجية (في الأفاق)، من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان.

قال مجاهد، والحسن، والسدي: ودلائل في أنفسهم، قالوا: وقعة بدر، وفتح مكة، ونحو ذلك من الوقائع التي حلت بهم، نصر الله فيها محمدا وصحبه، وخذل فيها الباطل وحزبه.

ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما للإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والأخلاق والهيئات العجيبة، كما هو مبسوط في علم التشريح الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى. وكذلك ما هو مجبول عليه من الأخلاق المتباينة، من حسن وقبيح وبين ذلك، وما هو متصرف فيه تحت الأقدار التي لا يقدر بحوله، وقوته، وحيله، وحذره أن يجوزها، ولا يتعدها، كما أنشده ابن أبي الدنيا في كتابه «التفكر والاعتبار»، عن شيخه أبي جعفر القرشي حيث قال - وأحسن المقالة -:

وَإِذَا نَظَرْتَ ثَرِيْدُ مُعْتَبِرَا فَانْظُرْ إِلَيْكَ فَفِيكَ مُعْتَبَرُ

أَنْتَ الَّذِي يُمَسِّي وَيُصْبِحُ فِي الدُّنْيَا وَكُلُّ أُمُورِهِ عِبَرُ

أَنْتَ الْمَصْرَفُ كَانَ فِي صِغَرٍ ثُمَّ اسْتَثْقَلَ بِشَخْصِكَ الْكِبَرُ

تفسير سورة فصلت

٥١٣

أَنْتَ الَّذِي تَنْعَاهُ خَلْقُهُ يَنْعَاهُ مِنْهُ الشَّعَرُ وَالْبَشَرُ
 أَنْتَ الَّذِي تُعْطَى وَتُسَلَبُ لَا يُنْجِيهِ مِنْ أَنْ يُسَلَبَ الْحَذَرُ
 أَنْتَ الَّذِي لَا شَيْءَ مِنْهُ لَهُ وَأَحَقُّ مِنْهُ بِمَالِهِ الْقَدَرُ

وقال ابن كثير أيضاً:

وقوله تعالى: (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾) أي: كفى بالله شهيداً على أفعال عباده وأقوالهم، وهو يشهد أن محمداً صادق فيما أخبر به عنه، كما قال: (لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَكْتُمُونَ) [النساء: ١٦٦].

وقوله: (أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ) أي: في شك من قيام الساعة؛ ولهذا لا يتفكرون فيه، ولا يعملون له، ولا يحفرون منه، بل هو عندهم هدرٌ لا يعبئون به وهو واقع لا ريب فيه وكأنه لا محالة.

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا خلف بن تميم، حدثنا عبد الله بن محمد بن سعيد الأنصاري: أن عمر بن عبد العزيز صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، أيها الناس، فإني لم أجمعكم لأمر أحدثته فيكم، ولكن فكرت في هذا الأمر الذي أنتم إليه صابرون، فعلمت أن المصدق بهذا الأمر أحمق، والمكذب به هالك ثم نزل.

ومعنى قوله، **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «أن المصدق به أحمق» أي: لأنه لا يعمل له عمل مثله، ولا يحذر منه ولا يخاف من هوله، وهو مع ذلك مصدق به موثق بوقوعه، وهو مع ذلك يتمادي في لعبه وغفلته وشهواته وذنوبه، فهو أحمق بهذا الاعتبار، والأحمق في اللغة: ضعيف العقل.

وقوله: «والمكذب به هالك» هذا واضح، والله أعلم.

ثم قال تعالى -مقررًا على أنه على كل شيء قدير، وبكل شيء محيط، وإقامة الساعة لديه يسير سهل عليه تبارك وتعالى-: (أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ۝٥٤) أي: المخلوقات كلها تحت قهره وفي قبضته، وتحت طي علمه، وهو المتصرف فيها كلها بحكمه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

قال السعدي رحمه الله:

﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِئٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ أي: في شك من البعث والقيامة، وليس عندهم دار، سوى الدار الدنيا، فلذلك لم يعملوا للآخرة، ولم يتلفوا لها.

﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ۝٥٤﴾ علمًا وقدرًا وعزة.



mostafaaladwy.com

mostafaaladwy.com